

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE (64) – SIXTH YEAR – AUGUST 1982.

العدد (٦٤) ـ شوال ١٤٠٢هـ ـ السنة السادسة ـ آب (أغسطس) ١٩٨٢ م

# المستقبل

# في صناعة الزيت والغاز

## توفره أرامكو لخريجي الجَامعَات السّعُوديين

**التخصصات الجامعية المطلوبة :**

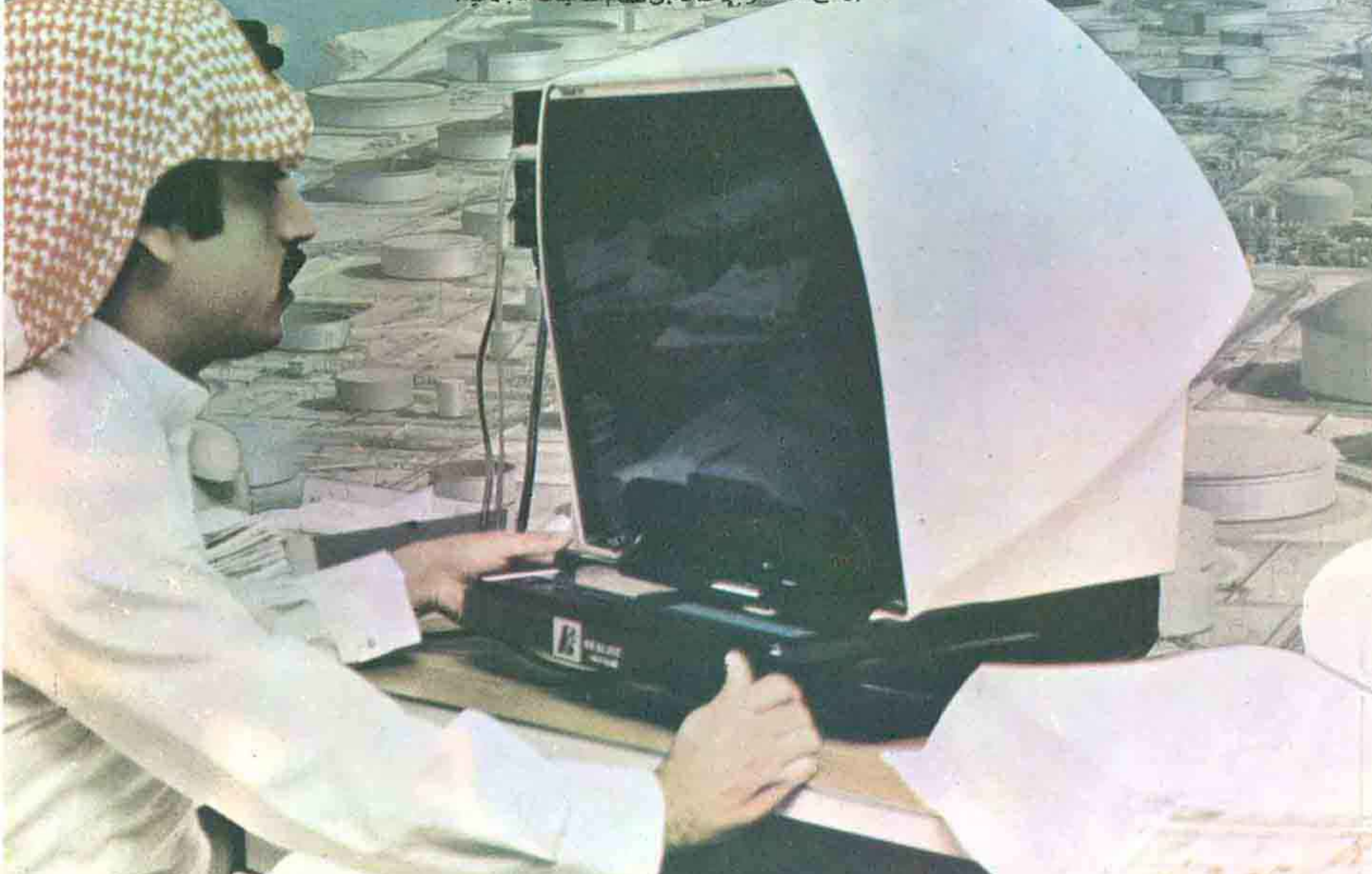
- هندسة بترول .
- الجيولوجيا / الجيوفيزياء .
- هندسة كيميائية .
- هندسة ميكانيكية .
- هندسة كهربائية .
- هندسة أساليب ونظم / علوم الكمبيوتر .
- هندسة صناعية .
- تخصصات هندسية أخرى وعلوم .
- إدارة صناعية / محاسبة وإدارة أعمال .

**يحصل الجامعيون على الميزات التالية :**

- ابتعاث لدراسة اللغة الإنجليزية في أمريكا عند الحاجة .
- برنامج لتطوير الكفاءات .
- راتب مغري حسب التخصص .
- إضافات في الراتب للشهادات العليا والتفوق والخبرات .
- سكن للأعزب والمتزوج بإيجار رمزي أوراتب شهرين بدل سكن للمستحقين حسب النظام .
- برنامج تملك البيوت .
- راتب إضافي كل سنة .
- أجازة سنوية مع ٥٪ من الراتب السنوي .
- عناية طبية للموظف وعائلته .
- برنامج للادخار بالإضافة إلى نظام التأمينات الاجتماعية .

**مجالات العمل المتاحة :**

- التنقيب عن الزيت وهندسة البترول .
- تطوير حقول الزيت .
- إنتاج الزيت والغاز وأعمال التكرير .
- إدارة المشاريع والإنشاء والخدمات الهندسية .
- تشغيل الحاسبات الألكترونية (الكمبيوتر) .
- أعمال صيانة معامل الزيت والغاز ومرافق أخرى .
- مجالات فنية وإدارية أخرى .



(E–1–82)

فبادر بالتقدم الى أحد مكاتب توظيف الجامعيين التالية :

الظهران : مكتب علاقات الجامعيين السعوديين . مقابل معرض الزيت . تليفون ٨٧٦٢٠٧٥ ، ٨٧٦٢٠٧٣٠ ، ٨٧٦٢٠٧١

الرياض : مكتب أرامكو . الناصرية مقابل مستشفى الملك فيصل التخصصي . تليفون ٤٦٤٠١٥٥ / ٤٦٤٢٠٥٥

جدة : شارع محمد حسن عواد . الشرفية . بناية الهدى . تلفون ٦٥٣٤٦٥٥

هيوستن : تكساس (أمريكا)

ARAMCO SERVICES COMPANY, SAUDI COLLEGE RELATIONS, P.O.BOX 53620, HOUSTON, TEXAS 71052-1620, USA. TELEPHONE: (713) 750-5855, (713) 750-6664, (713) 750-5900 OR TOLL FREE 1-800-231-7577 EXT. 5855/6664/5900




ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY
AL-FAISAL
CULTURAL HOUSE

تصدر عن
دار الفيصل
الثقافية

ISSUE 64 - SIXTH YEAR - AUGUST 1982.

العدد (٦٤) ـ شوال ١٤٠٢ هـ ـ السنة السادسة ـ آب (أغسطس) ١٩٨٢ م

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Cheif

All Correspondence To :

Riyadh - Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine P.O.Box 3
Tel 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ

المراسلات :

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص . ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

## EUROPE - AMERICA - ASIA

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| Belgium | BF | 200 | Italy | L | 4000 | Sweden | SKR | 30 |
| Denmark | DKR | 30 | Netherlands | DFL | 10 | Switzerland | SF | 15 |
| Finland | FMK | 30 | Norway | NKR | 30 | United Kingdom | £ | 2 |
| France | FF | 15 | Pakistan | RS | 10 | U.S.A. | $ | 5 |
| F.R.G. | DM | 10 | Portugal | ESQ | 100 | | | |
| Greece | DR | 100 | Spain | PTS | 150 | | | |

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

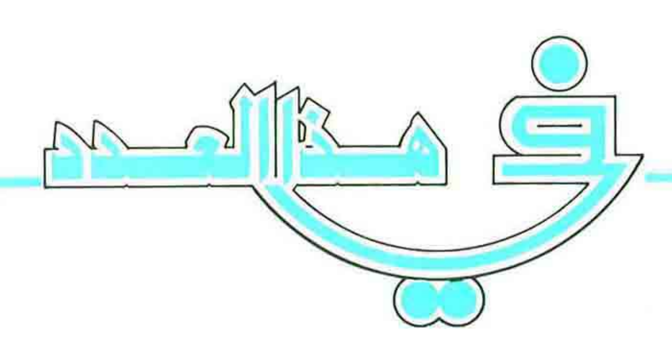
## أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| المملكة العربية السعودية | ٨ ريالات | الأردن | ٤٠٠ فلس | تونس | ٥٠٠ مليم |
| الكويت | ٦٠٠ فلس | ج. ع. اليمنية | ٦ ريالات | الجزائر | ٥ دنانير |
| الإمارات العربية المتحدة | ٧ دراهم | ج. اليمن الديمقراطية الشعبية | ٨٠٠ فلس | العراق | ٤٠٠ فلس |
| قطر | ٦ ريالات | مصر | ٣٠٠ مليم | سورية | ٥ ليرات |
| البحرين | ٥٠٠ فلس | السودان | ٣٠٠ مليم | لبنان | ٥ ليرات |
| سلطنة عمان | ٦٠٠ بيسة | المغرب | ٥ دراهم | ليبيا | ٨٠٠ درهم |

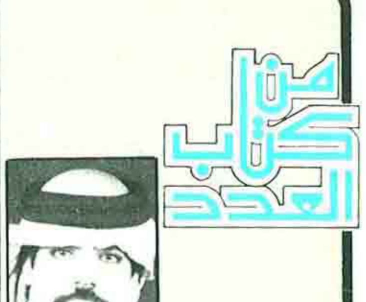
● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفـــراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل








**د. عبد اللطيف حسين فرج**

★ من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٧٣ هـ.

★ دكتوراه فلسفة ــ جامعة أنديانا ــ أميريكا.

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بجامعة الملك سعود.

★ من مؤلفاته المنشورة وغير المنشورة (شموع للطلاب الجامعات ــ شموع للآباء والأمهات ــ تربية وتعليم للشباب السعودي)، إلى جانب بعض المقالات نشرت في الصحف السعودية.

**عبد الله أحمد الشباط**



★ من مواليد الأحساء ــ المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٨ هـ.

★ شهادة المعهد العلمي بالأحساء ــ المرحلة الثانوية.

★ دبلوم صحافة.

★ عمل مدرساً، فسكرتيراً للمجلس البلدي بالدمام، فمساعداً لرئيس بلدية الخبر، فرئيساً لبلديات المنطقة المحايدة سابقاً.

★ أصدر جريدة «الخليج العربي» بالخبر عام ١٣٧٥ هـ. وتوقفت عام ١٣٨٠ هـ.

★ يعمل الآن في التجارة.

★ يكتب بصورة مستمرة في جريدة «اليوم» التي تصدر بالدمام.

★ لديه بعض الأعمال الكتابية في التاريخ والأدب.

**د. أنور محمد عبد العليم**



★ من مواليد الإسكندرية ــ مصر.

★ دكتوراه فلسفة PH.D، دكتوراه العلوم D.SC. (لندن).

★ عمل خبيراً بمنظمة اليونسكو الدولية، وانتدب أستاذاً زائراً بكاليفورنيا، وفورث كارولينا.

★ عمل أستاذاً و رئيساً

●● جورج بورج أديب عالمي ، ولد بالأرجنتين عام ١٨٩٩ م ، وفقد بصره بعد ذلك . اتسم عقله بالموسوعية .. فهو كاتب وروائي وشاعر ، وهو عالم ميتافيزيقي وفلكي ورياضي ، وهو خبير لغات وخبير ديانات في المسيحية والإسلام . طالع ص (٥١) .



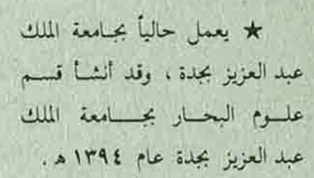
●● الفن .. جزء لا يتجزأ من الحياة . وضرب من النشاط ، له قيمة معنوية عند كل إنسان يدب على هذه الأرض . وتاريخ الفن يعود إلى بداية تاريخ وجود الإنسان على الأرض ، لهذا أطلقنا على الإنسان الأول : « فنان بالفطرة » . طالع ص (١٠٢) .

●● كان المسكن النموذجي الملائم ، طوال التاريخ البشري ، ولا يزال أهم أهداف الإنسان على وجه الكرة الأرضية ، إذ إن المنزل بالنسبة للفرد والعائلة هو رمز للراحة والأمان والاستقرار . طالع ص (٩١) .



●● كثيرون هم الذين كتبوا من قبل عن مغامرات مثيرة على قاع البحر ، ولكني لا أعتقد أن أحداً قد أتيحت له فرصة الغوص في بحر سام !!

ظاهرة البحر السام .. ظاهرة علمية فريدة .. متى ؟ وكيف ؟ طالع ص (١١٥) .



لقسم علوم البحار بجامعة الإسكندرية .

★ يعمل حالياً بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وقد أنشأ قسم علوم البحار بجامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٣٩٤ هـ .

★ زميل باحث بمعاهد علوم البحار بإنجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا ، والسويد ، وأميريكا ، وروسيا .

★ شارك في العديد من المؤتمرات الدولية والبعثات العلمية .

★ له بحوث عديدة باللغات الأجنبية .. وله عدة كتب عن البحار والمحيطات ، والبحار والثروات المائية ، والملاحة وعلوم البحار عند العرب .

## د . سامي عريفج



★ من مواليد عجلون ــ الأردن عام ١٩٤٤ م .

★ دكتوراه الفلسفة في التربية (تربية مقارنة وإدارة تعليمية) .

★ عمل في التدريس ، كما تولى رئاسة قسم المسلكيات (العلوم التربوية النفسية) بكلية عمان ــ الأردن .

★ يعمل حالياً في التدريس .

★ عضو دائم في لجنة تطوير مناهج كليات المجتمع في الأردن .

★ له دراسات نفسية وإدارية وتنظيم البحوث العلمية ، إلى جانب عدد من المقالات المنشورة في الصحف والدوريات .

## إبراهيم محمد أبو النجا



★ من مواليد المنصورة ــ مصر عام ١٩٣٣ م .

★ ماجستير بلاغة ونقد ــ كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة .

★ دبلوم التربية العالي ــ جامعة عين شمس ــ القاهرة .

★ عمل رئيساً لقسم اللغة العربية ــ كلية البنات الأميريكية ــ القاهرة .

★ يعمل حالياً أستاذاً محاضراً في كلية التربية ــ قسم اللغة العربية ــ الرياض .

★ له أبحاث وقصائد شعرية نشرت في الصحف والمجلات العربية .. وله كتاب (الشعر الليبي الحديث في موازين النقد) .

★ يجيد اللغة الإنجليزية .




## الفرح .. والعيد

حين كنا صغاراً كان العيد بالنسبة لنا يتمثل في المظاهر الخارجية من ملابس جديدة وصور اجتماعية غير معتادة .. كالتنقل بين المنازل زرافات ووحداناً ، والعودة بعد ذلك إلى منازل تفوح من ملابسنا أنواع العطور ، وجيوبنا مملوءة بأنواع من « الشيكولاتة » والحلويات ، و « النعنع » .. وفي العصر نذهب للتمرجح على « المدارية » .

وكانت همومنا لا تتعدى هذه الأشياء إلى جانب اللعب واللهو ، والصراخ والزعيق الذي يوصف به الصغار عادة إذا طلبوا شيئاً عز عليهم ، أو أخذ شيء من أمور اهتماماتهم .. باختصار كانت أفراحنا وأحزاننا تتمثل في الأشياء الخارجية .. في الشكليات .. أما نفوسنا من الداخل فكانت تسكنها الطمأنينة وراحة البال .. وفي عيوننا تغفو البراءة .. لهذا تجد وجوهنا دائمة الإشراق والتألق من البهجة .

وحين كبرنا .. كبرت معنا طموحاتنا .. فتعددت همومنا .. وتراكمت عقدنا في الداخل فاضطربت النفوس ، وشقيت القلوب ، وهرب الفرح منا .. واختفت تلك المعالم المشرقة التي كانت ترتاح على وجوهنا .

تغيرت اهتماماتنا .. وتجاوزت تطلعاتنا حدود المتاح والموجود ففقدنا الطمأنينة .. وعز الأمان في الداخل .. وأصبحت نفوسنا وأعماقنا تضج بالانفعالات والتوترات .. وماتت أفراحنا .

وإذا سلّمنا بأن العيد هو الفرح .. فإننا نستطيع أن نعيش حياتنا أعياداً إذا عرفنا كيف نصنع الفرح .. فالحياة ليست في مظاهرها .. لكنها في شعورنا بها .. وبقدر ما نتخلص من مشاعر النهم والطمع والأنانية بقدر ما نوفر لأنفسنا نوعاً من الفرح .. وكما قال أحدهم قليل من الفرح يصنع العالم .

ومواسم الحياة من شتاء وربيع وخريف وصيف ليست في مظاهرها الخارجية .. إنما هي في أعماقنا .. داخل نفوسنا .. وكثيرون يعيشون حياتهم موسماً واحداً هو موسم الخريف في صورته الكئيبة القاتمة .. وقلة هم الذين أدركوا حقيقة وجودهم بالإيمان والعمل فعاشوا حياتهم مواسم متجددة لا تعرف الملل والكآبة .. فنجحوا في استثمارها .. وقطفوا ثمارها .

بالإيمان الصادق ، والعمل الإيجابي ينجح الفرد .. وبدونهما يضل طريقه .

## الأعمال الجيدة

الأعمال الجيدة لا تقوم بأحلام النوم .. ولا تنمو بأحلام اليقظة .. إنها نتيجة جهود كبيرة صادقة ، ومحصلة لمعاناة وسهر ومكابدة .

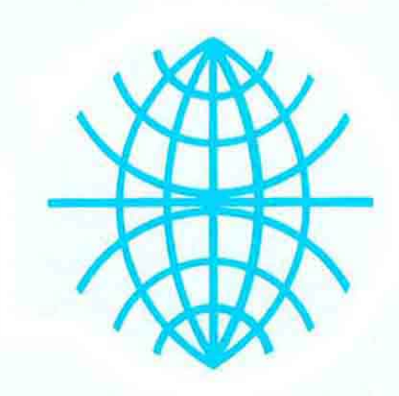
حين نطالع اليوم تلك الحوليات الشعرية التي عرفها تاريخ الأدب العربي ، بما تحفل به من تجربة صادقة ، وإبداع متجاوز ، وتيارات من الرؤى والمعاني والصور تثير دهشتنا ، وتحسسنا بأننا أمام عمل غير عادي .. عمل لا يذبل أو يبلى بالتقادم .. ولا يفنى بفناء صاحبه .. إنه جزء مهم من ثروة البشرية الفكرية .. أي إنه يصبح ملكاً لكل الجماعات البشرية .

وحين نعرف ـ مثلاً ـ أن ليوناردو دافنشي قضى ما يقارب العشرة أعوام في رسم لوحته « الجيوكندة » ، أو « الموناليزا » لا نستغرب أن تحتل هذه اللوحة هذه المكانة العالمية .. كما لا نندهش حين نجد أن قيمتها المادية أصبحت تقدر بالملايين .. وأن الدراسات التي أجريت حولها لم تكن محدودة بعصر دون آخر ، فهي موجودة في كل العصور ، ممتدة في الزمان والمكان .

حين نعرف ما عاناه أصحاب مثل هذه الأعمال أثناء قيامهم بها خلال فترة زمنية ليست قصيرة ، ندرك أبعاد كل ما حظيت بها في الماضي ، وما تلقاه في الحاضر ، وما سوف تناله في المستقبل من حفاوة واهتمام متزايدين .

من أجل هذا فليس بمستغرب أن تختفي ظاهرة مثل هذه الأعمال الجيدة في عصر « الساندوتش » ، و « الهيبيز » ، و « العبثية » .

رئيس التحرير



* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا. والله الموفق **




- «ألوان ثقافية» سلسلة رسائل جديدة يصدرها نادي أبها الأدبي.
- وفاة أديب سعودي وشاعر عراقي.
- جائزتان جديدتان في مجالي العلوم السياسية والترجمة.
- «الحياة» صحيفة جديدة تصدر بمصر.
- صدور معجم زراعي في السودان، وآخر سيصدر للمصطلحات الحشرية بعمّان.
- إقامة ندوات ومسابقات في العديد من البلدان العربية.




- سعودي يحصل على جائزة أدبية في إيطاليا.
- الدكتوراه الفخرية لمدير جامعة الإمارات العربية المتحدة.
- وفاة الروائي الفرنسي «جان فورتون».
- عقد ندوة لحماية حقوق المؤلفين في باريس.
- ترجمة ثلاث روايات عربية إلى لغة أجنبية.



# كلمة

## في الوطن العربي

السعودية :

### الشعر والعصر

للشعر علاقة وثيقة بالحياة ، فهو لسان الشعور الإنساني الذي يعبِّر عن الحياة في أغلب مظاهرها . إن الحياة بكل ما فيها من مخلوقات وما تحفل به من صراعات ، وكل ما يزخر به هذا الكون الواسع من همسات وأصداء ، يمكن أن يحتضنها الشعر ليعبِّر عنها بلسان تتدفق منه الحكمة ، وتتداح منه التعابير الرقيقة التي تهز المشاعر . إن الطبيعة بمظاهرها المختلفة ، الطيور بغنائها الأرض باخضرارها .. الحياة بكل ما فيها من سرور وشجن .. سعادة وشقاء .. يمكن أن تلهم الشعر عند من لديه الموهبة والإحساس الصادق والأداء الجيد .

ولعل أروع ما قيل عن الشعر وقدرته على التعبير هو قول المرحوم الأستاذ **عباس محمود العقاد** :

**« ما دام في الكون ركن للحياة يُرى**
**فـي صحائفه للشعر ديوان »**

والشعر الجيد يجب أن يعبر بصدق عن الحياة ، والشعر هو القدرة على تعميق الحياة وإعطائها معنى ولوناً جديداً عند من يقرأ هذا الشعر . ومن الأقوال الرائعة في الشعر هو قول الشاعر **جيوم أبولينير** الذي يعتقد أن الشعر هو كل ما يمكن أن يعطي بعداً جديداً للكون حيث يقول : **« كل من يفتح رؤى جديدة للكون الظاهر والداخل فهو شاعر »** .

**لكن ما الذي يجعل للشعر تأثيراً وأثراً في النفس الإنسانية وفي وجدان الأفراد والشعوب ؟**

لعل من أهم الأسباب التي تجعل للشعر تأثيراً في وجدان الإنسان ، هو هذه النشوة الروحية والمتعة النفسية التي تمتلك شعور الإنسان عندما يقرأ شعراً صادقاً وقوياً ومعبِّراً عن الحياة . كما أن قدرة الشعر على إبراز التجربة الإنسانية

### وفاة أديب سعودي



انتقل إلى رحمة الله تعالى الأديب السعودي الأستاذ عبد الرحيم أبو بكر عن ٤٦ عاماً إثر حادث سيارة بين المدينة المنورة ومدينة تبوك .. وقد ولد المرحوم في المدينة المنورة عام ١٣٥٦ هـ ، وتلقى دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية فيها .. ثم حصل على ليسانس آداب ـ لغة عربية من جامعة الملك سعود ( الرياض ) ، كما حصل منها على دبلوم التربية .. ثم نال شهادة الماجستير في الآداب ـ كلية آداب جامعة القاهرة .. وكان قبل رحيله يحضر لنيل الدكتوراه من جامعة القاهرة عن الشعر الحديث في الحجاز ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ م ، وهو عضو مؤسس بنادي المدينة المنورة الأدبي .. من أعماله المطبوعة « الشعر الحديث في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩٤٧ م رسالة الماجستير » .. نشرت له مجموعة من البحوث والمقالات في الصحف والمجلات .. وكان الأديب أبو بكر محبوباً من كل الأدباء لما يتصف به من دماثة الخلق ، ولطف المعشر ، كما اشتهر بهدوئه ، وحبه للآخرين ، وله صداقات مع عدد من أدباء البلاد العربية .. تغمد الله الفقيد بواسع رحمته .. وألهم أهله وذويه وأصدقائه الصبر والسلوان .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

### المتهم وحقوقه في الشريعة

عقدت في الرياض **الندوة العلمية الثالثة** التي نظمها **المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب** ، وموضوعها : « **المتهم وحقوقه في الشريعة الإسلامية** » .

شارك في الندوة نخبة من العلماء والأساتذة المتخصصين في الشريعة الإسلامية على مستوى الوطن العربي ، إلى جانب المسؤولين والباحثين المعنيين في وزارات الداخلية وإدارات الشرطة والسجون وقضاة المحاكم ، وغيرهم .

### رسائل جامعية

●● « **أثر العوامل الجغرافية في التوسع الزراعي بمنطقة القصيم** ـ دراسة في الجغرافيا الاقتصادية » ، موضوع رسالة **ماجستير** نوقشت **بكلية العلوم الاجتماعية** التابعة **لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، تقدم بها السيد **محمد بن عبد الله الفاضل** .

●● « **الإمام ابن كثير المفسر** » ، موضوع رسالة **ماجستير** نوقشت **بجامعة أم القرى بمكة المكرمة** ، تقدم بها السيد **مطر أحمد مسفر الزهراني** .

●● « **التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية** » ، موضوع رسالة **دكتوراه** نوقشت **بالرياض** ، تقدم بها الشيخ **سعود بن سعد بن دريب** .

●● « **تحقيق كتاب الإيضاح في شرح مقامات الحريري** » ، موضوع رسالة **دكتوراه** نوقشت **بكلية اللغة العربية** التابعة **لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، تقدم بها السيد **حمد ناصر الدخيل** .

للشاعر في إطار مؤثر يحرك الأحاسيس وينبّه الشعور الإنساني . والشعر يمكن أن يعكس التجربة الإنسانية التي يعانيها الإنسان أو مجموعة من الناس في مختلف المراحل والبيئات والعصور .

ويمكن للشعر أن ينقل الإنسان من أجواء قاتمة باهتة إلى أجواء أكثر حياة وحركة وذلك بقدرته على تقديم الأفكار السديدة ، والأجواء الموسيقية الساحرة ، وهو لذلك يمكن أن يغيّر من نمط الحياة الواقعية الرتيبة ليجعلها أكثر تناسقاً وروعة وجمالا ، خاصة إذا كان واقع الحياة مراً وقاسياً .

والشعر عندما يقوم بالتعبير عن الحياة يمكن أن يعكس أيضاً حرية الإنسان في أن يكون فرداً مستقلاً بفكره ومبدئه ووجوده ، ويعكس عقيدة الشاعر وبيئته وشعوره الديني والنفسي ونظرته في الحياة .

**وللشعر وظيفة بالغة الأهمية وهي وظيفة التاريخ** ، فالشعر يستطيع أن يؤرخ للحياة السياسية والاجتماعية في فترة من فترات التاريخ ، ولذلك فهو يتيح الفرصة للمؤرخين أن يتتبعوا ما حدث في تلك الفترة من تطورات سياسية وأدبية واجتماعية . إن الدليل على قدرة الشعر على التأريخ هو ما تحفل به **الإلياذة والأوديسة لهوميروس** ، التي تؤرخ لفترة حاسمة من تاريخ الإغريق القدامى ، وكذلك **المعلقات السبع** لشعراء الجاهلية بالإضافة إلى كثير من القصائد التي أبدعها **المتنبي** في تصوير وتأريخ غزوات **سيف الدولة الحمداني** .

إن علاقة الشعر بالحياة علاقة لا يمكن أن تنفصم ، وسيظل هناك شعر ما دام هناك حياة تردد في صدور الشعراء ، وما دام هناك وجود يملأ الكون ، وما دامت هناك عواطف ومشاعر إنسانية تتصارع أحياناً وتمتزج أحياناً أخرى . ولا مراء أن الشعر تختلف أغراضه ومراميه باختلاف الأماكن والبيئات والزمان .

فالشعر **في عصر شكسبير** يختلف في أغراضه وتعابيره عن الشعر في **عصر فيكتور هيجو** .

وقد يتساءل المرء عن **قيمة الشعر في القرن العشرين** ، وهل يستطيع الشعر أن يحتفظ بمكانته الاجتماعية والأدبية والسياسية كما كان في العصور القديمة ؟ إن الشعر لم يفقد مكانته كأرفع أنواع الأساليب الأدبية في التعبير عن الحياة والعواطف الإنسانية ، بيد أن الشعر لا يستطيع أن يصوغ أحداث العصر والحياة في هذا القرن الذي يتميّز بزخم أحداثه واتساع وتشابك الصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي لا يستطيع الشعر أن يستوعبها ويعبر عنها ويؤرخ لأحداثها ومساراتها .

والواقع أن الشعر قد اتخذ سمة التعبير ووصف الأحداث القريبة من نفس الشاعر بأي أسلوب يرتاح إليه سواء كان شعره حراً أو مقيّداً بالأوزان على شرط أن يتقيّد الشاعر **بالموسيقى الداخلية** التي تنظم الكلمات في تعبير دقيق موح عن المشاعر والأفكار وتلاحمها مع الحياة والأحداث .

إن الشعر – كما أعتقد – سيظل أجمل الأساليب الأدبية التي أبدعها الإنسان للتعبير عن مشاعره وأفكاره وعواطفه ، لكن الشاعر لن يكون لسان الأمة المدافع عنها وعن مبادئها وأفكارها كما كان الشاعر القديم . إن العلم وليس الشعر هو سيد هذا العصر ، وينبغي أن نؤمن أن العلوم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية وما ينبثق عنها هي **المتحكمة** في مصير العالم والتعبير بدقة عن أحداثه وصراعاته ، أما الشعر فهو الفن الذي ينبغي أن يتواءم مع ما تتمخض عنه هذه العلوم والأحداث المعاصرة ليصف ما يدور في داخل الإنسان المعاصر .

**د . أحمد عبد القادر المهندس**

●● « **يوسف عليه السلام . . النبي الداعية** » ، موضوع رسالة **ماجستير** نوقشت **بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية** التابع **لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، تقدم بها السيد **نزار رفيق بشير** .

●● « **مدينة بريدة** – دراسة في جغرافية العمران » ، موضوع رسالة **ماجستير** نوقشت **بكلية العلوم الاجتماعية** التابعة **لجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، تقدم بها السيد **محمد الصالح الربدي** .

●● « **الإعلام الإسلامي** » ، موضوع رسالة **ماجستير** نوقشت **بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية** التابع **لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، تقدم بها السيد **سعد البرازي** .

●● « **القضاء والقضاة في كتاب الله وسنة رسوله** » ، موضوع رسالة **ماجستير** نوقشت **بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة** ، تقدم بها السيد **ذيب القحطاني** .

●● « **تفصيل الإجمال في تعارض الأقوال والأفعال** » ، **للحافظ العلائي** ، موضوع رسالة **ماجستير** نوقشت **بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، حقق الكتاب السيد **عبد الرحمن المطير** .

●● « **تفسير سورة القلم** » ، موضوع رسالة **ماجستير** نوقشت **بكلية البنات بجدة** ، تقدمت بها السيدة **مليحة عبد الله الحارثي** .

## معرض للكتاب الإسلامي

نظم **المركز الصيفي** التابع لفرع **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالأحساء معرضاً للكتاب الإسلامي** ، اشتمل على العديد من الكتب القيّمة التي لاقت رواجاً كبيراً داخل المعرض .

## معرض سياحي إسلامي بجدة

أقيم في (**جدة**) **معرض سياحي عربي إسلامي** ، عرضت فيه نماذج وشرائح ومجسّمات عن الأماكن السياحية والتاريخية في الدول العربية والإسلامية . شارك



## في الوطن العربي

في المعرض ، الذي أقيم بقاعة المعرض السياحي ، جميع السفارات العربية والإسلامية بالمملكة ، وقد عرضت فيه نماذج وصور عن الأماكن السياحية داخل المملكة ، وكذلك عن الأماكن التاريخية والإسلامية في (**مكة المكرمة**) و (**المدينة المنورة**) ، وكذا عن (**مدائن صالح**) و (**شعيب**) و (**الأخدود**) ، واستمر المعرض أسبوعاً .

### ألوان ثقافية

اسم سلسلة رسائل جديدة أصدرها أحدث نادٍ أدبي في المملكة العربية السعودية « **نادي أبها الأدبي** » وقد أصدر منها حتى الآن رسالتين :

★ الرسالة الأولى جاءت مشتملة على موضوعين ، أولهما : « **النحو ـ قانون اللغة وميزان تقويمها** » ، للدكتور **محمد فجال بن يوسف** . وثانيهما : « **ابن هشام .. وكتابه مغني اللبيب** » ، للدكتور **عبد الرحمن علي سليمان** .

★ الرسالة الثانية جاءت مشتملة على مقالة واحدة بعنوان : « **صحيفة بشر بن المعتمر وأثرها في النقد الأدبي** » ، للدكتور **علي مصطفى صبح** .

### مسابقات أدبية

أعلن **مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بجدة** عن مسابقاته الأدبية وذلك في مجال :

★ (١) **الشعر الموزون المقفى** ، تحت عنوان : « **حول النهضة الشاملة في ربوع الوطن** » . على أن لا تقل عن عشرين بيتاً .

★ (٢) **المقال الأدبي** ، تحت عنوان « **عزوف الشباب عن الزواج وآثاره على المجتمع** » . ولا يقل عن (٥) صفحات فولسكاب .

★ (٣) **القصة القصيرة** ، تحت عنوان « **الإيمان والأمل** » .

هذه المسابقات للجنسين من الشباب السعودي الذين لا تزيد أعمارهم على (٢٥) عاماً وأن يكون إنتاجهم حديثاً ، ولم يسبق نشره أو تقديمه لأية جهة أخرى . وآخر موعد لإرسال الإنتاج **هو نهاية شهر محرم عام ١٤٠٣ هـ** ، وقد رصدت للفائزين جوائز قيّمة (الخمسة الأوائل) .

### * كتب جديدة *

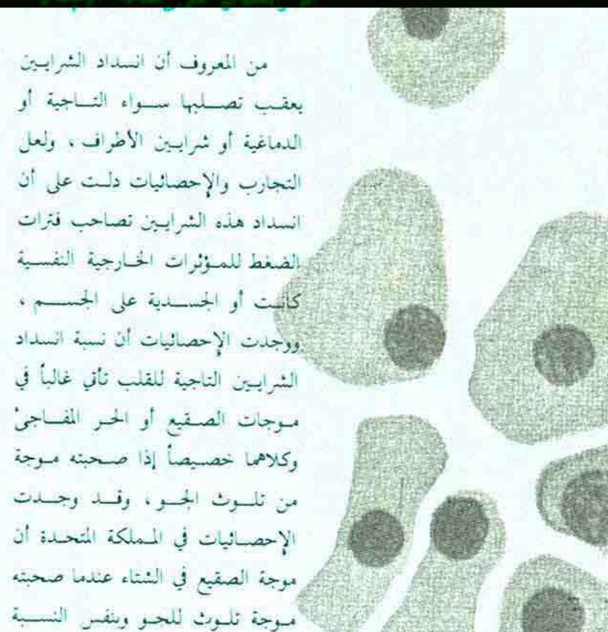
● « **فصول في الأدب الحديث والنقد** » ، تأليف **الدكتور يوسف عز الدين** ، صدر عن **دار العلوم بالرياض** .

★ د . يوسف عز الدين ★



## الزاوية الطبية

[illegible]



من المعروف أن انسداد الشرايين يعقب تصلبها سواء التاجية أو الدماغية أو شرايين الأطراف ، ولعل التجارب والإحصائيات دلت على أن انسداد هذه الشرايين تصاحب فترات الضغط للمؤثرات الخارجية النفسية كانت أو الجسدية على الجسم ، ووجدت الإحصائيات أن نسبة انسداد الشرايين التاجية للقلب تأتي غالباً في موجات الصقيع أو الحر المفاجئ وكلاهما خصيصاً إذا صحبته موجة من تلوث الجو ، وقد وجدت الإحصائيات في المملكة المتحدة أن موجة الصقيع في الشتاء عندما صحبته موجة تلوث للجو وبنفس النسبة كذلك في موجة حر مفاجئ لسنين أخرى كلها قد أثرت بشكل عام في ارتفاع حاد بعدد الأشخاص المرضى [illegible] ذلك [illegible] في حالات **الضغط الخارجي** (Stress) سواء في أشهر [illegible] البرد أو في أشهر الصيف الحار ، يصحبه انصباب ما اختزن في أنسجة الجسم من عناصر **التلوث البنزيني العطري** (Aromatic) ، وخاصة ما اختزن بالأنسجة الدهنية في الجسم ، تأخذ هذه العناصر في الانصباب في الدم مع ما يصحبها من الدهنيات ، فتنتشر خلال جدر الشرايين حيث تتجمع تحت القسم الداخلي من الجدار ، ولا تتسرب خلال بقية أقسام جدار الشريان أي الوسطى والخارجية لتصل إلى الأنسجة وتمتص في القنوات اللمفاوية لتذهب للغدد اللمفاوية حيث يتخلص منها أو تذهب للكلى والكبد فيتخلص الجسم منها عن هذين الطريقين . ولا تتسرب منها لأنه لكي تتسرب من خلال جدر الشرايين يجب على هذه المواد العطرية أو الدهنية كالكوليسترول أن تتحول إلى (أستيرات) بالاتحاد مع أحماض دهنية غير مشبعة توجد في الزيوت النباتية ، وتدبر وتسيطر على هذه التفاعلات خمائر وأنزيمات معينة تسمى (أيستيريزات) .

وبدخول هذه العناصر الملوثة للقسم الداخلي من جدار الشريان تساعد مع الكوليسترول الموجود معها على قيام تليف بهذا القسم (Intima) مع تكاثر الأنسجة الليفية والعضلية بالجدار (القسم الأوسط منه) وتعمل على بروز نتوءات بجدار الشريان مع تلف بهذا الجدار وتلونه بلون أصفر نتيجة لتغلب لون الدهون المختزنة فيه وهذه النتوءات في الشرايين الصغيرة والمتوسطة تعمل على انسدادها وبذلك تتجمع خثرة دموية بها وتسمى هذه العملية (**الجلطة الدموية**) .

● « مـواسم الشـمس المقبلـة » ، مجموعة قصصية للقـاص محمـد علي قـدس ، صدرت عن دار تهامة .

● « كلمـة ونصـف » ، لمحمـد حسين زيـدان ، صدر ضمن سلسلة « الكتاب العربي السعودي » عن دار تهامة .

● « أن تبحـر نحـو [redacted] قصيرة [redacted] السـقاف ، صـدرت في الرياض ، عن دار العلوم .

● « قضـايا سـياسية معـاصرة » ، للـدكتور فـؤاد عبد السلام الفـارسي ، صـدر عـن دار تهامـة ضمن سـلسلة « الـكتاب العربي السعودي » .

● « السـواك والعنـاية بـالأسنان » ، تـأليف الـدكتور عبد الـرزاق مسعود ، صـدر عـن الـدار السعودية للنشر والتوزيع .

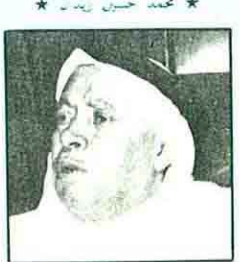
● « شـوق وشـوق » ، ديـوان شـعر للشـاعر عبد الوهاب إبـراهيم الآشي ، صـدر عـن الجمعيـة العـربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة « المكتبة السعودية » .

● « الشـوق إليـك » ، مسرحية شعرية تـأليف حسين عبـد الله سراج ، صـدرت عـن تهامة .

● « حلم في نجد » ، للشيخ علي الطنطاوي ، صدر عن دار الأصـالة للثقـافة والنشر بالرياض .

● « الأدب الشعبـي في الحـجاز » ، تـأليف عـاتق بـن غيـث البـلادي ، صـدر في طبعته الثانية بمكة المكرمة .


★ محمد علي قدس ★


★ محمد حسين زيدان ★

## مسابقات في الأدب

● أعلن المكتب الـرئيسي لرعاية الشباب بـالقصيم عن مسـابقته الأدبيـة وذلك في المجالات التالية :

★ المقال الأدبي تحت عنوان « عزوف الشباب عـن الـزواج وأثره على المجتمع » في صفحات لا تقـل عـن خمس ولا تـزيد على عشر ، وآخـر مـوعد ٢/١١/١٤٠٢ هـ .

★ القصة القصيرة تحـت عنوان « الإيمـان والأمـل » ، لا تقـل عـن ( ٤ ) صـفحات ولا تـزيد على ( ١٠ ) صفحات ، وآخـر مـوعد هـو ١٧/١١/١٤٠٢ هـ .

★ الشعر الموزون المقفى وذلك في قصيدة تحت عنوان « النهضة الشاملة في ربوع الوطن » ، لا يقل عدد أبياتها عن عشرين بيتاً ، وآخر موعد ٢٣/١١/١٤٠٢ هـ . ومما يـذكر أن المسابقة للجنسين من الشباب السعودي وقـد رصـدت جوائز للفائزين .

● كما أعلن نادي القصيم الأدبي عـن مسـابقته الأولى

### الوقاية

**لعل أهـم عنـاصر الـوقاية هـو تفـادي الثـالوث المرعـب وهو :**

● **أولاً** : الإفـراط في تنـاول الدهنيات والنشويات .

● **ثانياً** : التلوث وعناصره .

● **ثالثاً** : تفـادي الضـغوط الخارجية سواء النفسية أو العصبية أو الجسدية والإرهاق والإفراط بـالعمل ، أو تفادي الضغـوط الخارجية النـاتجة عن الارتفاع الحاد في درجة الحرارة أو الانخفاض الحاد بها .

**لـذلك ينصـح المصـابين بالضغط وتصلب الشرايين :**

( ١ ) عـدم الإفـراط في أكل اللحـوم والـدهنيات والمعجنـات والسـكريات والاعتـدال في المآكل والمشرب وعـدم الإفـراط في تنـاول الكحول أو التدخين .

( ٢ ) عدم التعرض لجو ملوث كالبعد عن مصادر التلوث ، وينصح في إنشاء المصحات الخاصة لمعالجة مثل هؤلاء المرضى أن تبعد عـن جـو المدينة الملـوث الصـناعي ، وعـن المواصلات المزدحمة والشوارع الملوثة بفضلات عـوادم الآليـات السيارة ، والإكثار من الأشجار والحدائق المحيطة بهذه المصحات وتهوية جـو عنـابر المرضى كلما ازدادت نسبة التلوث بهـا عن الحد المسموح بـه وذلك بتمرير تيار هوائي نقي بهذه العنابر بـين حين وآخر .

( ٣ ) عـدم التعـرض للضـغط الخارجي أو الإفراط في التعـرض لـه ( Under Stress ) إذ ينصح رجـال السياسة ورجال الأعمال والمفـكرين وهـم أكثر النـاس عـرضة لانسـداد الشرايين بعـد تصلبها ، ينصح كل هؤلاء بفترات راحة ينقطعون فيها تماماً عن جو الضغط والمؤثرات الخارجية .

كما يمنـع المرضـى بتصـلب الشرايـين والمعرضين لانسدادها مـن التعرض للإعياء الجسدي أو البقاء في جو قـارس البرودة أو جـو شـديد الحـرارة ، ويجـب أن يـراعى في المصحات الخاصة لمثل هؤلاء المرضى بتكييف الجو بها على نحـو يـلائم الـدرجة المقبـولة للحـرارة لا ارتفـاع ولا انخفاض . أما الـذين يعيشـون في منازلهم فينصحوا بالذهاب للمصـايف أو المشاتي حسب اللزوم .

### العلاج

لقـد كان العـلاج لمثـل هـذه الأمراض صعباً ولا يزال ، إنما هنـاك مـن التجـديدات في فهمنـا لمسببات المرض واختراع بعض الأدويـة الـتي تسـاعد على تـوقيف المرض وتسـهيل العناصر الملونة العطرية مع ما يصحبها مـن الـدهنيات والـكوليسترول مـن التسرب من الجـانب الـداخلي لجدار الشريان إلى الجدار الخارجي وذهـابها للأنسجة وامتصاصها . كما يوقف من تكاثر وتليف النسيجين العضلي والليفي الموجودين بجدار الشريان وهذا الـدواء هو مركّب الـ ( سيناريزين ) .

كما أننا علمنـا ممـا تقـدم أن الكوليسترول والمواد العـطرية البـنزينية لا تـتسرب من جدار الشريـان إلا إذا تحولت إلى ( استيرات ) وذلك بفضل أنـزيمات خـاصة ( اسـتيريزات ) . فتقاس نسبة هذه الخمائر بالدم ، فـإذا وجد أنها تنقص عن المعدل الـطبيعي ينصح بإعطاء هذه الأنزيمات بـواسطة الحقن العضلية أو عن طريق تنـاولها بالفم بشكل أقراص مغلفة .

أما الأحماض الدهنية غير المشبعة فتوجد بكثرة بـالزيوت النبـاتية وهـي ضرورية لتتحد مـع الكوليسترول أو مع العناصر الملونة البـنزينية العـطرية لتكون ( استيرات ) ممـا يسـهل من تسربها خلال جدار الشريـان فتمنـع العمل على انسداده .

**د . عصام غنيم**






لموسم ١٤٠٢/١٤٠٣هـ ، وذلك في مجال ( المقال الأدبي ) للجنسين من الأدباء والناشئة . هذا وقد وضع موعداً آخر هو يوم ١٤٠٢/١١/٣٠هـ ، لتلقي الإنتاج وذلك في مجالات متعددة وضمن أحد الأطر التالية :

★ الصورة الشعرية عند بعض الشعراء كابن الرومي ، أو عمر أبو ريشة مثلاً .

★ الحنين إلى الوطن في شعر شعراء المهجر .

★ الطبيعة في الشعر الأندلسي .

★ القضية الفلسطينية في الشعر السعودي المعاصر .

★ قصائد « الحج » في الشعر السعودي .

وذلك بشرط أن تكون الدراسة جديدة ولم يسبق نشرها ، وفي حدود ثمان صفحات . وقد رصدت جوائز للفائزين .

فلسطين

## * كتب جديدة *

● « الآثار الاقتصادية لاتفاق كامب ديفيد » ، **دراسة للدكتور عاطف قبرصي**، صدرت عن **مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت** وبتمويل من الغرفة التجارية والصناعية **بالكويت**.

# نافذة

## المدنية الشرقية

في البلاد العربية عدد هائل من **الجمعيات الخيرية** المتنوعة الأهداف لخدمة كل ما يعود بالنفع العام على المجتمع .

كما يوجد عدد من **الكليات والجامعات والمدارس** التي تخرج كل سنة عدداً من أشهر الأطباء والمحامين والمهندسين والمعلمين .

هذا عدا عن **الصحف والمجلات** التي لا يوجد مثلها في العالم من حيث الأناقة والتبويب والأدب والبحوث العلمية والاجتماعية والرقي الصحيح .

وأظن بأن هذا دليل قاطع على تقدم البلاد من حيث الثقافة والأدب .

هذا بغض النظر عن **المصانع والمعامل** المنتشرة في أنحاء البلاد العربية .

ومع ذلك فالغرب لا يزال يتّهمنا بالتأخر والرجعيّة وفي أكبر مدنه لا يوجد عدد يفوق هذا العدد .

**فالتاريخ يحدثنا أن الحضارة كانت نتيجة تفكير العرب وآرائهم يوم كان الغرب يأكل لحم الإنسان ويستضيء بشعاع الحطب .**

ثم حمل العرب فلسفتهم وحضارتهم إلى الغرب وسيّره على هدايتها ، وانقلب الزمن فإذا بالغربي ينظر إلى الشرقي نظرة احتقار ناسياً ، أو متناسياً أن كل علم وفلسفة ومعرفة هي من هذه الفئة التي يتّهمها بالتأخر والرجعيّة .

# أخبار الغد

## أطلس وطني للمملكة

●● **يقوم مركز البحوث بكلية الآداب** التابعة **لجامعة الملك سعود بالرياض** بإعداد **أطلس وطني للمملكة** يشتمل على معلومات اقتصادية وسكانية واجتماعية ، كما يشتمل على رصد وتحليل لآراء المستمعين والمشاهدين لبرامج الإذاعة والتلفزيون ، ويحث مشكلة غلاء المهور وارتفاع تكاليف الزواج ، كما سيشتمل على العديد من الدراسات والبحوث العلمية التي تهم المجتمع .

## معجم للمصطلحات الحشرية

●● **ستنظم « الجمعية العربية لوقاية النبات » في الجامعة الأردنية** خلال الفترة من ٢٢ ــ ٢٩ نوفمبر ( تشرين الثاني ) عام ١٩٨٢م ، مؤتمرها العلمي العربي الأول لوقاية النبات يدعى له نخبة من المهتمين ، وستناقش فيه عدة أمور ولعل من أهمها :

★ **مناقشة مشروع معجم المصطلحات الحشرية** الذي أعده الدكتور **غازي الحريري** بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب **بالرباط**.

## جائزة لأفضل مجموعة قصصية مترجمة

●● أعلنت **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** عن تخصيص جائزة قيمتها ( **ألفا دولار أميريكي** ) لأفضل **مجموعة قصصية مترجمة إلى العربية** عن إحدى اللغات الأجنبية ، وذلك ضمن شروط أهمها :

★ أن تكون الترجمة قد تمت من اللغة الأجنبية الأصل إلى العربية الفصحى .

★ أن تكون المجموعة القصصية المترجمة مطبوعة ولا يقل عدد صفحاتها عن ( ١٥٠ ) صفحة .

★ أن تكون قد صدرت بين مطلع عام ١٩٧١م ، ونهاية عام ١٩٨٠م .

★ ألا تكون قد نالت جائزة تشجيعية أو تقديرية من أية جهة كانت .

مع العلم أن فترة المشاركة تنتهي بنهاية شهر ( سبتمبر ( أيلول ) من هذا العام ١٩٨٢م ) على أن يرسل المشترك سبع نسخ من المجموعة القصصية المترجمة ، ونسخة واحدة من الأصل الأجنبي إلى المنظمة ( **بتونس** ) .

## معرض عربي متنقل

●● **يعتزم مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي تنظيم معرض عربي متنقل يطوف** ( ٢٠ ) مدينة فرنسية ، ويهدف إلى المساهمة

حتى أصبحنا نحن أنفسنا ننظر إلى كل عمل يقوم به الغرب نظرة إعجاب وإكبار حتى وإن كان قنابل فتّاكة .

ولكن ليس العار أن تقول عنا الدول الأجنبية ما تشاء لأننا لو لم نكن حسكة في حلقومها لم تخصّص الأفلام للتشهير بنا ، وتجريدنا من معنى المدنية الصحيحة .

ولكن كذب فألها فالحقيقة تظهر وإن شوّهتها عشرات الأفلام . والشمس في رابعة النهار لا تستحيل ظلاماً قاتماً وإن أنكرها مئات العميان .

قد ينكر الغرب مدنية العرب ، ولكن لا يمكنه إنكار شجاعتهم .

قد يغمض العيون عن ثقافتهم ، ولكنه يفتحها مرغماً على كرمهم ووفائهم .

ليت الغرب يدرك هذه الناحية : اجتماع عربي يؤلف كتلة لمحاربة الاستعمار ، وجمعية لتعزيز الأدب .

وإجماع غربي يؤلف حلقة من الأحاديث عن كرة القدم ، وعن سباق السيّارات والخيل .

اجتماع سيّدات شرقيّات يؤلف كتلة لمكافحة الأمية وتعزيز المرأة ورفع مستواها .

واجتماع سيّدات غربيّات يؤلف حلقة من الأحاديث عن الفساتين والأقراط والأحذية .

الشرقية في نظرهم « متأخرة » لأنها تحدثك عن العائلة والمطبخ والحقل . والغربية « متمدنة » لأنها تحدثك عن السينما والموضة والرقص .

إذا اجتمعت بصديق شرقي فلا يحدثك عن كرة القدم ولا عن سباق السيّارات والخيل .

الشرقي يحدثك عن كرم العرب ووفائهم . يحدثك عن حقه المهضم ، يحدثك عن معنى المدنيّة الصحيحة التي لم تزخرفها بعد عادات الغرب وشوائبهم .

الشرقية تستحي أن تخرج إلى الشارع إذا كان ولدها سيّئ الأخلاق ، أو مقامراً ، أو سكيراً في حين أنها لا تستحي إذا خرجت وكان حذاؤها بغير لون الفسطان ، أو كانت قبعتها عادية لا تزينها قبضة من الريش – كما تفعل الغربيّات – لذلك يرمونها بالتأخر والرجعيّة لأن المدنيّة في نظرهم : حذاء وقبّعة وفسطان بلون واحد .

أنا أفهم المدنية عدالة وحقاً وحرية . فهل أنجب أو سينجب تاريخ الغرب حاكماً واحداً يقول :

**« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .**

**يوسف قنصل**
**الأرجنتين**

في نشر اللغة العربية والثقافة والتراث العلمي العربي والإسلامي . سيشتمل المعرض على لوحات يقوم بعملها فنانون من مختلف الفئات وذلك مقابل مكافآت مجزية لأصحاب اللوحات المشاركة تعطى من قبل المكتب

## مسابقة في القصة

●● **أعلن نادي القصة السعودي** المنبثق عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون** بالرياض عن مسابقته الثانية في فن القصة القصيرة بين كتّاب هذا اللون وكاتباته ، على أن تكون **موضوعات القصص مستلهمة من البيئة المحلية ومعبرة عنها** وذلك ضمن شروط أهمها :

★ أن يكون العمل غير منشور من قبل .

★ أن يقدم من ثلاث نسخ مكتوبة بالآلة أو بخط واضح دون الاسم الصريح على أن يكتب في ورقة منفصلة .

★ أن يكون للجمعية حق نشره ضمن إصداراتها .

## * كتب جديدة *

● **« تاريخ الشعر المعاصر من شوقي حتى صلاح عبد الصبور »** ، مجلد ، سيصدر عن **لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة** وسيتضمن أشعاراً للشعراء الذين مروا بهذه الفترة .

**الأردن :**

## ندوة الفكر الإسلامي

عقدت في **( عمّان ) الندوة الثالثة للفكر الإسلامي** ، استمرت ثلاثة أيام ، ونوقشت فيها :

★ الأمور المتعلقة بإقامة معرض دولي متنقل للقدس العربية المحتلة لعرض واقع المدينة ، وما تتعرض له من انتهاكات صهيونية ، تهدف إلى طمس وجهها العربي المسلم .

★ إعداد مشروع لجميع نشرات التراث الإسلامي في المدينة المقدسة .

★ مناقشة سبل تحسين وتطوير عملية الوعظ والإرشاد .

إلى غير ذلك من الأمور الهامة .

**تونس :**

## مؤتمر عن الغزو الثقافي الصهيوني

عقد **بتونس العاصمة** تحت إشراف وتنظيم **« دار الثقافة – ابن رشيق » مؤتمر « الغزو الثقافي الإمبريالي الصهيوني للأمة العربية »** ، حضره عدد من المفكرين والمثقفين العرب ، وذلك بهدف مناقشة أبعاد ، وأشكال ، وواقع الغزو الثقافي الصهيوني ، وكذلك التتبع التاريخي لأشكال الغزو وامداداته في حياتنا العربية المعاصرة ، والتعرف على أساليب الغزو وأسلحته لغزو العقل



# في الوطن العربي

العربي، وبالتالي التسلل إلى الثقافة العربية، وتوعية الجماهير من هذا الغزو.. إلى غير ذلك من الموضوعات الهامة التي تتعلق بهذا الموضوع.

**السودان:**

## معجم زراعي

أصدرت **المنظمة العربية للتنمية الزراعية في الخرطوم الجزءين الأول والثاني** من **(المعجم العربي الزراعي في ألفاظ العلوم الزراعية ومصطلحاتها)**، يتناول الجزء الأول الإنتاج النباتي «المحاصيل الحقلية»، والثاني «الإنتاج الحيواني».

وكلا الجزءين يقعان في مائتي صفحة مشتملة على المصطلحات العربية والإنجليزية والفرنسية، مع تعريفات لها باللغات الثلاث. رتبت مداخل المعجم بحسب المصطلحات العربية، مع كشافين للمداخل الإنجليزية والفرنسية. المعروف أن هذا العمل قد تم بالتعاون بين المنظمة ومكتب تنسيق التعريب **بالرباط** التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

**المغرب:**

## معرض للكتاب التونسي

**أقيم (بالدار البيضاء) معرض للكتاب التونسي** وذلك تحت إشراف وتنظيم **الدار التونسية للنشر**، اشتمل المعرض على (١٥٠٠) عنوان ما بين كتب علمية وأدبية وفكرية وتربوية، إضافة إلى (١٢٦) عنواناً مغربياً ألفها (٣٨) كاتباً وأديباً مغربياً. هذا وقد خصص جناح لقصص الأطفال. استمر المعرض أسبوعاً وزاره العديد من المهتمين.

**العراق:**

## وفاة بلند الحيدري

توفي الشاعر العراقي المعروف بلند الحيدري عن ٦٠ عاماً.. والمعروف أن الشاعر من أكراد السليمانية.. من أسرة عراقية، تلقى دراسته في بغداد حيث درس الرياضيات والمحاسبة.. وهو يعتبر من جيل السياب، ونازك.. صدرت له خمسة من الدواوين الشعرية.. انتقل إلى بيروت حيث عمل بالنشر، وبعض الأعمال التجارية.. كان عضواً في اتحاد الأدباء العرب.

**سورية:**

## * كتب جديدة *

● **«صراع في جزيرة الذهب»، رواية للأطفال،** تأليف **الأديب اليمني عبد المجيد القاضي**، صدرت عن **اتحاد الكتّاب العرب بدمشق**.

**مصر:**

## «الحياة»

اسم صحيفة أدبية أسبوعية صدرت بالقاهرة عن **اتحاد الجمعيات الأدبية في مصر**، برأس تحريرها الكاتب الصحفي **فتحي سلامة**. تضمن العدد الأول منها عدة مواضيع وأحاديث مع كبار الأدباء، منهم توفيق الحكيم وغيره.

## تكريم الأديب الراحل «الشايب»

★ زهير الشايب ★



**أقام نادي القصة بالقاهرة**، حفل تأبين **لفقيد الأدب والصحافة الكاتب المرحوم (زهير الشايب)**، حضر الحفل العديد من الأدباء والنقاد، وقد تحدث الحاضرون في الحفل عن **(زهير)** القاص، والمترجم، وكيف أنه ترك خلال حياته القصيرة بصمات واضحة في الحياة الأدبية والصحفية.

## أسباب تدهور الكتاب العربي

خلال السنوات العشر الماضية، أصيبت حركة النشر في الوطن العربي بتدهور خطير... **هذا ما أكده التقرير الذي صدر عن منظمة (اليونسكو)** التي تتخذ من **(باريس)** مقراً لها، وذلك عن موقف الثقافة العربية في السبعينات وأوائل الثمانينات.

قال التقرير إنه في عام ١٩٦٥م، صدر في الوطن العربي (٥١٩٩) كتاباً، وإن هذا الرقم انخفض في عام ١٩٨١م، إلى (٢٨٥٠) كتاباً، ولأن عدد السكان ازداد في جميع الدول العربية، ونسبة المتعلمين قد ارتفعت، وبالتالي ارتفاع عدد القراء فقد كان من المتوقع أن يرتفع عدد الكتب الصادرة في الوطن العربي إلى عشرة آلاف كتاب على الأقل!.

وعن حركة النشر يقول التقرير إن **(بيروت) تسيطر على حوالي ٦٠٪ من حركة النشر في الوطن العربي**، حيث أصدرت في عام ١٩٨١م، (١٦٥٠) كتاباً، في حين أصدرت بقية الدول العربية مجتمعة (١٢٠٠) كتاب، أما في عام ١٩٦٥م، فقد كانت **(القاهرة)** هي العاصمة الأولى في حركة النشر العربي، حيث أصدرت في ذلك العام (أي عام ٦٥م) (٣٢٥٥) كتاباً، في حين أصدرت بيروت (٣٧٣) كتاباً فقط، **ودمشق** (٤٥٨) كتاباً، **وبغداد** (٢٦٨) كتاباً، **وتونس** (٢٠٠) كتاب، **والأردن** (١٦٢) كتاباً، **والمغرب** (١٦١) كتاباً، **والجزائر** (١٣١) كتاباً، **والكويت** (١١٣) كتاباً، **والخرطوم** (٨٣) كتاباً.

وعن أسباب هذا التدهور في حركة التأليف والنشر يقول التقرير إن هناك عدة أسباب من أهمها **دخول التليفزيون إلى البلاد العربية**، وبالتالي تراجع عادة القراءة لدى الأجيال الجديدة.

وأشار التقرير إلى ارتفاع سعر الكتاب العربي بشكل مبالغ فيه... فمنذ عام ١٩٦٥م، وحتى ١٩٨١م، تضاعف ثمن الكتاب أكثر من عشر مرات!!.

## التحذير من الترجمة الأوردية !

**اهتماماً بكتاب الله الكريم ، وجهت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي** نداءً إلى جميع المعاهد والمراكز الإسلامية والمساجد في جميع أنحاء العالم ، بعدم تداول (نسخ معاني القرآن الكريم باللغة الأوردية) التي كتبها :

★ **أحمد محمد خان .**

والتفسير الذي كتبه :

★ **محمد نعيم الدين داد أبادي .**

إذ إن هذه النسخ تحتوي على كثير من الأغلاط والأكاذيب والبدع والخرافات . ومما يذكر ، أن الترجمة قامت بطبعها « شركة تاج المحدودة » . كما حذر من هذه الترجمة أيضاً الرئيس العام **لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإفتاء والإرشاد .**

ومما يذكر أن الفقيد قد قام بترجمة **الموسوعة العلمية (وصف مصر)** .. أصدر منها **(سبعة) مجلدات** قبل وفاته ، وستصدر ثلاثة أخرى تباعاً ، وكان قد حصل من أجل ذلك على جائزة الدولة التشجيعية في الترجمة سنة ١٩٧٩ م . ومن مؤلفاته :

★ المجموعة القصصية « **المطاردون** » .

★ والمجموعة القصصية « **حكايات من عالم الحيوان** » .

★ ورواية « **المصيدة** » .

[illegible]

★ **مسرحية سارتر « موتى بلا قبور »** .

★ كتاب « **تطور مصر من سنة ١٩٢٤ م ، حتى سنة ١٩٥٠ م** » .

★ كتاب « **فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية** » .

## جائزة في العلوم السياسية

تقرر في مصر إنشاء جائزة كبرى باسم **رائد العلوم السياسية الراحل الدكتور « أحمد سويلم العمري »** ، تمنح كل عام لأحسن بحث يقدم في :

★ العلوم السياسية .

★ والعلاقات الدولية .

والجائزة تمنحها « **الجمعية المصرية للعلوم السياسية** » التي قام بتأسيسها الدكتور العمري منذ أكثر من ربع قرن ، وتولى رئاستها لسنوات عديدة .

وكانت الجمعية قد أقامت مؤخراً حفل تأبين للدكتور العمري الذي توفي عن (٨٧) عاماً ، شارك فيه العديد من أساتذة الجامعات ورجال السياسة والاقتصاد .

المعروف أن **الدكتور أحمد العمري** هو أول من **تخصص في العلوم السياسية في الجامعات المصرية ، وأول أستاذ لهذا الفرع من فروع المعرفة الإنسانية ، وأول رئيس لقسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة ، وكذلك أول مدير لمعهد العلوم السياسية عند إنشائه في الخمسينات .**

**وللدكتور العمري كتب وأبحاث كثيرة في مجال تخصصه من أبرزها :**

★ « الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين » .

★ « البترول في السياسة الدولية » .

★ « دراسات في المجتمع العربي » .

★ « صراع البترول في العالم الغربي » .

★ « التفرقة العنصرية » .

★ « الإفريقيون والعرب » .

★ « النظم السياسية الحديثة للدول العربية » .

★ « الفلسفات السياسية الإسلامية » .

**الجزائر :**

## التنمية والثقافة والمجتمع .. في ندوة

عقدت في **(الجزائر)** العاصمة ندوة دولية حول « **التنمية والثقافة والمجتمع** » ، **اشترك فيها مئات الأخصائيين والباحثين** من (١٥) دولة ، وذلك تحت إشراف وتنظيم « **جامعة الجزائر** » وبالتعاون مع **مركز الأبحاث والتوثيق (فابارايو) ٧٤** في روما ، وتحت **رعاية منظمة (اليونسكو)** .

حضر الندوة وفود من **إيطاليا وتونس وفرنسا وأمريكا وتركيا وبريطانيا والهند واليونان وتنزانيا وإسبانيا ويوغوسلافيا واليابان وساحل العاج والجزائر ومنظمة التحرير الفلسطينية** ، جرى تحليل حوالي عشرين بحثاً في الندوة تناولت الأزمة الاقتصادية ، وطبيعة وأشكال التغيرات الاجتماعية والأزمات الاجتماعية .

**الكويت :**

## * كتب جديدة *

● « **الصحافة وروادها في الكويت** » ، تأليف **المرحوم عبد الفتاح المليحي** ، صدر في **الكويت** .

● « **الحشرات الناقلة للأمراض** » ، تأليف **الدكتور جليل أبو الحب** . صدر ضمن سلسلة « **عالم المعرفة** » **الكويتية** .

**لبنان :**

## * كتب جديدة *

● « **تاريخ العالم** » ، تأليف **أوروسيوس** . حقق الترجمة وقدم لها **الدكتور عبد الرحمن بدوي** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت** . المعروف أن هذا الكتاب سبق أن نقل إلى العربية في منتصف القرن الرابع الهجري .

● « **في ظلال سورة الأنفال** – دراسة موضوعية موسعة » ، **للشيخ محمد جعفر شمس الدين** ، صدرت عن **دار التعارف للمطبوعات ببيروت** .

● « **قضية فلسطين في سيرة بطل** – الشهيد عبد القادر الحسيني » ، تأليف **نبيل خالد الآغا** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت** .





## في العالم

**كندا**

*** أحدث الكتب ***

● «صوت الإنسانية»، تأليف الصحافي البريطاني **أنطوني فريدريك**، صدر في «**منتريال**» **بكندا**.

**تركيا**

### أسبوع ثقافي تونسي

**في مجال التعاون الثقافي والفني** بين **تونس وتركيا** أقيم **أسبوع ثقافي تونسي**، اشتمل على معرض للكتاب، ومحاضرات، وندوات، ومعارض للفنون التشكيلية، وعروض للفنون الشعبية.

**الهند**

*** أحدث الكتب ***

● «**دور الحديث النبوي في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته**»، تأليف سماحة **الشيخ أبو الحسن الندوي**، صدر عن **المجمع الإسلامي العلمي بلكهنو ـ الهند**.

**ألمانيا**

### معرض للكتاب

**أقيم في (برلين) معرض للكتاب المخصص لأدب آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية**، وذلك في الطبعات الصادرة باللغة الألمانية، ويعد المعرض جزءاً من المعرض المعروف باسم «**أفق ٨٢**» الذي يعرض ثقافة العالم، والمخصص في العام الحالي لأميركا اللاتينية. ضم المعرض (٣٨٠) مؤلفاً من إصدار (٩٠) ناشراً.

*** أحدث الكتب ***

● «**تاريخ الإسلام في ألمانيا**»، تأليف **الألماني المسلم محمد عبد الله**، صدر في **ألمانيا الغربية**.

**بريطانيا**

*** أحدث الكتب ***

● «**مجموعة مقالات بيكاوست**»، صدر في **الأسواق البريطانية**.

● «**ألبير كامي**»، تأليف الكاتب البريطاني **بارتربك**، صدر في **الأسواق البريطانية**.

★ ألبير كامي ★



● «**هجرة العودة الفلسطينية**»، للكاتب **ولي كروفورد**، كتاب صدر بالعربية في **لندن**.

● «**الفصل الأول**»، تأليف **جوان واتس**، صدر في **سلسلة الكتب** التي تتحدث عن «**الريجيم**» **ببريطانيا**.

**الصين**

*** أحدث الكتب ***

● «**ابن جني عالم الصوتيات**»، تأليف **الدكتور محمد حسن باكلا**، صدر عن **جامعة تايوان الوطنية**.

**روسيا**

### روايات الطيب صالح إلى الروسية



**تمت ترجمة ثلاث روايات** للكاتب السوداني **الطيب صالح** إلى الروسية. الروايات هي:

★ «**عرس الزين**».

★ «**موسم الهجرة إلى الشمال**».

★ «**بندر شاه**».

وكانت رواية «**موسم الهجرة إلى الشمال**» قد نشرت في مجلة «**الآداب الأجنبية**» عام ١٩٧٥م، ولاقت استحساناً من قبل القراء السوفييت، والمعروف أن ترجمة هذه الروايات ستصدر عن إحدى دور النشر السوفيتية المعروفة والمهتمة بالتراث والمؤلفات العربية.

**أندونيسيا**

*** أحدث الكتب ***

● «**جالية الكدر بذكر أسماء أهل البدر** وشهداء أحد السادة الغرر»، تأليف **السيد جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي**، والكتاب عبارة عن منظومة رائية شرح غريب ألفاظها وعلّق عليها **فضيلة الدكتور السيد محمد علوي المالكي الحسني**، صدر في سرابايا **بأندونيسيا** عن **دار السقاف للطباعة والنشر**.

**أمريكا**

### وفاة هيلين دتشي

**فقدت الأوساط العلمية الأميركية العالمة النفسية السيدة** «**هيلين دتشي**» التي تتلمذت على يد (فرويد) في آخر أيام حياته. المعروف أن دتشي ولدت عام ١٨٨٤م، **وهي من أصل بولندي** درست التحليل النفسي في **فيينا** عام ١٩١٨م، وتولت **إدارة معهد التحليل النفسي في فيينا**، ثم هاجرت إلى أميركا عام ١٩٣٤م، وفيها بقيت حتى توفيت أخيراً.

### ذكرى وفاة العالمة «راشيل»

**احتفلت** الأوساط العلمية بالولايات المتحدة **بالذكرى**

الثامنة عشرة لوفاة العالمة الأمريكية «راشيل كارسون» وذلك بإقامة أمسية أشادت فيها بمجهوداتها، ووصفها العلماء بأنها أول من نادى بخطورة استعمال المبيدات الحشرية والزراعية التي يدخل في تركيبها المواد الكيميائية على الإنسان، وكان هذا من خلال كتابها الشهير (**الربيع الصامت**) الذي صدر عام ١٩٦٢ م، والذي يعتبر **أول خطوة إيجابية على طريق الحملة الحديثة ضد تلوث البيئة**، وقد ترتب على هذا القول الذي تضمنه الكتاب إنشاء وكالة حماية البيئة بأمريكا.

**إيطاليا:**

## أحمد عبد الجبار والجائزة الأدبية

**حصل السيد «أحمد عبد الجبار»** سفير المملكة العربية السعودية في إيطاليا **على الجائزة الأدبية** لمؤسسة **سانتينو**، وتعد **أكبر جائزة أدبية في إيطاليا** تمنح سنوياً من قبل رئيس الجمهورية الإيطالية للإيطاليين، أو الأجانب من قبل **الجمعية الثقافية الإيطالية «مايكل أنجلو»**، وقد حصل عليها السيد (عبد الجبار) بعد أن ترجمت أشعاره إلى الإيطالية، منحت له الجائزة في حفل خاص وذلك يوم ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ م، استمر يومين حضره رئيس الجمهورية ووزير الثقافة ووزير السياحة وعدد كبير من رجال الأدب في إيطاليا. ومما يذكر أن هذه الجائزة **قد منحت في السنة الماضية ١٩٨١ م، لرئيس مجلس الوزراء الإيطالي**.

**فرنسا:**

### وفاة «جان فورتون»

**توفي** عن (٥١) عاماً **الروائي الفرنسي «جان فورتون»** الذي اشتهر بصداقته وارتباطه بالكاتب الفرنسي (جيران) الذي عاش حياة حزينة، مما أثر في جان فورتون وجعله يكتب روايته الشهيرة «**انطفاء بريق العينين**» التي نال بها عام ١٩٥٧ م، **جائزة «دويكور» الأدبية**. من رواياته الشهيرة «**الرمال المتحركة**» و«**الألم الكبير**».

### وفاة «مارسيل دوجاريك»

توفيت «**مارسيل دوجاريك دي لافيار**» إحدى مشاهير الموسيقيين ومؤسسة جائزة «الأبونلانجيه» الموسيقية في عام ١٩٦٥ م، كما أنشأت مارسيل قائمة موسيقية كبيرة عزف فيها العديد من المشاهير في الموسيقى. المعروف أن مارسيل تلميذة أستاذة الموسيقى الفرنسية الشهيرة «**ناديا بونلانجيه**» الأمر الذي دعاها إلى تأسيس جائزة باسمها تخليداً لذكرى أستاذتها.

### معرض للرسام «كيوكو»

أقيم في «**متحف الفن الحديث**» بالعاصمة الفرنسية معرض للرسام الفرنسي المعاصر، «**كيوكو**» الذي يبلغ من العمر (٥٣) عاماً، ضم المعرض مجموعة من اللوحات الفنية التي تمثل في مجملها «الطبيعة والخضرة». من أشهر اللوحات التي عرضت لوحة «الأعشاب الخضراء» و«لوحة الأزهار».

### حماية حقوق المؤلفين

عقدت في باريس ندوة **– حماية حقوق المؤلفين –** «**الويبو**» التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، استمرت سبعة أيام واشتركت فيها الدول الأعضاء «بالويبو» وهو الاسم المعروف «**للجنة حماية حقوق المؤلفين**» التي تعقد اجتماعاتها بصفة دورية.

### * أحدث الكتب *

● «**لا ماركيز دي سيتي**»، سيرة ذاتية عن الكاتبة **روجيه وشين**، صدر في **باريس**.

● «**الأعمال**»، كتاب جديد للكاتب الإنجليزي **جوزيف كونراد**، صدر في **باريس**.

● «**مع بونابرت في مصر وسورية**»، تأليف **فرانسوا بونوير**، صدر في **الأسواق الفرنسية**.

● «**السيدة البولندية**»، تأليف **لورا بونان**، صدر في **باريس**.

● «**خبز الغريب**»، رواية، تأليف **الروائي الفرنسي المعاصر هنري ترويا**، صدرت في **باريس**.

● «**مذكرات ما وراء القبر**»، تأليف **شاتوبريان**، صدر في **باريس**.

● «**المسلمون السوفييت**»، تأليف **فنسان مونتاي**، صدر في **باريس**.

**ماليزيا:**

### «الدكتوراه الفخرية» لمدير جامعة الإمارات

**منحت «جامعة كوالالمبور» في ماليزيا الدكتوراه الفخرية للدكتور «عز الدين إبراهيم»** المستشار الثقافي لرئيس دولة الإمارات العربية المتحدة **ومدير الجامعة فيها**. المعروف أن رئيس وزراء ماليزيا قد أصدر قراراً بالمنح بناء على توصية من مجلس الجامعة الماليزية، وذلك تقديراً لخدمات الدكتور عز الدين على المستوى الإسلامي وبخاصة في ميدان التعليم العالمي.

# افكار

## منشورة

●● الصورة العربية للأسف في العالم الغربي برأيي لا تشترى بالمال ، إذا أردنا الإعلام ، العملية ليست عملية فلوس ، الأموال تساعد بشكل أو بآخر ، لكن يمكن الوصول إلى الإنسان الغربي بوسائل أخرى ، خصوصاً الإنسان العادي ، لأن الإنسان العادي تسيطر عليه وسائل الإعلام ، يعني مسيراً بوسائل إعلامه وهذه من الأمور التي يجب أن نعلمها في جميع دول الغرب ، ولكن هناك منافذ يمكن الواحد أن يصل إليها بشرف وبصراحة ، وبوضوح حتى نستطيع أن نغيّر الصورة البشعة عن الإنسان العربي في العالم الغربي ●●

الأمير طلال بن عبد العزيز
جريدة « الرياض »



●● إن الرقيق المولود في قيد العبودية ، والناشئ فيها لا يأسى على فقدان الحرية ، لأنه ما عرفها ولا ذاق طعمها . إن الذي يأسى عليها إن فقدها هو الحر الكريم الذي عاش عليها ●●

علي الطنطاوي
مجلة « المسلمون »



●● مشكلتنا مع المدارس النقدية العالمية هي مشكلتنا ذاتها مع المدارس الأدبية العالمية . . عندما نسمح بظهور واحدة منها نأتي بها فوراً إلى بلادنا لنجعل منها « موضة » أو « تقليعة » وهذا يرجع إلى صميم العلاقة التي أقمناها مع الغرب ، من منطلق عقدة النقص تجاهه .

في بدايات نهضتنا لم نسأل : نحن متخلفون ، كيف يمكن أن نحضر من جديد ؟ بل إن النهضة بدأت بسؤال : نحن متخلفون ، كيف يمكن أن نلحق بالغرب ؟ فبات حضورنا الأدبي ، ومن ثمة النقدي ، حضوراً بالنسبة إلى ما نسترفد من الغرب . لم نقم العلاقة على أساس أن ما ابتدعه الغرب من تجارب يشكل تجربة تخط بالنسبة إلينا . كما أننا لم نقم علاقتنا مع الغرب على أساس الإفادة من خبرته ، ولكي نتمثل الروائع التي أدركها ، لنصل إلى روائع مماثلة تخصنا .

كل أمة هي مسؤولة عن التطور الإنساني ككل . فأنا أكون ، ليس بمقدار ما أعيد غيري بل أنا أكون بمقدار ما يمكن أن أحضر كإنسان فرد ، وكأمة ترق التجارب التي انتهى إليها الخط الإنساني ككل ●●

د . مناف منصور
مجلة « الأسبوع العربي » اللبنانية



●● العمل في الصحافة اجتهادات ، وقد يخطئ المجتهد وتخطئ حساباته ، وقد تفوت عليه أشياء لا يدركها إلا بعد أن تخرج من يده فتحسب عليه ، بجانب رصيده الكبير من الإيجابيات . والعمل في الصحافة بناء جاد وعمل متواصل ومعاناة وقلق وتخوف من الانزلاق ، وقد يخطئ التقدير كما تخطئ الحسابات . . فتتجسم المسؤولية ويصبح هذا العمل متاعب ●●

عبد الفتاح أبو مدين
جريدة « المدينة » ـ جدة



سيف بن ذي يزن قيل من أقيال اليمن وعواهلها ، لعله كان أشهر الأقيال ، لأن ملحمته التي جمعت الحقيقة والأسطورة قد ساهمت في إعطائه الحظوة أن يعرفه الكثير من المثقفين والأكثر من القراء العاديين .

فالحقيقة .. التاريخ ، والأسطورة .. الأحلام ، والعشق للماضي ، قد اصطدمت كل منهما في عراك مع الأخرى . فالحقيقة من تاريخ هذا البطل العربي ينظر إليها المستعجل أنها أسطورة ، والأسطورة ينظر إليها المثقف المستأني على أنها الحقيقة .

فقد تزاوجت الأسطورة والحقيقة في هذه الملحمة .. تضفي على هذا البطل مجداً ، لم يكن الصانع لأكثر ما عظم منه .. بل إن عظمته قد اختطفت عظمة « التتابعة » .. كأنه الخلاصة « لتُبّع » كلها . فلئن قلنا إنه من نسل ذي القرنين المصعب بن الحارث اليمني القحطاني .. فإنا لن نبتعد عن الحقيقة ، فإن بعد به النسب فالقيم التي أسسها الحسب تجعله حين صان الميراث القريب كل القرابة للذين كانوا قبله من الأقيال .

وحين أكتب عنه الآن .. سأبتعد عن الملحمة ، فالذي يقربني هو أن المعركة التي خاضها سيف بن ذي يزن لتخليص اليمن من الاستعمار الحبشي ، وتسليط الاستعمار الفارسي تعطينا صورة عما هو واقع الآن ، فلنحاول « الجغرفة » ، ولنقترب من تحديد التاريخ ، فالأمة العربية في جزيرتها الكبرى قد أحاط بها استعمار الإمبراطوريتين : الرومان والفرس . كأنما الله أراد أن يجعل اليمن جاهزة لقبول الإسلام .

إن سيف بن ذي يزن في معركته مع الحبشة ، وانتصاره عليهم بالمدد الفارسي ، قد أعطى للعرب إرهاصاً جديداً للإسلام ، وأعني بذلك أنهم قد أصبحوا على استعداد لقبول هذا الدين الجديد .. فلو استغولت اليهودية أو النصرانية في جزيرة العرب لصعب الأمر على أن تتوحد الأمة العربية في ظل هذا الدين .

فمثلاً .. اليهود الذين كانوا ، كم أتعبوا وأكربوا ، والعرب الذين ظلوا نصارى ، كـ« تغلب » قد أتعبوا وأكربوا أيضاً .

كل ذلك يعطينا أن العدنانية قد منحت بجوار البيت الحرام ، وبالانسياح في الصحراء ، كانت التطور الذي صاغ لمجد العرب مجدهم .. حين تفصّحت اللغة العربية على ألسنتهم ، وحين كانوا هم قبيل الإسلام الأول ، أي أنصاره .

ولكن هذا العطاء للعدنانية قد جاء أولا من وحدة الأرض في جزيرة العرب ، وقرابة الدم ، فمثلاً ، وهذا من عجائب الأمة العربية ، أن إسماعيل ، أبا العدنانية ، أبوه كلداني عراقي ، وهو سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء ، وأمه مصرية فرعونية ، هاجر ، وأخوال أبنائه جرهميون قحطانيون يمنيون ، كأنما إسماعيل قد اتحدت به الأمة العربية .. كل هذا هو المصداق لقوله تعالى ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

فما استعمر الحبشة اليمن إلا بانفرادية الإقليم حتى أن ملك غسان اليمنية في الشام ، وملك المناذرة اللخميين في الحيرة ، « الشام » كانت تحت سلطان الرومان ، واليمن تحت سلطان الاستعمار الحبشي لم تكن إلا مستقطبة للاستعمار الروماني .

وملك المناذرة ، على حدود جزيرة العرب ، وشرق الجزيرة ، واليمن بعد خروج الأحباش .. كلها كانت تحت سلطان الفرس .

فهل هناك فرق بين الأمس واليوم ؟

إن سيف بن ذي ذيزن قد تحرك ضد الاستعمار الحبشي .. فلم يجد أمامه فرصة إلا أن يستعين بأكاسرة فارس ، يعني أنه تحت ضغط الأحداث ابتعد عن القيصر واقترب من كسرى .

والعرب كلهم فيما بقي من الجزيرة أصبحوا في ظل الحمايتين ، في الحجاز .. حماية البيت ، وفي مكة بالتحديد ، وفيما بقي أو من بقي كانت حماية الصحراء ، فانحازوا إن اقتتلوا قبائل بينهم .. فإنهم كانوا ، القبيل الواحد ، يحولون دون أن تمتد إليهم يد رومانية أو يد فارسية ، ترهقهم بالاستعمار .. كأنما الصحراء وبعد الكعبة قد استكنّ فيها الإرهاص للإسلام ، يجد القبائل قد عاشت الحذر ممن هم حولها ، تحارب الخوف لتعيش الأمن ، فإذا الإسلام يأتيها .. فحين أسلم العرب أسقطوا الخوف ، وإذا الإيمان يمنحهم الشجاعة ، وإذا الوحدة تعطيهم الفتح العظيم .

وكان من حسن الحظ أن الرومان ، وقد هزموا من الفرس في أدنى الأرض ، أي في العراق ، لم يستطيعوا أن يمدوا الأحباش في اليمن . ولا أعني بذلك أن يقوى الاستعمار بالمدد ، ولكن لأن الأحباش النصارى لم يستطيعوا أن ينشروا النصرانية في اليمن ، والفرس الوثنيين ما كانت عقائدهم بالتي تستطيع أن يتبعها اليمني .. كانوا في عجز أن يمدوا اليمن .. عجز الأنا ، وتعجيز اليد العليا عليها .

وهكذا .. فإن الرواية قد أعيد فصولها .

محمد حسين زيدان

القارة الإفريقية وحدة متراصة في أبعادها الطبيعية ، ومن مظاهر وحدتها أن لشق القارة في أقصى جنوبها وأقصى شمالها أسيسة مشتركة المعالم يطبعها المناخ المتوسطي بأصناف مزروعاته ومختلف أطرزة مجاليه الاقتصادية والاجتماعية ، يفصلها في قلب القارة خط الاستواء بصحرائين إحداهما صحراء المغرب الكبرى شمالا وثانيتهما صحراء (كالاهاري) في بحبوحة وديان وأنهار أعظمها الكونغو والنيجر والنيل والملوية وقد امتزج النيلان (نيل مصر ونيل السنغال) ضمن السودان الموحد في طرفيه الشرقي والغربي تحت راية الإسلام التي شكلت منذ القرن الأول للهجرة المحرك الجوهري في تاريخ إفريقيا السوداء بإمبراطورياتها الشاسعة (غانا وسونغاي وبرنو وكانم ومالي وبوروبا وأويو وأشانتي والهوسة ويونان)[1] .




السلالة الصنهاجية المنحدرة من جنوب الجزيرة العربية هي التي جذرت العروبة في جنوب وشمال القارة الإفريقية

وقد كان المؤرخون القدامى يعتبرون إفريقيا مأوى الضواري من فيلة وأسود وفهود ولمط ونعام وهو وصف ناقص للقارة التي أكد (**كزيل**) Gsell أنه منذ أوائل القرن الثالث الميلادي قامت الخضرة اليانعة مقام الصحراء والحقول المزروعة مكان الغابات وقطعان الماشية بدل الحيوانات المفترسة[٢].

والمحيط الأطلنطيكي (أو أقيانوس) يستمد اسمه من كونه يحيط من جميع الجهات بالعالم المسكون في عرف الأقدمين[٣]، أو على الأقل من جهات ثلاث لأن خط الاستواء كان هو الخط الجنوبي للعالم الآهل بالسكان.

## العرب.. والبربر

وكان اليونان والرومان يطلقون كلمة **بربر** على كل ما ليس بيوناني أو روماني أو خارج عن الإمبراطوريتين مثل **مدينة بربرة بالصومال**، والبحر البربري على المحيط الهندي.

والواقع أن الجنوب الإفريقي الذي يفصله عن شماله خط الاستواء كان أقرب إلى جزء آخر هو البحر البربري في المحيط الهندي من حيث انحدر عرب يمنيون منذ أعرق العصور لنشر العمران في المهامه المتوسطية من جنوب القارة، **وقد استشف الأثريون معالم الحضارة اليمنية في عاديات هذه المنطقة وبذلك يكون العرب والبربر وخاصة اليمنيين وصنهاجة وهما من حمير هم الذين وصلوا جنوب القارة بشماها الممتدين على طول المحيط الأطلسي غرباً والمحيط الهندي جنوباً وبحر القلزم أو البحر الأحمر شرقاً.**

كما أن أساطين هرقل اسم أطلقه القدماء على الجبال التي ظنوا أنها آخر الدنيا على ضفتي مضيق جبل طارق ويتعزز هذا بأن المحيط الأطلنطيكي لم يكن مجالا للمواخر قبل الكشف عن العالم الجديد أواخر القرن الخامس عشر.

وقد تحدث المؤرخون العرب عن أمة بربرية في آخر بلاد اليمن بين أرض الجوش والزنج وهم سودان ويقال لأرضهم بربرة كما توجد سوق بربر وهي من أوساط الفسطاط[٤].

**بقلم: عبد العزيز بنعبد الله**

وتطلق كلمة بربر على إقليم ميرفاب وهي قبيلة عربية اللهجة على ضفتي النيل من الشلال الخامس إلى عطبراء ومعظمهم في بلاد النوبة والصومال[٥].

والبربر اسم كان يطلق على جيل يسكن النواحي الممتدة من سيوا بحدود مصر إلى المحيط وإلى نهر النيجر بالسنغال.. ويرى المؤرخون القدامى قبل الإسلام أن أصلهم ليس من إفريقيا نفسها وهم عرب حميريون انحدروا من اليمن ليعمروا القارة الإفريقية شمالا وجنوباً **وقد تعززت نظرية عروبة البرابرة الأفارقة بأدلة ذات قيمة علمية أبرز بعضها هلفريتز**[٦].

وقد اعتمد **ابن خلدون** في نفيه ليمنية البربر على ابن حزم إلا أنه وهم عندما حصر طريق اليمن إلى المغرب في السويس مع أن أقرب الطرق المعقولة هي الصحراء المغربية ومنها إلى أقصى جنوب القارة الإفريقية عن طريق بحر القلزم (البحر الأحمر) في جهته المقابلة لليمن لا سيما وأن مؤرخي القرن الثالث وغيرهم **كالأصطخري وابن خرداذبة** أشاروا إلى القوافل التجارية التي كانت تنطلق من المغرب مارة بسجلماسة خلال الساحل الإفريقي للبحر الأحمر للوصول إلى اليمن ومنه إلى الخليج والعراق، وكذلك يقال إن كلمة إفريقش أصل لاسم الأفارقة والقارة الإفريقية وقد سمى ابن خرداذبة (المتوفى عام ٢٧٢ / ٨٨٥ م) هذه القارة كلها ليبيا وفيها مصر والحبشة وبلاد البربر[٧].

والمعاقلة (عرب معقل) من أصل يمني أيضاً حسب ابن خلدون[٨] فهم عرب حميريون يلتقون في النسب مع **صنهاجة وكتامة** وكانوا يستوطنون الخليج قرب البحرين فهاجر نحو المائتين منهم إلى المغرب انحازوا إلى **بني هلال** وانتشروا في الصحراء إلى السودان.

وإمارة البراكنة التي تأسست عام ١٠٤٢ هـ، ممتدة من تبريس إلى نهر السنغال تنتمي هي أيضاً لعرب معقل أضف إلى ذلك أن **الملثمين الصنهاجيين** موطنهم الأصلي أرض الصحراء إلى السودان وهي أكبر صحراء في العالم قام بأمرهم **محمد بن تيفاوت**، ثم **يحيى بن إبراهيم الكدالي** إلى عام ٤٢٧ هـ، وهو الذي ابتنى رابطة بحر النيجر تجمع فيها ألف رجل سماهم **المرابطين** تجندوا لنشر الإسلام في قبائل صنهاجة[٩].

## إفريقيا بعد الإسلام

**وقد تعززت الرابطة العربية الإفريقية بعد الإسلام بتوغل عقبة بن نافع وخلفه في قلب القارة إلى غانة حسب بعض الروايات.**

والرحالون العرب هم الذين اتخذوا المبادرة للكشف عن مجاهل إفريقيا والمحيط الهندي مما فتح الطريق للرحالين الغربيين بعد القرن الخامس عشر الميلادي.

وقد أدرج **الشريف الإدريسي** في خريطته كمنابع لنهر النيل البحيرات الكبرى الاستوائية الأمر الذي لا يمكن أن يحدد عفواً خارج الدراسات الميدانية في حين أن الكشف عن هذه الينابيع من طرف الأوروبيين لم يتم إلا منذ عصور حديثة[١٠].

ولا حتى **المولى إدريس الأكبر الشريف يحيى بن المولى عبد الله الكامل** عقب كثير ببلاد السودان منهم فرق في برنو وهوصة وبولان وفزان وتنبكتو[١١].

وكان من الزنوج رجال السودان في حشم **يوسف بن تاشفين** الذين خاضوا غمار (**وقعة الزلاقة**) وحدها أربعة آلاف أسهموا بدرقهم اللمطية وسيوف الهند ومزاريق الزان[١٢].

وقد انتظمت ممالك السودان في سلك طاعة **المنصور السعدي** ما بين المحيط إلى بلاد برنو المتاخمة لبلاد النوبة قرب صعيد مصر[١٣].

وتغلغلت الطرقية بإفريقيا منطلقة من فاس التي سماها **اليعقوبي** (مدينة إفريقيا) منذ القرن الثالث الهجري وذلك عن طريق زعماء أفارقة أمثال






**السلطان الحاج عمر الفوتي صاحب (كتاب الرماح)** الذي ولد قرب بودور Podor عام ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م، ونشط في نشر **الطريقة التجانية** حتى بلغت دعوته عام ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م، **جبال (فوتاجالون)** حيث انتشرت حول النيجر الأعلى والسنغال [١٤].

**وقد قامت الألوفا (Alofas) بنشر الإسلام في إفريقيا الغربية انطلاقاً من فاس أيضاً حيث درس رجالها في جامعة القرويين** [١٥].

وقد أكد أحد الجغرافيين الفرنسيين أن خاصية المغرب وأصالته أنه يعد من جميع النواحي والاعتبارات صلة وصل وممراً بين أوروبا المتوسطية وإفريقيا الاستوائية [١٦].

وهكذا فالمغرب جزء قوي من الكتلة الإفريقية تعزز باستدامة الدولة المغربية [١٧]، وبالارتباط الموصول عبر التاريخ مع أجزاء كبيرة من القارة.

وقد لاحظ **(كامبو)** [١٨] أن أزيد من ألف عامل مغربي توجهوا قبل عام ١٨٨٦ م، بسنوات إلى السنغال للاشتغال في عملية مد **الخط الحديدي بين (داكار) و (سان لوي)** ملاحظاً أن المغاربة (صينو إفريقيا).

ولننظر الآن لماذا كان المغرب الكبير وهو قطعة متراصة من إفريقيا هو بوتقة الانصهار العرقي الذي انطلقت منه سلالات عمرت مجموع القارة الإفريقية.

نعم إن الإقليم الذي تسلسلت فيه الحضارة بكيفية أعمق وأبهى هو ذلك الجزء الذي يمتد على ضفاف البحر الأبيض المتوسط الذي كان يسمى بحر العرب والمحيط الأطلنطيكي أو بحر الظلمات في شريط هائل طوله ثلاثة آلاف كيلومتر.

ولعلنا في غير حاجة إلى التدليل على أن عناصر الوحدة التي تتوفر جوهرياً في المغرب العربي وتكاد تنعدم لحمتها بين الشعوب الأوروبية هي القوام الحقيقي لتلك الظاهرة التي لم تتأت قط لفاتح أجنبي غير العرب.

ولعل في هجرة القبائل الإفريقية من الجنوب إلى الشمال، ومن الشمال إلى الجنوب دليلاً على أن العقلية الإفريقية لا تفرق بين أجزاء هذا الوطن الأكبر الذي هو مجموع القارة.

فلنستعرض **قبائل زناتة** من البتر والدور الذي قامت به صنهاجة من البرانس في تحقيق هذا المد إلى أقصى الجنوب وقلب القارة الإفريقية.

فقد قرر ابن خلدون ـ وأقره على ذلك مؤرخون غربيون أمثال **كوتيي وكزيل** ـ أن زناتة ـ الذين خصص لهم سفراً خاصاً في تاريخه ـ منتشرون في المغرب من غدامس إلى سوس الأقصى بل يكونون معظم سكان قرى الصحراء وأنت تجدهم اليوم في كورارة ومزاب وورغلة ووسط سهول إفريقية وجبال الأوراس بالجزائر وفي جبل نفوسة الطرابلسية.

أما قبائل كتامة وصنهاجة ومصمودة فقد اتسمت بأهمية أكبر في توجيه تاريخ المغرب الكبير بل القارة الإفريقية كلها.

فموقع كتامة الجغرافي هو الإطار الذي تركزت فيه **الدولة الفاطمية** والذي كان تابعاً لبني أغلب أمراء إفريقية، وقد اختار الفاطميون **(مهدية)** عاصمة لهم إلى **القيروان** حيث أسس **المنصورية** في أرباضها ثم كان فتح مصر ولعبت كتامة في كل ذلك دوراً أساسياً حيث كانت السند الأقوى للفاطميين.

والقبائل الصنهاجية مثل هوارة ولمطة تشكل أول فوج من البرابرة البيض الذين غزوا الصحراء في القرن الثالث الميلادي، وهي التي نقلت الإسلام إلى التخوم الجنوبية لا سيما في السنغال والسودان.

ومنذ ذلك العهد برزت الصحراء كحلقة طبيعية من إفريقيا الشمالية وبالأخص الأطلس الجنوبي كما تشهد بذلك الوحدة النباتية والحيوانية والتجانس بين النوالة المغربية ونوالة خط الاستواء وبين رسوم الريف والسودان والموسيقى المغربية والزنجية (هسبريس مجلد ١١ عام ١٩٣٠ م).

**وعقبة بن نافع هو أول من فتح من العرب أقاليم الجنوب وطبع بعض جوانبها بالطابع الإسلامي.. ويزعم بعض المؤرخين أن هذا الفاتح العربي وصل إلى السودان واحتل التكرور إلى غانة وأن الكنتيين من سلالته.. والظاهر أن عقبة لم يتجاوز منبع الساقية الحمراء، ولكن الشيء المحقق هو أن ذلك كان أول فرصة لاتصال الصحراويين بالإسلام، على أن صاحب القرطاس قد أكد (ج ١، ص ٧) أن إسلام بعض أقاليم السودان يرجع إلى القرن الأول الهجري حيث تمكن عقبة من احتلال مدينة تكلاتين قرب السودان وعبد الرحمن بن حبيب والي إفريقيا عام ١٢٧ هـ، (وهو من سلالة عقبة) هو الذي حفر الآبار من واحات الباني إلى موريتانيا الشرقية.**

ومنذ القرن الثالث الهجري سدت طريق القوافل التي كانت تصل مملكة غانة بمصر وأصبح الاتصال جارياً بين السودان والشرق عن طريق سجلماسة التي كانت أكبر مركز تجاري في أقطار الإسلام وأمسى المغرب حسب قول **ابن حوقل** ممراً للقوافل المتنقلة بين الصحراء وبغداد والبصرة.

وما ثورة الخوارج التي امتدت من طرابلس إلى تونس إلى الجزائر إلى طنجة وسهول سبو ثم من قابس إلى فجيج إلى سجلماسة سوى طفرة نحو دعم وحدة المغرب بإيعاز من دعاة العرب وتحت شعار الإسلام. لم يكن في هذا أي مظهر مقصود لما زعمه المستشرقون من وجود روح انفصالية بين العرب والبربر في عموم القارة الإفريقية أو روح الثأر من البربر ضد العرب إذ لو كان ذلك حقيقياً لما اصطبغت الثورة بتلك الروح ولا بذلك الشعار.

ولعل من أهم رواسب طفرة الخوارج قيام مملكة **المولى إدريس** الذي احترمه حتى الأغالبة التونسيون ـ على قول **النويري** ـ لقرابته من الرسول ، وإذا كان من عادة أمراء البربر في مجموع إفريقيا الاستناد إلى قبيلة مثل كسيلة مع أوربة والكاهنة مع جراوة والفاطميين مع كتامة والمرابطين مع صنهاجة والموحدين مع مصمودة وكومية ، فإن المولى إدريس قد احتضنته مجموعة من القبائل لا واحدة ذكر منها ابن خلدون زواغة وزناتة وسدراتة وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة .

ويحق للمؤرخ كوتيي القول إن تاريخ المغرب يبتدئ من هذه الفترة التي انفتح بعدها المجال واسعاً للمرابطين والموحدين نحو الشمال والشرق .

## وحدة إفريقيا الشمالية

وقد أمكن ابن تاشفين بفضل الفكرة الإسلامية وعزيمته القوية أن يوحد جبال الأطلس وأن يؤسس مملكة مترامية الأطراف تمتد من قشتالة بالأندلس إلى الجزائر (ج ١ ، ص ٢٣٨ ) **وعبد المومن** هو الذي وحّد المغرب الإسلامي للمرة الأولى في التاريخ تحت سلطة سياسية مشتركة امتدت من قشتالة إلى طرابلس (ج ١ ، ص ٣١٤ ) .

وهكذا قامت للمرة الأولى في التاريخ ـ حسب المؤرخ كزيل ـ دولة موحدة في مجموع المغرب العربي (سوردون ـ الكتاب المذكور ، ص ٢٨ ) .

**وقد تغلغلت الروح العربية في نفوس البربر إلى حد أن الرحل العرب بدون استثناء ، كما يقول كوتيي (ص ٤١٠) أصبحوا يرفضون باستنكار فكرة الانتساب إلى أرومة بربرية فهم يرون في هذا الاحتمال امتهاناً لهم وضرباً من المحال وهم لا يكتفون باتخاذ العربية لغة لهم فحسب بل يؤكدون أنهم عرب وأنه لا تجري في عروقهم نقطة من الدم ليست بعربية ، وهكذا تجد العرب اليوم مستقرين في المواطن التي كانت تعمرها زناتة في العصور الوسطى « فهذا الإشعاع الخالد الذي تمخض عنه الفتح الإسلامي واستتباب الروح العربية منذ أزيد من ألف سنة يتناقض مع ذلك الانمحاء الكلي الذي منيت به الحضارة الرومانية في المغرب** . . فقد لاحظ كثير من المؤرخين الغربيين ومن بينهم **سوردون** (كتابه المذكور ، ص ٤١ ) « أن خمسة قرون ونصف قرن من المدنية الرومانية » تبخرت في المغرب في ظرف قرنين اثنين ونصف من فتح قرطاجة على يد **جنسيريك** عام ٤٣٩ م ، إلى أن فتح عقبة بن نافع مدينة طنجة عام ٦٨٢ م . وبعد هذا التاريخ لم يبق فوق تراب المغرب أي بناء روماني غير الأنقاض » .

ولعل من أبرز مظاهر وحدة المغرب العربي المظهر الجغرافي الذي تمخضت عنه كثير من المظاهر وبالأخص الحاجات الاجتماعية والوحدة الاقتصادية ذلك أن أقطار إفريقيا الشمالية تتجلى كجزيرة جبلية شاسعة تمتد من الشرق إلى الغرب في مسافة ينيف طولها على ١٨٠٠ كيلومتر وعرضها على ٤٠٠ كيلومتر ، ويحف بها البحر من ثلاث جهات في حين تتغلغل جنوباً في فيافي الصحراء ، وإذا استثنينا هذه الصحراء الشاسعة التي هي امتداد طبيعي للمغرب العربي وجدنا أن مساحة إفريقيا الشمالية تبلغ ٨٠٠,٠٠٠ كيلومتر .

على أن إفريقيا الشمالية واحدة في جميع مظاهر حياتها الماضية والحاضرة كما يقول **الكولونيل (يوطس)** في كتيبه عن (إفريقيا الشمالية) (ص ٥٥ ) ، **فهي** « كتلة متراصة لا يمكن تجزئتها » وقد أبرز الوحدة بين أجزاء جزيرة هائلة عاش سكانها منطوين حول أنفسهم آلاف السنين في حين هيأت لهم الوضعية الجغرافية الخاصة أسباب التواصل فتيسرت الحياة في المغرب الإسلامي ، في جميع العصور عوامل التبادل من أقصى المغرب إلى أقصاه بين عناصر تجمعها أرومة واحدة وسلسلة من المسالك السهلة تمتد من تونس عبر ممر تبسة إلى هضاب وهران ومن ممر تازة إلى المحيط الأطلسي تلك الطريق التي عبرها عقبة بن نافع منذ أزيد من ألف عام لتوطيد قدم العروبة والإسلام هي التي وصفها **ويليام مارسي** بأنها « الخط الأكبر » يقابله الجزء المتوسطي في الطرف الجنوبي من القارة .

## الهوامش

( ١ ) كانم إقليم سوداني يلي صعيد مصر ، شاعره إبراهيم ابن محمد بن فارس بن ثاكْلة ، توفي بمراكش عام ٦٠٨ (أو ٦٠٩ هـ ) ، مدح يعقوب المنصور بعد انتصاره في وقعة الأرك ، وكانم من بني عمومة تكرور (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٣٢ ) ، (طبعة القاهرة ١٩٥٧ / ٢ ) الاستقصا ، ج ١ ، ص ١٨١ / صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ .

ـ كاغو من إقليم السودان أميره إسحاق بن داود من آل سكية في عهد المنصور السعدي (الاستقصا ، ج ٣ ، ص ٥٤ ) .

ـ تنبكتو عاصمة مالي اليوم وإحدى حواضر السودان الغربي قديماً قد جعلها المنصور السعدي أحد مراكز زحفه نحو السودان عبر الصحراء المغربية وقد تأسست حوالي ١١٠٠ م ، وأسلم كنبرو ملك جنى بعد ذلك بقرن واحد وهو باني مسجدها الجامع . (السعدي ـ تاريخ السودان ، ص ١٢ ، ابن بطوطة ، ج ٤ ، ص ٤٢١ .

( ٢ ) (كوتيي ) : العصور الغامضة في المغرب ، ص ١٥٧ ) .

( ٣ ) المسعودي : ( التنبيه ) ، ص ٢٦ .

( ٤ ) ( المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ) لياقوت الحموي (ص ٣١ ، طبعة كوتنجن ١٨٤٦ م ) .

( ٥ ) تاريخ السودان ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٨٧ (عام ١٩٠٣ م ) .

( ٦ ) الموسوعة الإسلامية ، الطبعة الفرنسية ١٩٦٠م ، ج ١ ، ص ١٢٠٨ .

( ٧ ) المسالك ، ص ٢٤ .

( ٨ ) تاريخ ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٥١٩ / ج ٦ ، ص ٥٨ / الاستقصا ، ج ٤ ، ص ٢٤ .

( ٩ ) الاستقصا ، ج ١ ، ص ٩٨ .

( ١٠ ) حضارة العرب ـ كوستاف لوبون ـ الطبعة الفرنسية ، ص ٥٠٧ الفرنسية .

( ١١ ) الدرر البهية للفصيلي ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

( ١٢ ) الاستقصا ، ج ١ ، ص ١١٧ .

( ١٣ ) الاستقصا ، ج ٣ ، ص ٥٨ .

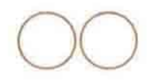
( ١٤ ) ( الإسلام في إفريقيا الغربية ) ـ لوتسا خوليي ـ باريس ١٨٩٩ م ، ص ١٦٧ .

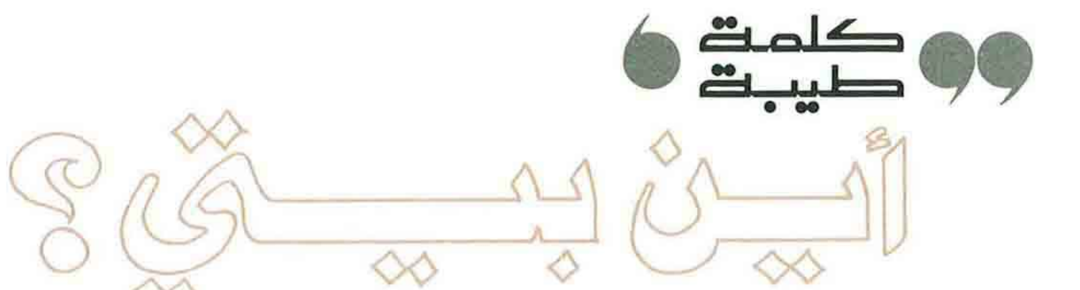
( ١٥ ) ( إفريقيا الغربية ) د . ج . ريست ـ لندن ١٨٤٤ م . . ( الإسلام في السودان الغربية والوسطى ) ويسترمان ١٩١٢ م .

( ١٦ ) في المؤتمر السابع لمعهد الدراسات المغربية العليا ـ مجلة هسبريس م ١١ ، ص ٨ ( ١٩٣٠ / ١٩٣١ م .

( ١٧ ) أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ، ص ١٦ .

( ١٨ ) في كتابه ( المغرب المعاصر إمبراطورية تنهار ) ( ١٨٨٦ م ) ، ص ١٥٧ .






السيارة تنهب بنا الأرض في الطريق من الطائف إلى جدة ، والطريق جميل حافل بالذكريات والتاريخ ، وأنا حريص على ان أقف عند كل قطعة منه أفكر وأسترجع الذكريات وأتأمل ، ولكن الشوق إلى بيتي يغلبني فأنا أتعجل العودة ولا تكاد خواطري تتجمع . بعد أن تركنا خلفنا الجبال المتهيلة أفضينا إلى السهل ، خرجنا من منطقة الرواسي الشامخات التي تتجاوب في مخارمها الأصداء وأفضينا إلى الأرض البراح ، واستراحت السيارة إلى انبساط السهل الأريح المؤدي إلى مكة المكرمة من ناحية وإلى جدة من ناحية أخرى فانطلقت تسابق الريح ، ولكني متعجل أريد أن أعود إلى بيتي ، ولفرط تعجلي كنت أستبطئ السيارة ، كنت لا أقنع منها بأن تسابق الريح ، كنت أريدها أن تكون هي الريح نفسها حتى أعود إلى بيتي فقد اشتد حنيني إليه .

ولكن ، ما هو بيتي هذا الذي أحن إليه هذا الحنين كله ؟ هل هو بيتي حقاً أو هل أنا أملكه ؟ لا والله إن هو إلا قطعة أو شقة في دويرة لطيفة أفضلت علينا بها هذه الدولة الكريمة عندما دعتنا للعمل فيها بضعة شهور ، وأنا لا أملك فيها إلا شيئاً من ثياب وبعض الكتب وبعد أيام سأغادرها ، ولكن الشهور التي قضيتها فيها أنشأت بيني وبينها محبة ومودة ، فنفسي تستريح إليها وتطمئن عندما أضع المفتاح في بابها وأديره وأرى جدرانها وأثاثها وأحس وكأنني وجدت نفسي ، وأبدل ملابسي وأجلس إلى مكتبي وأحس أن هذه الدار تحنو عليّ وتحميني وتملأ نفسي أمناً ، وأسترسل في عملي وأنسى الدنيا خارج بابها ، فأنا هنا في مملكتي وحصني ، ولو كان أهلي معي لاكتمل أنسي .

إنها ليست داري ولكن الإنسان وكل مخلوق ألوف يربطه رباط من الحب إلى كل مكان يطمئن فيه ويحس فيه بأنه داخل نفسه ، وقد رأيت ذات مرة فيلماً صغيراً عن بعض دواب البحر ، وفي ظلام القاع حيث لا يصل إلا شعاع باهت من النور رأيت دابة من دواب البحر وقد اتخذت لنفسها كِنّاً في ثقب من الأرض تظله صخرة خشنة ، ومع ذلك فقد كانت تلك الدابة آمنة سعيدة في بيتها هذا تدور بعينها فيما حولها وفي قلبها أمن يطل من عينيها ، فهي في دارها ، وهذه الصخرة الجافية حصنها ، وتقبل من بعيد دابة أخرى تسبح في ماء البحر وفي عينيها خوف لأنها لا بيت لها حتى تبحث لنفسها عن بيت . وترى الدابة الأخرى في وكرها فتستضعفها ويقوم بخاطرها أن تهاجمها وتخرجها منه لتتخذه داراً لنفسها . فما كادت الدابة الصغيرة ترى الطمع في عينيها حتى نفشت نفسها واستجمعت قوتها وتكلم الغضب في عينيها ، وخرجت تقاتل هذه العادية ، وما زالت تصارعها حتى غلبتها وأبعدتها ، ثم عادت إلى دارها فحشرت نفسها فيها ، وعاد إلى عينيها اطمئنانها ، وفي أمان وكرها هذا أغفت عينها كما تغفو عيني الآن وأنا في أمان وكري .

وبالأمس كنت في غرفة فندق . كانت غرفة أنيقة من هذا الطراز الجديد من غرف الفنادق التي يجمعون لك في كل واحدة منها كل حاجاتك ، فهذا فراش وثير إلى جانبه راديو ، وهذا مكتب لطيف لتجلس إليه وتؤلف كتاباً في حجم لسان العرب إذا شئت ، وهذا ثالوث أرائك لطيف مهيأ على قدر الحجرة وأمامه منضدة من زجاج عليها طبق فاكهة ، وأمامك تلفاز تلمسه بإصبعك فتجد الدنيا أمامك تسعى في تسليتك وإطرابك ، وإلى جانبه تليفون تستطيع أن تتحدث منه مع المريخ لو كان لك في المريخ صاحب أو قريب ، وهذه أزرار وأرقام تليفونات داخلية يقف وراءها جيش من الخدم كلهم طوع بنانك : هذا للطعام ، وذاك لغسل الثياب وثالث لأي شيء تريده من شراب ساخن أو بارد أو فنجان قهوة أو شاي ، وعندك في هذه الأمتار القليلة ما لم يكن عند كسرى في إيوانه .

ولكنك لأمر ما لا تشعر قط أن هذه الغرفة بيتك ، فأنت فيها غريب أقمت فيها يوماً أم سنة ، وأنت دائماً تحس أنها تطردك لتستقبل غيرك ، وعندما ذهبت إلى باريس طالب بعثة كانت حياتي أول الأمر كلها في الفنادق ، شأني في ذلك شأن عامة زملائي ومئات الطلاب من حولي ، فقد كنا في الحي اللاتيني حول الجامعة ، والدنيا هناك فنادق ومطاعم ومقاهٍ ودكاكين بيع كتب ولا شيء غير ذلك ، وكنت أسمع أن بعض الطلاب يقضون السنوات في نفس الغرفة فأتعجب ، لأنني لم أشعر بالأنس والأمان في غرفة الفندق قط ، وما صعدت السلم ودخلت ذلك الحجر إلا شعرت برغبة في الهرب منه ، فما زلت أسعى حتى وجدت غرفة جميلة عند سيدة كريمة بعيدة عن ذلك الحي اللاتيني وفنادقه ومطاعمه ومقاهيه ، وفي غرفتي الآمنة تلك شعرت أنني في بيتي ، ولم يكن في الغرفة شيء من الترف ، ولكني كنت في بيت ، كنت في حصن بل في قلعة ، ولم يكن في الغرفة مكتب بل منضدة ، ولم يكن فيها دولاب كتب فرصعت كتبي على الأرض ، وكنت أتمدد على الأريكة والكتاب في يدي فأشعر أنني في أمان البيت وحنانه ، ونشأت بيني وبين جدران هذا البيت وأثاثه عواطف المودة والأنس ، وزالت عني وحشة غرف الفنادق . . .

وكانت مدة البعثة طويلة ، فتنقلت من دار إلى دار ، وتقاذفتني الغرف ، وكنت مهما بلغ أنسي بالبيت أشعر أن ما أعيش فيه ليس داري ، وأن داري وبيتي وحصني الحق هناك في القاهرة ، في ذلك البيت الصغير في شارع صغير من شوارع شبرا . كان بيتنا هناك بسيطاً ولكنه كان جميلاً ، هناك قضيت سنوات الدراسة الجامعية بين أهلي وأصحابي وفي بلدي ، وإلى هناك كان يذهب حنيني أينما كنت ، ولقد عشت سنوات في فندق شقق في زيوريخ ، وكان البيت جميلاً جداً وعامراً بالأنس وألوان المتعة والمسرة ، وكان لي أصحاب وأحباب ، ولطول مقامي في الدار أصبح كل من يعمل فيه صاحباً لي ، وألفت عيني كل شيء حولي وعرفت أذني كل صوت يسمع فيه ، بل كانت أمام نافذتي شجرة ، وكان هناك طائر أسود يقف عليها ويصدح منذ البكور ، وكان صوته يوقظني ويظل يصدح حتى يذهب النوم من عيني ، فقالت لي صاحبة البيت : إن المسكين جائع ، وهو يطلب الطعام ، والطيور هنا أليفة ، وهي لا تخشى الناس ، بل هي تطلب منهم الطعام ، شأنها في ذلك شأن القطط والكلاب ، فأعدّ له فتات خبز ، فإذا صاح عند نافذتك فانهض وافتحها برفق ، ثم انثر فتات الخبز على الإفريز واغلق النافذة واذهب لتنام ، فلن يقلق بالك هذا الاشباتس ( وهذا اسم نوعه ) ، ففعلت ذلك معه ، فكان كما قالت : أكل فتات الخبز ومضى .

ولكن الاشباتس تعود ذلك معي ، ولم أكن أستطيع نثر الفتات من الليل فيأكلها غيره ، ويكون عليَّ أن أعدّ له أخرى ، فصرت أنتظر كل صباح حتى أستيقظ على صوته ، فأنهض وأعطيه طعامه فيسكت عني وأعود لأتابع النوم .

واعتدت ذلك حتى صار صوت هذا العصفور من لوازم راحتي وعودتي إلى النوم ، حتى كان إذا تغيّب قلقت عليه وصرت أنتظره حتى يصدح فتطمئن نفسي عليه وأعود إلى النوم .

ولكن ، هل كان هذا البيت بيتي ؟

لا والله ، فقد كنت إذ ذاك في سفر طويل ، والمسافر لا بيت له إلا بيته الذي يقر فيه بعد نهاية المطاف ، فظللت أتنقل من دار لدار حتى عدت إلى بلدي واستقررت في بيتي ، وأحسست أن هنا وكري وملاذي ، وهنا اطمأن جنبي بعد طول ترحال .

ومن هذا البيت انتقلت إلى بيت آخر فآخر ، حتى هيأت لنفسي في أخريات العمر بيتاً جمعت فيه أسباب راحتي مع أهلي ، وقلت : هنا بيتي .

ومن هذا البيت أسافر وإليه أعود ، وأكون في اليابان أو في سان فرانسيسكو أو في المغرب أو في هذا البلد الكريم أو في الكويت ، ولكن روحي تظل معلقة ببيتي هذا ، فلا يستريح جنبي إلا فيه ، وفي سريري في مخدعي أشعر أن هذا بيتي وملاذي وموطن راحتي .

ولكن ، أهل هذا حقاً بيتي الذي أجد فيه الراحة الكبرى ؟

لا والله ، فإن الإنسان ما دام في هذه الدنيا فهو على سفر ، لا ولا بيته الأخير هو مستقره بعد أن تنتهي أيامه ، فهنا أيضاً ستبلى العظام وتصير تراباً ، وتظل الروح معلقة بين السماء والأرض ، فأين بيتي ؟ .

في قريتي ، وفي ركن صغير من قطعة أرض هي كل ما أملك على هذا الكوكب ، هناك عيادة صغيرة أنشأتها بعد عودتي من إسبانيا ، وهي للكشف على العيون فحسب ، عيون الأطفال خاصة ، وفيها ممرضة عجوز وابنتها ، وهما تغسلان عيون الأطفال وتقطران فيها ما يكتب طبيب صديق لنا في بندر المنصورة ، ويأتي إلى قريتنا كل أسبوع مرة ، فيكشف على العيون ويكتب ما يرى من غسيل أو قطرات أو ضماد ، وهذه كلها لا تكلفني إلا اليسير مما يرزق الله سبحانه .

وسواء أكنت في مصر أم خارجها في آخر الدنيا ، فإن هناك في قريتي مكاناً يذكرني الناس فيه بالخير ، ولا يمرّ يوم دون دعوة صالحة لي من أم غسلت عيني ابنها أو قطرت فيه قطرة من شفاء وأنا بعيد . . .

آخر مرة كنت فيها في مصر زرت القرية ونزلت في دويرة صغيرة مما تخلف لي عن أبي رحمه الله ، ومن الصباح الباكر سمعت أصوات الأطفال والأمهات ، سمعت صوت الممرضة الشابة تنادي الأمهات وقد تصيح فيهن . . . وشعرت بالدفء في نفسي ، ونهضت ، ومضيت إلى العيادة ، وجاء الطبيب فتحدثت معه وجددت الاتفاق وضاعفت الأجور والتكاليف ، وفضل الله سبحانه عليَّ أوسع وعافيته أسمح ، ووكلت بذلك العمدة وهو من أهلي .

وكنا نتحدث في غرفة في بيته ، ونهض لشأنه وبقيت ، وسمعت أصوات الأمهات وبكاء الأطفال ، وتردد على سمعي بعض دعاء بالرحمة لي ولابني الراقد في رحاب الرضى بإذن الله .

وطال بي الجلوس وغفت عيني ، ووضعت جنبي على الأرض وأحسست بالراحة في نفسي ، وسمعت هاتفاً يقول : هنا يا أخي بيتك ، هنا في لفائف الخير يبقى ذكرك ويكون مستقرك . . . لقد طال ترحالك وبحثك عن دارك ، وعن قريب تكون رحلتك الكبرى ولكن هنا يا أخي بيتك . . . هنا حيث تركت شعباً من الخير في قلوب الناس وقطرات من الشفاء في عيون الأطفال . . هنا بيتك ولا بيت لك على هذا الكوكب سواه . . .

د. حسين مؤنس



* الخوارزمي *

# البحث العلمي والحضارة الحديثة

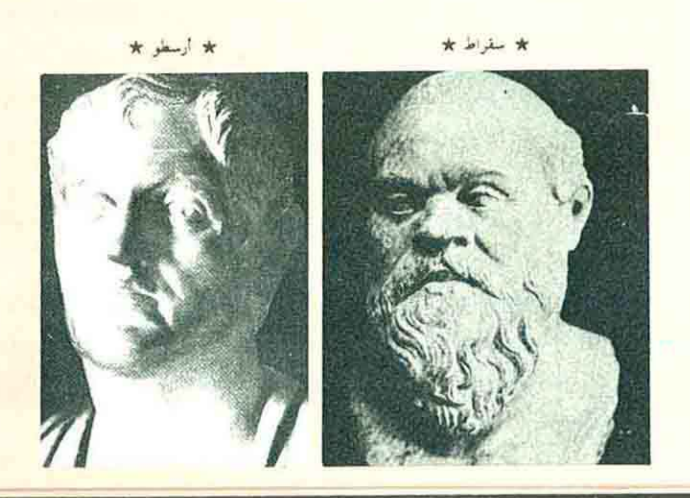
إعداد : د. سامي عريفج

## مدخل تاريخي :

**منذ وجد الإنسان على هذه الأرض لم تنقطع محاولاته للبحث عن فهم أفضل لنفسه ، وللكون من حوله ، وللعالم الذي يعيش فيه ، وكان باستمرار يحاول الانتفاع من ذلك الفهم في تعزيز موقفه .**

وهكذا تيسر للإنسان أن يجتاز بما أنتجه من معرفة على مر العصور مراتب التطور الحضاري خطوة خطوة من الثورة الزراعية إلى المرحلة الزراعية ، فالثورة الصناعية فالمرحلة الصناعة ، حتى وقف أخيراً على أبواب الثورة المعرفية « بحيث أصبح الحديث عن المجتمع العلمي لا يتناول وصفاً لمجتمع في المستقبل بل وصفاً لمجتمع قائم »[١] .

ولقد كانت مراكز الحضارات القديمة في **الهند والصين وفارس ومصر الفرعونية** موطن أول نشاط إنساني عرفناه ، غير أن ظروف الحياة ونظام المجتمع كما يقول الدكتور **مصطفى نظيف** : « قد فرقت في تلك الحضارات بين الفعل والعمل الذي تمثل في الفنون والصنائع ، وبين التأمل والنظر الذي تمثل في الأساطير . ولذلك فلم يتم الجمع بين الجانبين العملي والنظري في ذلك النشاط ، وهكذا لم تبلغ المعرفة في ذلك الوقت مبلغ الشبه بالعلم عند المحدثين »[٢] .



* أرسطو *

* سقراط *

## الحضارة .. بين الإغريق والرومان

وبعد فترة ركود طويلة على الحال السابقة بزغ فجر نهضة فكرية جديدة في بلاد الإغريق ، « **إلا أن الإغريق قد ركزوا على النظر الفلسفي والتأمل العقلي** »[٣] مما أخل

بالتوازن بين الجانبين النظري والتطبيقي في إنتاجهم . ومع هذا فقد زادوا الشيء الكثير على الثروة المعرفية التي أخذوها عن سابقيهم ، وأنتجوا الجديد على الأقل في طرق التفكير والبحث كما هو مشهور عن **القياس الأرسطي والجدل السقراطي** .

وبذلك يكون للإغريق دور هام في تطوير طرق البحث ، إذ ينظر الدارسون لتطور طرق البحث العلمي على أنها اجتازت خلال الحقب التاريخية خطوات عدة : **أولها المحاولة والخطأ أو المعرفة الحسية والخبرة الذاتية ، وثانيتها الاعتماد على مصادر الثقة والتقاليد أو المعرفة النقلية ، وثالثتها التأمل العقلي والحوار أو المعرفة الفلسفية (وهو ما اشتهر به الإغريق) ، وآخرها التدليل الاستقرائي أو المعرفة العلمية « وهو الأسلوب الذي ابتدأه العرب »**[٤] .

أما خلفاء الإغريق من الرومان فلم يتابعوا عملية تجديد المعرفة التي سلكها سلفهم ، وإن كانوا قد ساهموا بدورهم في إعادة التوازن بين الجانبين النظري والعملي الذي أخلَّ به الإغريق ، إذ انصرفوا إلى استثمار أفكار الإغريق في تطبيقات عملية . « **فاستخدموا ، على سبيل المثال ، نظريات الرياضة والعلوم في رصف الطرق والبناء ، كما استعانوا بالفلسفات الاجتماعية في سن القوانين** »[٥] .

## النهضة الثقافية الإسلامية

ولم ينتعش الفكر والعلم من جديد بعد الإغريق ليسترد قدرته على إنجاب معارف جديدة إلا حينما توافرت شرائط مقوماته ، وقدرت رسالته في ظل الثورة الثقافية الإسلامية . وكانت شام الأمويين وبغداد العباسيين ومصر الإسلامية هي تلك الأرض الرحبة التي استوعبت معارف الأقدمين واستقطبت مشاهير المفكرين ، وكان بيت الحكمة ، على سبيل المثال ، مؤسسة علمية حوت المراجع والوثائق ، وعني فيها بالنقل والترجمة والتأليف ، وأعمال الرصد وتنمية العلم وإجراء البحوث .

ومن الظواهر اللافتة للانتباه في العصر الإسلامي العناية بالجمع بين الناحيتين النظرية والعملية ، **فقد تحرر علماء المسلمين من استهداف العلم للعلم فقط بل إنهم طلبوا العلم للانتفاع به أيضاً في شتى مرافق حياتهم ، ولا أدل على ذلك من أن كتاب الخوارزمي في الجبر كان يقوم على مسائل في قسمة المواريث وتوزيع الحصص** . وهناك شواهد كثيرة تفيد أن المسلمين قد خرجوا على القياس الأرسطي واعتمدوا الملاحظة والتجربة سبيلاً للبحث العلمي ، « **فكأنهم قد أسهموا باصطناع منهج الاستقراء** »[٦] .

يقول **روزنتال** : « إن أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو جلياً في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فقد كانوا يبدون نشاطاً واجتهاداً عجيبين حين يلاحظون ويمحصون ، وحين يجمعون ويرتبون »[٧] .

## النهضة الأوروبية

وكما انتقلت مراكز النشاط الفكري من أرض الحضارات القديمة إلى بلاد الإغريق ، فالبلاد الإسلامية فقد تجاوزت بعد ضعف الدولة الإسلامية إلى مناطق جديدة في غرب أوروبا حيث تفجرت النهضة الأوروبية ، وظهرت الأكاديميات والجامعات ، وازدهر العلم ، وازدهر العمل العلمي في حقول مختلفة .

وكان هناك انتعاش وركود ، كما كان هناك امتزاج للعمل بالنظر ، وأحياناً انفصال حتى حلَّ القرن التاسع عشر ، فالعشرون بكشوفات ومخترعات في حقل الكهرباء والميكانيك ، والكيمياء والإلكترونيات ، والبحوث الطبية وبحوث علماء الأحياء والاقتصاد والتربية ، إلى غير ذلك .

وتطورت العلاقة بين العلم والحياة ، وأبطلت الوسائل القديمة ، وأصبح العلم والبحث العلمي في الحضارة الحديثة سداها ولحمتها : يخلق إمكانات جديدة ، يغير في أساليب الإنتاج ، يعيد تشكيل المجتمعات وتنظيماتها ، ويخلق مؤسسات جديدة ، فيدخل التغيير والتطور في كل مكان .

ومع أن مراكز إشعاع الفكر العلمي الكبرى في هذا القرن قد باتت في أمريكا والاتحاد السوفييتي إلا أن المسافات قد تقلصت بين البلدان والقارات وانتشرت المعارف بصورة واسعة النطاق ، بحيث أصبح القاصي والداني يتأثر بالعلم ومنتجاته على حد سواء « **وأصبح العلم سلاحاً بيد منتجة واستثماراً في خدمة المصالح القومية** »[٨] .

فتسابقت الدول على العناية بإنتاج العلماء ، وتوفير الأجواء العلمية للعمل ، إلى تلك الدرجة التي جعلت أحد رؤساء الولايات المتحدة الأميركية « **هربرت هوفر** » يقول : « **إن علماءنا هم أثمن مقتنياتنا القومية** »[٩] .

واليوم كما هو معروف يزداد الإنفاق على



# البحث العلمي .. والحضارة الحديثة

البحث العلمي ، وتزداد مؤسساته وميادينه بصورة لم يسبق لها مثيل . وبعد أن كان البحث العلمي خلال القرون السابقة يقوم على نشاط أفراد وهبوا أنفسهم للعلم ولطلب الحقيقة يشبعون عن طريقه دوافعهم للمعرفة ، أصبح البحث العلمي حديثاً جهداً تعاونياً منظماً تتولاه الدولة أو مؤسسات علمية أو صناعية أو مؤسسات الخدمة . « وصارت الدول تعنى بتثبيت سياسة قومية علمية للبحث العلمي تحدد الأهداف العلمية والمواد المتطلبة لتحقيقها ، كما تهيئ الفرص للتنسيق بين الأبحاث وتعد البرامج لإعداد الباحثين ، وتجهز مؤسسات البحث وتمولها »[١٠] .

## البحث العلمي في العصر الحاضر

**يتساءل الدكتور شارل مالك في محاضرة له بعنوان « البحث العلمي في العصر الحاضر » لماذا في العصر الحاضر؟ ويجيب عن ذلك بقوله : « إن العلم في روحه وأثره طاغ على هذا العصر ، أو على العائشين في هذا العصر »[١١] .**

وهذا يعني أنه بالرغم من أننا يمكن أن نرجع بطفولة البحث العلمي إلى أعماق التاريخ حيث كانت أولى محاولات الإنسان للبحث عن المعرفة ، « إلا أن البحث العلمي لم يصبح متغلغلاً في نسيج الحكم ، مسيراً للاقتصاد ، موجهاً لنشاط المؤسسات الاجتماعية بمختلف أنواعها ، مهيمناً على مقدرات الأفراد والأمم إلا في الفترة الأخيرة »[١٢] . وعلى حد تعبير « **جلن ت . سيبورج** » بعد الأربعينات من هذا القرن ، ويدلل سيبورج على ذلك « بالمقارنة بين الميزانية الاتحادية للبحث والتنمية في الولايات المتحدة لعام ١٩٤٠ م ، والتي لم تتجاوز أربعمائة مليون دولار ، وميزانية البحث لعام ١٩٦١ م ، حيث بلغت نحو تسعة بلايين دولار »[١٣] .

## على النطاق العالمي

ويتفق الدكتور **عبد الغني عبود** مع جلن ت . سيبورج على أهمية فترة الأربعينات وما بعدها حيث يشير إلى « التوسع الهائل في البحث العلمي بعد الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص »[١٤] ، إلا أن الدكتور **فؤاد صروف** قد شدَّد على العقد السابع من هذا القرن ـــ أي في الستينات ـــ باعتبارها الفترة التي أصبح فيها العلم والبحث العلمي عالمي النطاق ، مستشهداً بتزايد تركيز الأمم المتحدة واليونسكو في هذه الفترة على إبراز أهمية البحث العلمي في حياة الدول ، كما يتضح من خلال البرامج والمؤتمرات والتوصيات التي استهدفت هذا الأمر .

ويعزز الدكتور صروف رأيه بمبادرات « **توم مارغرش** » المحرر العلمي لصحيفة **صندي تايمز اللندنية** الذي أخذ منذ أيلول ( سبتمبر ) ١٩٦٣ م ، يؤكد دور البحث العلمي في حياة المجتمعات المعاصرة بإفراغ المعنى في عبارة مقتضبة تستوقف النظر ، إذ يقول : « **إن النمو الاقتصادي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعافية العلمية ، فابتكار الأفكار الجديدة ، وتطويرها ، واستنباط الطرائق الصناعية الجديدة ، وكل ما يقال عن البحث العلمي ، إنما هو تثمير بالمعرفة يبلغ من خطر الشأن مبلغاً عظيماً كمثل تثمير المال** »[١٥] .

وعلى أية حال هناك من يرى « **بأن العلم هو الحقيقة الكبرى في عصرنا الحاضر** »[١٦] **وأن البحث العلمي في هذه الأيام قد أصبح الدعامة الكبرى التي تحدد مكانة الدولة** ، « فميزان تقدم الدول أو تأخرها قد غدا على ما يبدو هو حجم ما تمتلكه من أسرار الاختراعات الحديثة »[١٧] ، ذلك لأن هذه الاختراعات قد باتت هي المهيمنة في مجالي السلم والحرب . ومن هنا يأتي سباق الدول العظمى في امتلاك أكبر عدد من الباحثين العالميين ، وفي تنمية أكبر قدر من المؤسسات البحثية ، وفي تخصيص أضخم ميزانيات للإنفاق على البحوث .

### الهوامش

( ١ ، ١٢ ) جلن ت . سيبورج : « المجتمع العلمي » ـــ **العالم معنى وطريقة** ، مجموعة أبحاث ومقالات حررها صمويل رابورت وهيلين رايت ( مترجم ) ، الأنجلو المصرية ١٩٦٨ م .

( ٢ ) د . مصطفى نظيف : « العلم وتنظيمه في البلاد العربية » ـــ **مجلة أبحاث** ، بيروت ١٩٥٦ م .

( ٣ ، ١٦ ) د . فؤاد زكريا : **التفكير العلمي** ، الكويت ١٩٧٨ م .

( ٤ ) د . فوزي غرايبه وآخرون : **أساليب البحث العلمي** ، عمان ١٩٧٧ م .

( ٥ ، ١٤ ) عبد الغني عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمي ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ١٩٧٢ م .

( ٦ ) د . أحمد بدر : **أصول البحث العلمي ومناهجه** ، الكويت ١٩٧٥ م .

( ٧ ) د . كايد عبد الحق : **في كتابة البحث العلمي** ، مكتبة دار الفتح ١٩٧٢ م .

( ٨ ، ٩ ، ١٥ ) فؤاد صروف : **أوراق علمية** ، بيروت ١٩٧٢ م .

( ١٠ ) د . ناجي عبد القادر : « أجهزة تنظيم البحث العلمي » ، بحث مقدم للمؤتمر الأول للوزراء العرب المسؤولين عن البحث العلمي ، فبراير (شباط) ١٩٧٤ م .

( ١١ ) د . شارل مالك : « البحث العلمي في العصر الحاضر » **مجلة أبحاث** ، بيروت ١٩٥٦ م .

( ١٣ ) صمويل رابورت وهيلين رايت ( محررين ) : العلم معنى وطريقة ، القاهرة ١٩٦٨ م .

( ١٧ ) د . محمد حسني عباس : « نقل التكنولوجيا من الدول الصناعية إلى الدول العربية » ، بحث مقدم إلى المؤتمر الثقافي العربي الثامن المنعقد في القاهرة ١٩٦٩ م .

# الاغتراب في شعر المتنبي

بقلم
هدية الأيوبي

**حين تشتعل المسافات بيننا وبين الآخرين، حين يتحول العالم إلى كتلة صخرية تحيط بنا ونحس أننا الشيء الوحيد الحيّ فيها، حين تتنافر المفاصل التي حاولت أن تجمع بين النفوس المتوازية، حين ترتفع الجدران أمام مرآة القلب، فهذا يعني أننا قد وقعنا في دوّامة الاغتراب.**

فما المفاهيم التي تدور حول هذه الكلمة؟

★ المتنبي ★



★ هيجل ★



★ ريلكه ★



★ ديكارت ★



## ماهية الاغتراب

**لا بد لنا قبل أي شيء من تعريف الاغتراب على الصعيد اللغوي. في اللغة العربية** نجد أصل الكلمة في لفظة الغَرْب: وتعني الذهاب، والتنحّي، والنّوى، والبعد كالغربة. والغُرب: بالضم النزوح عن الوطن كالغربة والاغتراب والتّغرب. والإغراب: إتيان الغرب، والإتيان بالغريب، وإجراء الراكب فرسه إلى أن يموت، والإمعان في البلاد كالتغريب. وتغرّب: أتى من الغرب. وغرّبَ: أي غاب كغرّب وبَعُد. واغترب: تزوج في غير الأقارب. والتّغريب: أن يأتي ببنين بيض وبنين سود ضد[1].

**أما في اللاتينية فنلاحظ وجود عدة استخدامات للفظ الاغتراب:**

١ ـ فهو يعني نقل الملكيّة: إذ إنّ فعل Alienare يعني تحويل شيء ما لملكيّة شخص آخر، و Alienus يعني الانتماء إلى شخص آخر.

٢ ـ كذلك يستخدم هذا اللفظ بمعنى الاضطراب العقلي فلفظة Alinato تعني فقدان الوعي وشلل أو قصور القوى العقلية.

٣ ـ وهناك الاغتراب بمعنى الغربة بين البشر. إن فعل Alienare يمكن أن يفيد معنى التسبّب في فتور علاقة وديّة مع شخص آخر.

**ويتشابه استخدام اصطلاح الاغتراب في اللاتينية مع ظروف استخدام اصطلاح الغربة في الألمانية[2].**

أما فيما يخصّ **المفهوم الفلسفي للاغتراب** فإننا أمام نظريّات ومفاهيم عديدة لا يمكن حصرها ولكن سنحاول بحث أهمها.

يقول **ريلكه** في كتابه الأول: «إننا لا نحسّ بالألفة بشكل وثيق في هذا العالم المضطرب». ولقد اعتبر قوله هذا صياغة لوصف مرض بالغ الحداثة. ولكنّ هذا الشعور عايشه الفلاسفة الكبار منذ **ديكارت**، وتجلّى في أعمالهم غالباً.

لكنّ **هيجل** أول من استخدم هذا الاصطلاح بانتظام وفي صورة تقارب الشكل الذي يستخدم فيه اليوم. وقد استخدمه في طريقتين مختلفتين، فهو يعني أولا الانفصال، أي فقدان وحدة الفرد مع البنية الاجتماعية أو اغتراب ينشأ بين الوضع الفعلي للمرء وبين طبيعته الجوهرية. أما المعنى الثاني للاغتراب فيعني التسليم أو التخلي أو التضحية إذا ما أريد قهر أنواع معيّنة من الانفصال. وبينما ينظر هيجل إلى اغتراب البنية الاجتماعية كشيء ممقوت ويتعيّن أن يقهر، فإنه ينظر إلى التخلي باعتباره شيئاً مرغوباً فيه وينبغي استدامته[3]. فالتخلي حسب المفهوم الهيجلي يعني التغلب على الاغتراب عن البنية الاجتماعية والاغتراب عن الذات المصاحب له. وحين يتوصل المرء إلى أن يعي البنية الاجتماعية التي تحيط به بكل جزئياتها ويعي طبيعته هو بإمكانه أن يوفّق بين طبيعته وبين البنية الخارجية. وحينئذ يندمج الفرد في المجتمع بكل مضامينه، وهكذا يتغلب



المرء على اغترابه ويحقق كليته المنشودة[٤].

كما تحدث الفيلسوف الفرنسي **جان بول سارتر** عن الاغتراب في أولى كتاباته. فرأى أن البشر «يخضعون لضعف إيمانهم ويخفون حريّتهم عن أنفسهم وينظرون إلى ذواتهم كأشياء». ويركز سارتر على التطورات النفسية التي تقود البشر إلى أن ينظروا إلى ذواتهم كأشياء أو كموضوعات، كأناس غير أحرار. ويصرّ سارتر على أننا ضحايا أنفسنا، وأننا في الحقيقة أحرار ونخطىء في حق أنفسنا لعدم إدراكنا هذا الأمر[٥].

أما **الاغتراب بالمعنى الإسلامي** فهو اغتراب عن الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة، واغتراب عن النظام الاجتماعي غير العادل. هو قهر سلطة الحكام وسلطة النفس بترويضها على الطاعات والمجاهدات واعتزال الناس، فيحل النظام الروحي الداخلي الذي يشيع في النفس الشعور بالأمان محل النظام السياسي الخارجي الذي أدخل الرعب في قلوب المسلمين بعد أن تفشّت فيهم فتنة الشهوات وفتنة الشبهات[٦].

**وقد بحث كثير من النقاد العرب في موضوع الاغتراب وكشفوا عن أغلب جوانبه.**

فالدكتور **ماهر حسن فهمي** يحدثنا عن الغربة الروحية التي تتمثل في عدم التكيّف الاجتماعي والنفسي، وتفكك علاقة الفرد بالبيئة التي حوله.

أما الاغتراب الفكري فهو الذي يعاني منه الإنسان نتيجة طموحه الجامح وتطلعه إلى آفاق بعيدة في الفكر والحياة الاجتماعية بينما يصدمه الواقع بتخلّفه وإجحافه وثقل قيوده[٧].

ويحدثنا **الدكتور محمد غنيمي هلال** عن غربة الرومانتيكي التي تتشكل في مظهرين مختلفين، المظهر الأول هو الغربة الزمانية، والمظهر الثاني هو الغربة المكانية. فالغربة الزمانية تتمثل في وجود هوّة بين المرء وبين الواقع، بين ما ينشده الرومانتيكي من مثال وبين الحقيقة التي تحيط به. والغربة المكانية هي إحساس الرومانتيكي بعدم الانسجام والتآلف بينه وبين المجتمع لتفشّي المظالم والشرور ونتيجة ثقل القيود الاجتماعية. وكل هذا يؤدي إلى نتيجتين: أولهما اعتداد الفنان بنفسه ووعي لعبقريته ونمو نزعة الكبرياء في داخله، وجعل ذاته محور العالم؛ والنتيجة الثانية هي اعتزال الناس والانكفاء على الذات[٨].

**ونرى أن كل أنواع الاغتراب التي تحدث عنها الفلاسفة والنقاد مرتبطة أولا وأخيراً بالاغتراب السياسي الذي ينعكس على الفرد والمجتمع، على البيئة والعصر، على الزمان والمكان. إن تفكك دولة ما، وانهيارها سياسياً واقتصادياً يؤدي إلى إحداث مسافة كبيرة بين الفرد والواقع، وتكون النتيجة هي تشكل الاغتراب في مختلف مظاهره وأنواعه.**

ويبدو لنا أن ظاهرة الاغتراب قد تجلّت في شعرنا العربي بصورة خاصة عند **أبي الطيب المتنبي**. ذلك أن المتنبي قضى عمره مغترباً في هذه الدنيا، ضارباً في الأرض بحثاً عن المجد وسعياً إلى الكمال. فهل تراه وصل إلى غايته؟ أبداً، وإنما ظل في ظمأ دائم إلى العلى، وفي غربة مستمرة عن الواقع اليومي. إن نفسه الأبيّة وطموحه الكاسر وأمانيّه التي لا تحد دفعت به إلى الارتحال الدائم وصبغت شعره بمعاناة شديدة حتى أننا نقرأ المرارة والحزن في أغلب أبياته.

## عوامل اغتراب المتنبي

**ومن خلال مطالعتنا لنتاجه الشعري، واستناداً إلى ما حوته كتب الأدب والتاريخ عن حياة المتنبي والبيئة التي عاش فيها، بإمكاننا أن نستنتج أبرز العوامل التي أثّرت في شخصيّته وفي نتاجه الشعري وأدت إلى اغترابه. وهذه العوامل هي:**

١ ـ الأقاويل التي تردّدت **حول نسبه**، وقد أدّى ذلك إلى فخره الدائم بنفسه واعتزازه بشخصيّته وتنمية هذه الشخصية.

٢ ـ **حرمانه من الأمومة**: مما جعله يحيا في فراغ عاطفي كبير، وأدى به إلى الإحساس بجوع شعوري وتوق إلى الحنان الوالديّ. وقد تفجّر ذلك في شعره على شكل غنائيّة حزينة ورقّة عاطفية لا توصف، ونَفَس ليّن سيّال. كما تجلّى ذلك في حياته إذ إنه كان دائم البحث عن كنف أمين يلجأ إليه.

٣ ـ **التوق إلى العظمة والتفرّد**: وهذا العنصر تواجد فطريّاً في شخصية المتنبي وجعله دائم الإحساس بالتفوّق. ولعلّ هذا العنصر هو الذي دفعه إلى الترفع عن المديح في بعض الأحيان، وإلى عدم الانسجام مع معاصريه من الشعراء.

٤ ـ **وجود فاصل بينه وبين الآخرين**: لم يقدر المتنبي أن ينسجم مع أكثر المواقع الاجتماعية التي عاش فيها نظراً لكثرة الحسّاد والوشاة حوله فنغّصوا عليه حياته وحملوه على الرحيل حتى عن بلاط أحب الأشخاص لديه (**سيف الدولة**).

٥ ـ **اعتزازه بعروبته**: فقد كان المتنبي شديد الاعتزاز بأصله العربي وشديد التعصّب لبني قومه. من هنا كان لا بدّ أن يعاني كثيراً من البيئة السياسية التي شهدها عصره نظراً لسيطرة **الروم** على الوضع السياسي والعسكري، ونظراً لسيطرة غير العرب على أغلب مرافق الدولة الإسلامية.

٦ ـ **القلق الدائم**: كان المتنبي في قلق دائم لا تقرّ له عين ولا يهدأ له بال، وكان يسعى دائماً نحو المستقبل، ويخشى ألا يمتد به العمر بما فيه الكفاية لتحقيق أمانيّه. من هنا كان لا يستقر في مكان وإن عزّ عليه هذا المكان. وكان دائم الترحال بحثاً عن السعادة والنجاح والمجد والمال.

٧ ـ **الفشل والفقر**: مرّت على المتنبي فترة في حياته ذاق خلالها مرارة الفقر والفشل والخيبة. مما أدى إلى إحساسه باليأس والنقمة على الدهر، فانثنى يهجو الأيام ويتحلّى بالصبر حيناً وأحياناً كان يتمنى الموت.

ونلاحظ أن كل هذه العوامل تترابط مع بعضها في تركيبة واحدة لا يمكن الفصل بينها. كما أنها أسهمت جميعها في تكوين تلك الشخصية الفريدة، شخصية المتنبي، وأدت إلى معاناته الغربة أو الاغتراب. وكان لا بد من أن تطغى هذه الظاهرة على شعره ولعلّ أبرز مظاهر الاغتراب في شعره هي: (الاغتراب المكاني ـ الاغتراب الزماني ـ الاغتراب الذاتي ـ الاغتراب السياسي ـ الاغتراب الفكري).

## الاغتراب المكاني

لم يكن المتنبي راضياً من البيئة المحيطة به، لذا اندفع إلى الارتحال الدائم، فلا يكاد يقيم في أرض حتى يرحل عنها لأنها لا تريحه ولا يجد فيها ما يتلاءم مع نفسيّته، أو ما يساعده على تحقيق أمانيّه. لذا **كانت علاقته مع المكان علاقة جدلية**، في البدء يندفع نحو المكان مشوقاً ومفعماً

بالأمل ، لكنه لا يلبث أن يهجره مسرعاً بحثاً عن محطة أخرى . **وهاهو في الأبيات التالية يعلّل سبب رحيله قائلاً** :

أيـن فضلي إذا قنعت مـن الـدهـ
ـر بعيش معجّل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرّز
ق قيامي وقلّ عنه قعودي
أبداً أقطع البلاد ونجمي
في نحوس وهمّتي في سعود
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود[٩]

إذن المتنبي لا يريد أن يحيا حياة عادية بل كان يريد الشيء الكثير ، فراح يقطع الفيافي متجدّد العزم رغم العقبات ، مفضّلاً الموت على حياة الذلّ والخنوع .

لنسمع الأبيات التالية مفتتحاً بها قصيدة في **مدح بدر بن عمّار أمير طبرية** :

بقائي شاء ليس هم ارتحالا
وحسن الصبر زمّوا لا الجمالا
تولّوا بغتة فكأنّ بيْناً
تهيّبني ففاجأني اغتيالا
فكان مسير عيسهم ذميلاً
وسير الدمع إثرهم انهمالا
كأن العيس كانت فوق جفني
مناخات فلما ثُرن سالا[١٠]

نلاحظ أنه بدأ القصيدة بشكل تقليدي على عادة الشعراء آنذاك ، لكن أبياته اصطبغت بنفس غنائي حزين وكان مجرد ذكره الرحيل كفيل بسكب الحزن في شعره وإن لم يكن هو الذي ارتحل .

وبعد ذلك يحدثنا عن رحيله هو وكيف أنه ألف هذا الرحيل كأن لا غنى له عنه ، وكأنه قدره ، إذ يقول :

**ألفت ترحلي وجعلت أرضي**
**قتودي والغريري الجلالا**
**فما حاولت في أرض مقاماً**
**ولا أزمعت عن أرض نزولا**
**على قلق كأن الريح تحتي**
**أوجّهها جنوباً أو شمالا**[١١]

لا يكاد المتنبي ينزل في أرض حتى يرحل عنها فتوحّدت عنده لحظة الإقامة والسفر ، حتى لا يمكن الفصل بينهما . وسبب ذلك قلقه وبحثه عن المجد ، فهو كان يحيا في هالة من الهواجس تُخزّه وتجعله لا يستقرّ في مكان .

نرى ، إضافة إلى ذلك ، أنه ثمّة عداء سري ، مقدّر ، بين المتنبي وبين المكان الذي ينزل فيه ، من هنا لم يقدر المتنبي أن يؤالف مكاناً معيّناً وإن طاب له . وهكذا عاش غريباً بلا وطنْ يردّد :

لا أقمنا على مكان وإن طا
ب ولا يمكن المكان الرحيل[١٢]

وثمّة ملاحظة هامة أوردها **الدكتور طه حسين** وهي أن المتنبي لم يكن يتأثر بطبيعة المكان في حد ذاتها . ولولا بعض الأبيات التي قالها في وصف **بحيرة طبرية** ووصف سريع **للبنان** ، ووصف لوادي بوّان لظننا أن المتنبي لم يكن يرى ما يحيط به من مظاهر الطبيعة . والحقيقة أنه لم يكن يحفل بهذه المظاهر لأنه «كان مشغولا عن الطبيعة بنفسه وبالناس»[١٣] .

## الاغتراب الزماني

كان المتنبي ، طيلة حياته ، في صراع بينه وبين الدهر . وكان يقاوم كل ما ينزل به من نكبات بصبر عجيب . وقد صاحبه إحساس دائم بالنفور من العصر ككل . من هنا تغرّب شاعرنا عن زمنه نظراً لما كان يلاقيه من إجحاف الأيام وجحودها . وقد ذاق المتنبي مصائب الزمان باكراً ، فاسمعه يقول في صباه :

**أذاقني زمني بلوى شرقت بها**
**لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا**
**وإن عمرت جعلت الحرب والدة**
**والسمهري أخاً والمشرفي أبا**
**فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي**
**والبر أوسع والدنيا لمن غلبا**

تعبّر الأبيات السابقة عن معاناة عميقة وإحساس بالفجيعة . إنه يشكو الغربة والفقر واليتم وأي شيء أعظم من ذلك . وتتفجّر عقدة النسب والوالدية في البيت الثاني ، إذ نلاحظ أن المتنبي يحس هنا بالنقص والحرمان والحاجة إلى البيت وإلى العائلة التي تغمره بحنانها . وإذ يفتقد ذلك يعوّض الشاعر بالانتساب إلى ساحة الوغى ؛ إذن اختار المتنبي المقاومة والمواجهة حتى النهاية .

إن إحساسه ببوطأة الزمن جعل الأيام عنده تطول وتقصر حسب الظروف النفسية التي يمر بها ، وليس حسب النظام الميكانيكي للوقت . فالعمر قصير جداً والساعات والدقائق تتناقص أمام أمانيّه الكبار ، وذلك واضح في هذا البيت :

**فؤاد ما تسلّيه المدام**
**وعمرٌ مثل ما تهب اللئام**[١٤]

ولكن ما أطول الليالي وما أشد وقع الأيام عند من فارق الأحبة والديار . ويبدو ذلك في قصيدته التي مدح فيها سيف الدولة إذ يقول في مطلعها :

ليالي بعد الظاعنين شكولُ
طوالٌ وليل العاشقين طويل
يبنّ لي البدر الذي لا أريده
ويخفين بدراً ما إليه سبيل
وما عشت من بعد الأحبّة سلوة
ولكنني للنائبات حمول
وإن رحيلاً واحداً حال بيننا
وفي الموت من بعد الرحيل رحيل
وما شرقي بالماء إلا تذكراً
لماء به أهل الحبيب نزول
يحرّمه لمع الأسنّة فوقه
فليس لظمآن إليه وصول
أما في النجوم السائرات وغيرها
لعيني على ضوء الصباح دليل
ألم ير هذا الليل عينيك رؤيتي
فتظهر فيه رقة ونحول[١٥]

لقد حلّل الدكتور طه حسين هذه الأبيات تحليلاً رائعاً . فهو لا يرى أن المتنبي بدأ قصيدته بالغناء الحزين لمجرد أنّ تلك هي عادة الشعراء آنذاك ، بل يرى في نفس المتنبي شيئاً آخر غير التأنق الفني والترفق الذي يعمد إليه الشعراء ، فيها حزن دفين ، يصدر أحياناً عن نفس الشاعر التي لم تدرك من آمالها شيئاً ، أو لم تكد أن تدرك منها شيئاً ، ويصدر أحياناً عن حال هذه الأمة الإسلامية التي تبلى فتحسن البلاء ، وتجاهد فتحسن الجهاد ، ولكنها حيث هي لا تتقدم خطوة ، ولعلها تتأخر خطوات[١٦] .

ويرى الدكتور طه حسين أنّ **الليالي الطوال** رمز للحياة المتشابهة المملّة التي تؤلم وتثقل بتشابهها . أما **البدر** الذي يسأل عنه المتنبي فهو رمز «لهذه الآمال النائية وهذه الهموم البعيدة التي تاقت إليها نفس الشاعر منذ أحسّ الحياة وقدر على النشاط ، والتي أنفق ما أنفق من حياته دون أن يبلغها أو يدنو منها»[١٧] .

بعد أن تغرّب المتنبي طويلاً ، وبعد هذا المدى من الفراق بينه وبين سيف الدولة تأتيه هدية

هذا الأخير ودعوته التي أثارت شجوناً كان قد خيّل للمتنبي أنها تكسّرت، وحرّكت رماداً ظنّ أن ليس تحته شيء سوى الرماد، فإذا به بركان من الحزن والأسى والشوق تفجّر في قصيدته التي بدأها قائلاً :

ما لنا كلّنا جوٍ يا رسول
أنا أهوى وقلبك المتبول
كلّما عاد من بعثته إليها
غار مني وخان فيما يقول
أفسدت بيننا الأمانات عينا
ها وخانت قلوبهن العقول
تشتكي ما اشتكيت من طرب
الشوق إليها والشوق حيث النحول
وإذا خامر الهوى قلب صبّ
فعليه لكل عين دليل[١٨]

وعلى الرغم من أنّ هذه الأبيات الخمسة، تصدر عن عاطفة حب صادقة، وترتفع إلى مستوى عال من الأداء في الغزل فإننا نخطئ، بل نظلم الشاعر إذا وقفنا عند هذا الغزل وحده وتركنا ما يرقد تحت الكلمات من معان ثنائية، تظهر في تركيز الأبيات على عناصر الخيانة والتآمر والزيف والادعاء، كما لا يمكننا تجاهل تكرار كلمات بعينها تلحّ على القارئ مثل الغيرة والخيانة وإفساد الأمانات ثم التزييف والادعاء في موقف الرسل. هذه المعاني التي تختفي وراء الغزل لها من غير شك دلالتها إذ تشكل خيطاً أساسياً في الموقف المثار أو المطروح. إن هذه الأبيات «تكشف عن أشياء دفينة في نفس الشاعر تجسّد ما يعتريه من ألم مما كان من مؤامرات وخيانات عاقت صلته بالناس أو قل بسيف الدولة على وجه خاص فأساءت لعلاقته به وحالت دون استمرارها»[١٩].

ثم يدعو الشاعر بعد ذلك صاحبته إلى اغتنام فرص الحياة لأن الحياة قصيرة لا تدوم فيقول :

زوّدينا من حسن وجهك ما دام
فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنيا
فإنّ المقام فيها قليل
من رآها بعينها شاقه القطّا
ن فيها كما تشوق الحمول[٢٠]

«وهذه الأبيات الثلاثة تحمل هي الأخرى بعداً ثانياً بل إنها مفتاحنا لفهم القصيدة ففيها يرتفع الغزل إلى مستوى الرؤية وإلى مستوى الموقف واللحظة الشعورية التي كانت تسيطر على الشاعر، ويخرج الغزل من الجزئي إلى الكلي». فلم تعد القضية قضية المتنبي وحده بل هي قضية الإنسانية كلّها. ويهمنا هنا أن نشير إلى هذا المزج بين لهفة الشاعر لحبيبته وبين إحساسه بالزمن وإدراكه للحياة. «ويدعونا إلى حب الحياة ومن فيها لأنها فانية. ومنذ أن استخدم الشاعر هذه العبارات ارتفع بالغزل إلى مستوى الموقف وارتبط الأول بالثاني وصار الإحساس الواحد المهيمن هو تلك الرؤية التي تستحوذ على وجدان الشاعر الداخلي والتي تدعو إلى نبذ الماضي بكل ما فيه من مرارة»[٢١].

ثم يبادرنا الشاعر بهذا البيت الرائع الذي يصف فيه كثرة تنقله في الصحراء مصاحباً الشمس، إذ يقول :

**صحبتني على الفلاة فتاة**
**عادة اللون عندها التبديل**[٢٢]

وقد جعل الشمس فتاة لأن الزمان لا يؤثر فيها فهي أبداً شابّة لا تهرم وطلوعها يتجدد في كل يوم، فهي بكر كل يوم. نلاحظ هنا مدى ما يحمله هذا التعبير من مرارة الإحساس بثقل الأيام، وكيف أن الدهر أزلي لا يفنى ويفنى الإنسان ويزول كل من يمر تحت الشمس.

**وتتجلى غربة المتنبي الزمانية في هذه الأبيات التي قالها بمصر ولم ينشدها كافوراً :**

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
وعناهم من شأنه ما عنانا
وتولّوا بغصّة كلّهم منـ
ـه وإن سرّ بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليـ
ـه ولكن تكدّر الإحسانا
وكأنا لم يرض فينا بريب الـ
ـدهر حتى أعانه من أعانا[٢٣]

هذه الأبيات مصبوغة بالتشاؤم المطلق واليأس الشامل «فالناس صحبوا هذا الزمان دون أن ينالوا منه خيراً وكذلك الأمر بالنسبة لشاعرنا. وليس الناس خيراً من الزمان ولكنهم شركاؤه في الشر؛ كأنما تلقوا منه العدوى فأسرعوا إلى موافقته ومعونته»[٢٤].

ويمضي شاكياً دهره وسوء حاله وقلقه ووجده، في مقام آخر حين يقول :

**لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي**
**شيئاً تتيّمه عين ولا جيد**
**يا ساقييّ أخمر في كؤوسكما**
**أم في كؤوسكما هم وتسهيد**
**أصخرة أنا مالي لا تحركني**
**هذي المدام ولا هذي الأغاريد**
**إذا أردت كميت اللون صافية**
**وجدتها وحبيب النفس مفقود**[٢٥]

في هذه الأبيات رنة حزن عميق، وتعبير وجداني عن الألم والخيبة والوحدة.

«ثم انظر إلى هذه الحسرة التي يصيح بها البيت الأخير، صيحة اليأس والقنوط، لأنه يبتغي المدام فيظفر بها، ولكنه وحيد قد فقد حبيب نفسه، فهو لا يستطيع أن يلهو وحده، ولا أن ينعم بلذة وحيداً»[٢٦]. ونرى في هذه الأبيات «حلماً لغوياً وفنياً غاية في الإعجاب والدهشة»[٢٧].

## الاغتراب الذاتي

من خلال ما روي عن حياة المتنبي نلاحظ ظاهرة كثرة الحسّاد والوشاة من حوله. فحيثما حلّ نراه محسوداً مما يصل إليه حتى وإن وصل إلى شيء قليل. وقد كان للحسّاد أثر كبير في دفعه إلى الارتحال هرباً من أذاهم وغدرهم. فقد نغّصوا على حياته في الشام ووشوا به إلى أمير حمص مما أدى إلى سجنه فترة لا بأس بها. كما أفسدوا عليه هناءه في حلب، ولم يكد يعرف قليلاً من الاستقرار إلى جانب سيف الدولة حتى نكّدوا علاقته به بافتراءاتهم، وكان لا بد من الرحيل مرة أخرى. وكذلك كانت الحال حيثما حلّ وأنّى اتجه.

ومن هنا نشأت هذه الفجوة بينه وبين الآخرين، بينه وبين البيئة الاجتماعية. فأدى ذلك إلى إحساس دائم بالوحدة وإلى رغبة في الهرب والترحّل.

وقد أدرك المتنبي سبب حسد الناس له، وقد ذاع صيته في بلاد العرب، وانتشرت أشعاره على كل الأفواه. فهو يقول :

**إني وإن لمت حاسدي فما**
**أنكر أني عقوبة لهم**
**وكيف لا يحسد امرؤ علم**
**له على كل هامة قدم**[٢٨]

كان المتنبي طيلة حياته دائم الاعتزاز بنفسه

والفخر بنبوغه وطموحه . يقول :

**تغــرّب لا مســتعظماً غــير نفســه**
**ولا قــابلاً إلا لخــالقه حــكما**
**ولا ســالكاً إلا فــؤاد عجــاجة**
**ولا واجــداً إلا لمكرمــة طعما**
**يقــولون لي : مــا أنــت في كل بلــدة**
**وما تبتغي ؟ ما أبتغي جل أن يسمى[٢٩]**

يوضح المتنبي في هذه الأبيات سبب غربته ورحيله المستمر . الدافع إلى هذه الغربة هو دافع داخلي قبل كل شيء ، إذ إن المتنبي كان يعي ذاته ، يعي عبقريته وتفوّقه على من حوله ، كما أحس بالفرق البعيد بين مطامحه وبين صغائر المجتمع . من هنا نشأ شعور بالعزلة بينه وبينهم وراحت المسافة تكبر شيئاً فشيئاً لدرجة أن لم يعد يسعه المكان الواحد ، فهجّ في البلاد شاكياً مشوقاً باحثاً حاملاً على ظهره همّ العالم كله . وكيف لا يحس بالغربة من كان الحسد ظلاً له :

**أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني**
**ولا أعــاتبه صــفحاً وإهــوانا**
**وهــكذا كنــت في أهلي وفي وطــني**
**إن النفيس غــريب حيثما كانــا[٣٠]**

وقد يحدث أن تثقل الوحدة عليه ويقوى صراخها إلى درجة تجعله يتمنى مصافحة الزائر الأخير ( الموت ) ؛ كما في قوله :

كفى بــك داء أن تــرى الموت شــافيا
وحســب المنــايا أن يــكن أمــانيا
تمنيتهــا لما تمنيــت أن تــرى
صــديقاً فــأعيا أو عــدواً مــداجيا
حببتك قلبي قبل حبــك مــن نــأى
وقــد كان غــداراً فــكن لي وافيــا
واعــلم أن البــين يشــكيك بعــده
فلست فــؤادي إن رأيتــك شــاكيــا
فإن دمــوع العــين غــدر بــربها
إذا كن إثــر الظاعنين جــواريا
أقِلّ اشــتياقاً أيهــا القلــب ربمــا
رأيتك تصــفي الــودّ مــن ليس جــازيا
خلقت ألــوفاً لــو رحلــت إلى الصّبــا
لفارقت شيبي مــوجع القلــب بــاكيــا[٣١]

نــلاحظ في هــذه الأبيات حســاسية الموقف النفسي الذي كان يستلب الشاعر آنذاك . لقد كان ثمة صراع بين موقفين متضادين ، موقف الشاعر الوفي وموقف الأصدقاء الذين خانوه . وهذا التضادّ انعكس في الأبيات ، إذ نلاحظ ورود كثير من الكلمات المتناقضة المعاني ( داء ↔ شافٍ ، صديق ↔ عدو ، غدار ↔ وافي ، الصبا ↔ شيبي ) . وفي هذه الأبيات نبرة من الأسى الدفين ، ولا عجب فقد قالها فور قدومه لمصر ، لما كان جرحه طرياً مع العلم أن هذا الجرح لم يهرم أبداً . لذا نرى أن أغلب الكلمات الواردة في الأبيات هي كلمات تدلّ على الحزن وتومي إليه ( داء ، الموت ، المنايا ، عدو ، نأى ، غدّار ، البين ، شاكي ، دموع ، اشتياق ، موجع ، باكي ) . وهذا يدلنا إلى عمق الألم الذي كان يحز أوردته حين أنشد تلك الأبيات .

## الاغتراب السياسي

في شعر أبي الطيب ، كما في نفسه ، تعصب جليّ لعروبته وأصالته . وقد قويت هذه النزعة بسبب تجوله الدائم في البادية واتصاله بسيف الدولة ذي الحسب والنسب العربيين . ولكن لا يجب أن ننسى عنصرين هامين ضاعفا غربته السياسية : العنصر الأول هو فقدان الطابع القومي نظراً لتغلغل الفرس والأتراك ، والعنصر الثاني هو تفوق الروم عسكرياً على العرب . من هنا كانت نار الحماسة لأمته تحرق قلبه فتلتهب الحروف عزة وفخراً ؛ فهاهو يعتز بعروبة سيف الدولة قائلاً :

**تُهاب سيوف الهند وهــي حــدائد**
**فكيف إذا كانــت نــزارية عــرْبا[٣٢]**

وحتى حين رق المتنبي غلاماً تركياً كان عبد سيف الدولة ، فإن الشاعر لم يتمالك نفسه عن تذكير الأمير بأن هذا الغلام غير عربي ، إذ يقول :

وإنّ الــذي أمســت نــزار عبيــده
غــني عــن اســتعباده لغــريب[٣٣]

ويتجلى اعتزازه بعروبته من خلال اعتزازه بعروبة أمير حلب في قوله :

خضــعت لمنصــلك المنــاصل عنــوة
وأذل دينــك ســائر الأديــان
والــطرق ضــيقة المســالك بــالقنا
والــكفر مجتمــع على الإيمــان
رفعــت بــك العــرب العماد وصــيّرت
قمــم الملــوك مــواقد النــيران
أنســاب فخــرهم إليــك وإنمــا
أنســاب أصــلهم إلى عــدنان[٣٤]

وفي هذه الأبيات فخر مزدوج : فخر بالإسلام كدين ، وفخر بالعروبة كنسب .

وكان المتنبي يتألم لأن الحكم للأعاجم في أكثر أنحاء الدولة الإسلامية ؛ فيقول :

**وإنمــا النــاس بــالملوك ومــا**
**تفلــح عــرب ملــوكها عجم**
**لا أدب عنــدهم ولا حســب**
**ولا عهــود لهــم ولا ذمم[٣٥]**

حتى وهو راحل إلى **شيراز** لمدح **عضد الدولة البويهي** فإنه لا يكفّ عن التألم لفقدان اللسان العربي أثناء مروره بشعب بوّان :

**مغــاني الشــعب طيبــاً في المغــاني**
**بمــنزلة الــربيع مــن الــزمانِ**
**ولــكنّ الفــتى العــربي فيهــا**
**غــريب الــوجه واليــد واللسانِ[٣٦]**

أضف إلى ذلك أننا لا نجد في شعره إلا ملامح المرأة العربية .

## الاغتراب الفكري

إنّ وعيه لعبقريته وتفرّده جعله يحسّ أنّ كلّ من حوله من الشعراء هم دونه شأناً . ولذا كان دائم التغني بنبوغه في هذا المجال . ومن هنا إحساسه بالتنافي بينه وبين بقيّة الشعراء الذين نافسوه وحسدوه لما بلغه من شهرة . ولا ننسى ما حدث بينه وبين **أبي فراس الحمداني** ، أو بينه وبين **الوزير المهلّبي** وغيرهما من حسّاد المتنبي . . وكان المتنبي يعي ذلك فيقول :

**أنــا تــرب النــدى ورب القــوافي**
**وسمــام العــدا وغيــظ الحســود[٣٧]**

والمتنبي لا يرى نفسه أعظم من شعراء عصره فحسب ، بل هو أعظم ممن سبقوه في الجاهلية وقبلها . وذلك في قوله :

**ما نــال أهــل الجــاهلية كلهــم**
**شعري ولا سمعت سحري بــابل[٣٨]**

ولا يقف المتنبي عند هذا الحدّ بل حين يمدح سيف الدولة بالشعر فإنه يمدح شعره في نفس الوقت ، قائلاً :

وعنــدي لك الشرد الســائرا
ت لا يختصصــن مــن الأرض دارا
قــوافٍ إذا سرن عــن مقــولي
وثــبن الجبــال وخضــن البحــارا[٣٩]

ويبلغ قمة الفخر بشعره حين يقول :

**وما الدهر إلا من رواة قلائدي**
**إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا**
**فسار به من لا يسير مشمّراً**
**وغنّى به من لا يغنّي مغرّدا**
**أجزني إذا أنشدت شعراً فإنما**
**شعري أتاك المادحون مرددا**
**ودع كل صوت غير صوتي فإنني**
**أنا الصائح المحكي والآخر الصدى**[40]

وحين هجاه بعض الشعراء في بغداد عند البويهيين ، اكتفى بالرد عليهم قائلاً :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاويني قصير يطاول[41]

وكيف لا يحسّ بالغربة الفكرية من قال :

**أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي**
**وأسمعت كلماتي من به صمم**[42]

إن الأبيات السابقة تدل على رؤية كونية للشاعر يتوحّد فيها مع العالم ، فهو رغم كونه يفخر بنفسه مكرّساً « الأنا » إلا أنّ « الأنا الشمولية » التي تبدو هنا ، الأنا التي تتوحّد في الكون فتشعّ فيه ويشعّ فيها . من هنا جاء تجاوز الشاعر للواقع المحلي والبيئي الضيق وانطلاقه نحو المدى المطلق .

## خصائص الاغتراب عند المتنبي

**من خلال ما مر بنا بإمكاننا أن نتوصل إلى أهم خصائص شعر الاغتراب عند المتنبي :**

● **أولاً** : إن « وحدة المتنبي وغربته ليست وحدة سلبية تركن إلى الدعة »[43] . و « ليست هرباً من العالم . . . إنها وحدة المجابهة ــ مجابهة العالم ، واللعب به وتجاوزه . وحدة الألم الكبير . . . إن العظمة تنقلب إلى فاجعة حين يراد القبض على اللهب الأول . ذلك أن هذه وحدة الصداقة مع الأطراف القصيّة : الانتصار أو الموت ، وحدة التعالي والمطالب الكبرى والاتصال بينابيع القوة والسيطرة على العالم وتغييره »[44] .

إن غربته لم تبعده عن الفعل والحركة بل دفعته إلى الثورة ورفض العلاقات المتغالطة والقيم المزيفة [illegible] ثوب الحكمة .

من هنا ، من إصراره الجاري مدى العمر ، من عناده اللدود كان ذاك الرحيل الأزلي في حياة رجل صادق الصهوة لأنه عشق الآتي .

● **ثانياً** : إنّ إحساس الشاعر بضآلة المكان وقصر العمر لم يعقه عن عملية الإبداع الفني . فإذا « كان المكان ضيّقاً عليه والزمن هرماً ، فإن له زماناً ومكاناً خاصّين وهما طليقان واسعان بلا تخوم ذلك أنه مسكون بهاجس وحيد : ببداية أعمق أصلاً ، وبكارة أكثر عذرية »[45] .

● **ثالثاً** : جاءت لغته الشعرية على مستوى التجربة الذاتية والإنسانية ، فتزاوجت الكلمة مع المشاعر والأحاسيس ، مما طبع شعره بلون إبداعي فريد . وجاءت المفردات حبلى بالإيحاءات والدلالات . فنراه مثلاً يستخدم لفظ « الفتاة » للشمس تعبيراً عن الديمومة ، وقصر العمر انعكس حين قال « خبب الليالي » . ونراه في أحد أبياته يقيم علاقة جدلية بين المفردات ، إذ يقول :

**أظمتني الدنيا فلما جئتها**
**مستسقياً مطرت عليَّ مصائبا**[46]

إن لفظ « أظمتني » دليل القلّة لأن الإنسان حين يعطش يطلب شربة ماء لا أكثر ، ويأتي التناقض بين قناعته بالقليل وجود الدهر عليه بالكثير ، ولكن الكثير من المصائب ، فالمطر دليل الكثرة . وهكذا نلاحظ براعة الشاعر في التعبير بما يتلاءم والجو النفسي وقدرته على تطويع الألفاظ واللعب بالكلمات . ولم يقف الإيقاع في شعره عند « المظاهر الخارجية للنغم مثل القافية أو الجناس أو الطباق أو حسن التقسيم أو من تزاوج للحروف وتنافرها . وإنما يتخطى الإيقاع هذه النواحي إلى الكشف عن السر الذي يصل بين النفس والكلمة ، بين الإنسان والحياة »[47] .

### الهوامش

(١) الفيروزابادي : « القاموس المحيط » ، بولاق ، ١٢٨٩ هـ ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ (مادة : الغرب) .
(٢) ريتشارد شاخت : « الاغتراب » ، ترجمة : كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٦٣ ــ ٦٥ ، ٦٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤ ، ١٠٤ ــ ١٠٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٧ .
(٦) مجلة « عالم الفكر » الكويتية ، مقالة فتح الله خليف : « الاغتراب في الإسلام » ص ٨٨ .
(٧) د . ماهر حسن فهمي : « الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث » ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٠ م ، ص ١١٠ ــ ١٥٢ .
(٨) د . محمد غنيمي هلال : « الرومانتيكية » ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣ م ، ص ٥٦ ــ ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٥ .
(٩) ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج ١ ، ص ٣٢٠ .
(١٠) الديوان ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .
(١١) الديوان ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ .
(١٢) الديوان ، ج ٣ ، ص ١٥٢ .
(١٣) طه حسين : « مع المتنبي » ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ، ص ٢٩١ .
(١٤) الديوان ، ج ٤ ، ص ٦٩ .
(١٥) الديوان ، ج ٣ ، ص ٩٥ ــ ٩٧ .
(١٦) طه حسين : « مع المتنبي » ، ص ٢٣٨ .
(١٧) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .
(١٨) الديوان ، ج ٣ ، ص ١٤٨ .
(١٩) د . محمد زكي العشماوي : « موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي » ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص ٢٤٥ .
(٢٠) الديوان ، ج ٣ ، ص ١٤٩ ــ ١٥٠ .
(٢١) « موقف الشعر من الفن والحياة » ، ص ٢٤٦ .
(٢٢) الديوان ، ج ٣ ، ص ١٥١ .
(٢٣) الديوان ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ .
(٢٤) « مع المتنبي » ، ص ٣٢١ ــ ٣٢٢ .
(٢٥) الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٠ .
(٢٦) « مع المتنبي » ، ص ٣٣٣ .
(٢٧) « موقف الشعر من الفن والحياة » ، ص ٢٤٣ .
(٢٨) الديوان ، ج ٤ ، ص ٦٠ .
(٢٩) الديوان ، ج ٤ ، ص ١٠٧ ، ١٠٩ .
(٣٠) الديوان ، ج ٤ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٢ .
(٣١) الديوان ، ج ٤ ، ص ٢٨١ ــ ٢٨٣ .
(٣٢) الديوان ، ج ١ ، ص ٦١ .
(٣٣) الديوان ، ج ١ ، ص ٥٣ .
(٣٤) الديوان ، ج ٤ ، ص ١٨٠ ، ١٨٤ ــ ١٨٥ .
(٣٥) الديوان ، ج ٤ ، ص ٥٩ .
(٣٦) الديوان ، ج ٤ ، ص ٢٥١ .
(٣٧) الديوان ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .
(٣٨) الديوان ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .
(٣٩) الديوان ، ج ٢ ، ص ٩٥ .
(٤٠) الديوان ، ج ٢ ، ص ٢٩ .
(٤١) الديوان ، ج ٣ ، ص ١١٧ .
(٤٢) الديوان ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ .
(٤٣) « موقف الشعر من الفن والحياة » : د . محمد زكي العشماوي ، ص ٢٣٥ .
(٤٤) أدونيس : « مقدمة للشعر العربي » ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ م ، ص ٥٦ .
(٤٥) المرجع السابق ، ص ٥٥ .
(٤٦) الديوان ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
(٤٧) « موقف الشعر من الفن والحياة » ، ص ٢٤٠ .

# الأحساء

## العيون.. والنخيل

بقلم:
عبدالله أحمد شباط



★ مسجد الإمام فيصل بن تركي ـ المبرز ★

**منطقة كمنطقة الأحساء .. اعتورتها الأحداث منذ عهد الكلدانيين والسومريين .. وصحب تلك الأحداث ، إزالة مدن ، وإنشاء مدن وظهور مسميات جديدة .. واختفاء مسميات قديمة .. تضع المؤرخ في متاهات لا يمكن لم شملها إلا بعد طويل بحث وتحقيق ، لذلك فإن ما سوف أقدمه في هذه اللمحة ، لن يعطي أكثر من وقفات سريعة عن أحداث مهمة في تاريخ الأحساء .**


★ أحد المنازل الحديثة وإلى اليسار قصر حزام بالهفوف ★

## التسمية .. والموقع

تعرف الأحساء قديماً باسم « **البحرين** » وهو اسم شامل . لأوال التي يطلق عليها اليوم اسم البحرين . **وهجر** ، التي تعرف الآن باسم الأحساء . **والخط** التي تعرف الآن باسم **القطيف** .

فإذا رجعنا إلى التسمية القديمة نجد أن هجر كما يقول **ياقوت الحموي** : هجر قصبة البحرين وفي اشتقاقه وجوه . فيجوز أن يكون من هجرت البعير إذا ربطته ، فشبه الداخل فيها بالبعير المهجور لا يقدر على [illegible] لها وحرمتها . أما **الهمداني** فيقول ( الهجر القرية بلغة حمير والعرب العاربة ) وهجر استنتاجاً من الهجرة لكثرة الوافدين إليها بحثاً عن موارد الرزق ، ويدلنا على ذلك أن **الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ** عندما فكر في توطين البادية ، جمعهم في أماكن أطلق عليها اسم هُجر ـ بضم الهاء ـ جمع هجرة .

أما تسمية الأحساء فيحدثنا عنها ياقوت في كتابه **معجم البلدان** : « الأحساء مدينة بالبحرين معروفة مشهورة ، **كان أول من بناها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد القرمطي على أنقاض مدينة هجر سنة ٣١٧ هـ** » .

والأحساء : جمع حسي ، وهو الماء الذي تنشفه الأرض فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر عنه العرب فتستخرجه فكلما نزحت دلواً جمعت أخرى .

وتقع الأحساء على الساحل الغربي للخليج العربي ، يحدها غرباً **عقبة الفروق** ، وشمالاً **القطيف وجودة** ، وشرقاً **الخليج العربي** ، وجنوباً **رمال يبرين** ، وتقدر مساحتها من الشمال إلى الجنوب بـ ( ١٤٠ ) ميلاً ، ومن الشرق إلى الغرب على شكل مستطيل يتراوح اتساعه بين ( ٢٥ ـ ٤٠ ) ميلاً . وأرضها تتكون من صخور رملية في الوسط . أما في جهات الساحل فتتكون من كثبان رملية ناعمة وسباخ ملحية . وفي جهة الغرب صخور الصمان ، وفي الجنوب رمال تتشابك مع رمال يبرين . والشمال سهل منبسط لا تشوبه سوى جبال الظهران ، ويقدر سكانها في الوقت الحاضر بـ ( ٣٥٠,٠٠٠ ) نسمة موزعة على النحو التالي : **الهفوف** ( ١٥٠,٠٠٠ ) نسمة ، **المبرز** ( ٧٥,٠٠٠ ) نسمة ، **الفري** ( ١٢٥,٠٠٠ ) نسمة . **والعقير** : هي ميناء الأحساء . العاصمة : **الهفوف** . وأهم المدن : **المبرز . العيون . العمران . القارة . الطرف . الجفر . الجشة** .

## المعالم والآثار

أما أهم المعالم الطبيعية فهي : **جبل القارة** يبعد عن الهفوف خمسة كيلومترات شرقاً ، **وجبل الأربع** ويبعد سبعة كيلومترات جنوب قرية الجشة ، **جبل بريكا** يبعد كيلومتر ونصف شرقي قرية الشعبة ، **جبل أبو غنمة** يبعد ثلاثة كيلومترات ونصف غربي مدينة المبرز . **قارات العثمانية ، جبل غوار** وهي إحدى حقول البترول الهامة حيث يشكل إنتاجها نسبة ٤٠ ٪ من إنتاج المملكة .

ومن المعالم الطبيعية : **عين نجم** التي تبعد عن المبرز غرباً بحوالي ثلاثة كيلومترات ، **وعين الحارة** شمال المبرز بحوالي كلم واحد . أما جنوب المبرز فهناك **عين الزوادي** ، وعين مرخان على بعد نصف كم وتحيط بالهفوف . من الشمال **أم خريسان ، والبحيرية** . ومن الجهة الجنوبية الشرقية تقع عيون : **الحقل . الحدود . فريحة . برابز** ، وفي الواحات الشمالية الشرقية تقع **عين أم سبعة ، وعين منصور** . وفي جهة العيون : **عين القطار ، وعين نصيبة** . وهناك عشرات العيون المتفجرة بين القرى والواحات .

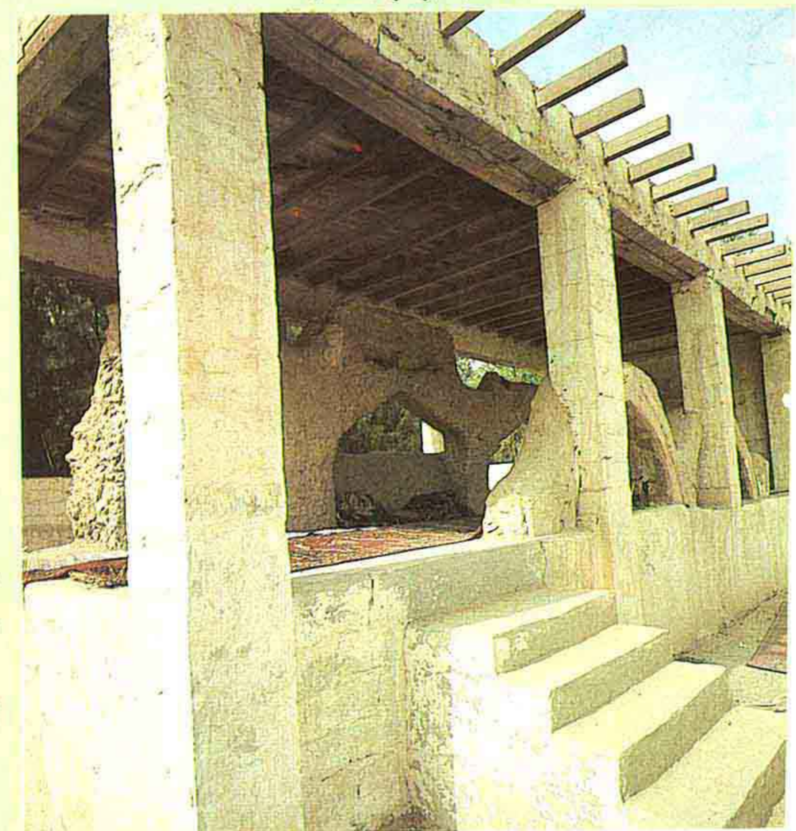
أما المعالم الأثرية فتتمثل في المساجد والحصون . ومن تلك المساجد : **مسجد القبة داخل قصر إبراهيم بالكوت** ، الذي بناه **علي بن أحمد بن لاوند** سنة ٩٧٤ هـ .. **ومسجد الباشا** ، بناه محمد علي باشا سنة ١٠٤٤ هـ ، عند مدخل الكوت من الجهة الشرقية . **ومسجد براك** ، الذي بناه **براك بن غزبر آل حميد** في القرن الحادي عشر بقلعة المبرز قرب سوق الخضار واللحوم الحالي . **ومسجد الدبس** بناه محمد باشا فروخ سنة ٩٦٣ هـ ، **وجامع الإمام فيصل** بالهفوف ، وجامع الإمام فيصل بالمبرز بناهما **الإمام فيصل بن تركي**

★ قصر إبراهيم بالهفوف ★

عام ١٢٨٨ هـ . وأهم الآثار التاريخية **مسجد جواثا وهو ثاني مسجد أقيم في الإسلام وصليت فيه ثاني جمعة جمعت في الإسلام** ، ولنا فيه تفصيل ليس هذا مقامه .

وهناك عدد من القصور الأثرية التي لا يعرف تاريخها على وجه التحديد ، ومنها : **قصر اللويمي** على بعد ١,٥ كم شرق الهفوف ويسمى **قصر العسكر** ، **وقصر الوجاج** على طريق الجشة ـ الهفوف ويسمى **القصر الشرقي** ، وقصر صاهود بالمبرز ملاصق للسور من جهة الغرب ، **وقصر المحيرس** على طريق القرى الشمالية ٣ كم شمالي المبرز ، **وقصر إبراهيم** في الزاوية الشرقية الشمالية من الكوت بالهفوف . وهناك **قصر برزان** ، **وقصر خرام** ، وهما جنوب غربي الهفوف . ومن الآثار بقايا قصر الوزير بالعيون ، وقصر الحزم في منطقة محاسن بالمبرز ، أما قصر العبيد فقد أزيل نهائياً في عام ١٣٧٥ هـ .

★ مسجد جواثا في الأحساء ★



## الزراعة .. والصناعة .. والتجارة

يمثل البترول أهم تكاثر الصناعة الوطنية لا في المملكة العربية السعودية فحسب بل في كل منطقة الخليج العربي . **والذين يعملون بصناعة البترول من أهالي الأحساء يمثلون ٦٠٪ من اليد العاملة** . وتسهم صناعة البترول في توفير الاحتياجات المادية ، والمشاركة في الخدمات العامة بما يمثل ٤٠٪ من دخل السكان ، إلى جانب صناعات أخرى انتشرت في العصور الحديثة كتجارة ( **الموبيليا** ) ، وتصنيع **الألمنيوم** ، ونسيج المشالح والعبي ، ومعامل المياه الغازية ، ومشغولات **الحديد** ، ومشغولات **الأسمنت** . ثم فكرت الدولة في استغلال الفائض من التمور فأنشأت **مصنعاً للتمور** لتعبئتها بعد شرائها من الفلاحين في عام ١٤٠٠ هـ ، وفي عام ١٤٠١ هـ ، استقبل المصنع ( ١٠٠٠ ) طن من تمر ( الوزير ) بسعر المن ٨٤٠ ريالا ، أي ما يعادل ٣٠٠٠ ريال للطن الواحد .

وقد شاركت وزارة الصناعة في الاهتمام بالناحية الصناعية ، فأنشأت مدينة صناعية على أحدث المستويات ، مزودة بكافة الخدمات الهامة ، وتبلغ مساحتها مليون متر مربع . وقد تم افتتاحها في بداية عام ١٤٠١ هـ ، وأخذت الوزارة توزعها على أصحاب الصناعات كل حسب أهميته وطاقته ومردوده الاقتصادي .



★ مركب في الخليج ★

وهناك صناعات يدوية يمكن اعتبارها من الأثريات لدقة صناعتها وروعة تشكيلها ونقشها وإبداعها، منها **صناعة الخزف**، وتصنع منها: **جرار الماء، والأزيار، والكؤوس، والتنانير (الأفران)**، **وصناعة الخوص**، وينتج منها: صناعة السفرة، والمحافر، والجفران، والمراوح اليدوية، **وصناعة الجريد** وينتج منها: صناعة الأقفاص، وسرر الأطفال، **وصناعة الليف** وينتج منها: الحبال، والدواسات، والمفارش.

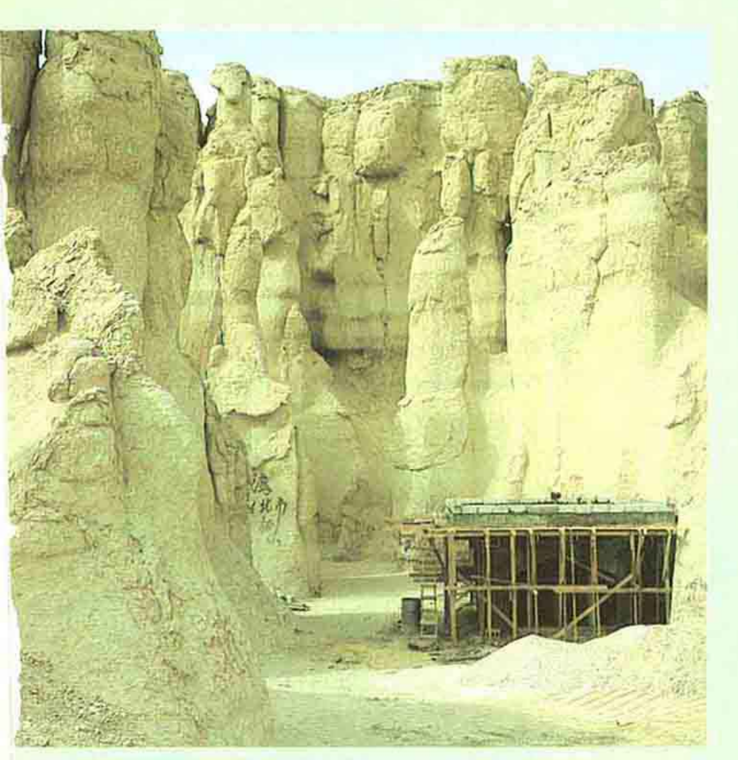
وهذا قليل من كثير، ولعل القارئ يلاحظ أن كل هذه المنتجات تؤخذ من النخلة وحدها، إلا أن هذه الصناعات مع الأسف بدأت في الانقراض لانصراف الناس عنها.

**أما الزراعة فهي مورد الرزق الأول قبل أن يكتشف البترول، ويقدر عدد أشجار النخيل بالأحساء، بحوالي ١,٥ مليون نخلة**.. وقد بلغ إجمالي محصول التمور في عام ١٤٠٠هـ (٢٥٠٠٠) طن، صدّر منها إلى الخارج ما يقارب (٥٠٠٠) طن. أما الفسائل المصدرة فقد بلغ عددها ٢٦ ألف فسيلة. ويبلغ إنتاج القمح (٨٠٠٠) طن، والأرز (١٠٠٠) طن.

أما مزارع **الإنتاج الحيواني**، فقد أخذت رقعتها في التوسع وارتفع عددها إلى ٥٠ مزرعة **للدواجن**، مساحتها الإجمالية (١٠٠٠٠) دنم تنتج سنوياً (٥٠٠٠٠) دجاجة (لحم)، و (٢,٥٠٠٠٠٠) بيضة. وأهم المشاريع الزراعية التي تبنتها وزارة الزراعة بمنطقة الأحساء:

## مشروع الري والصرف

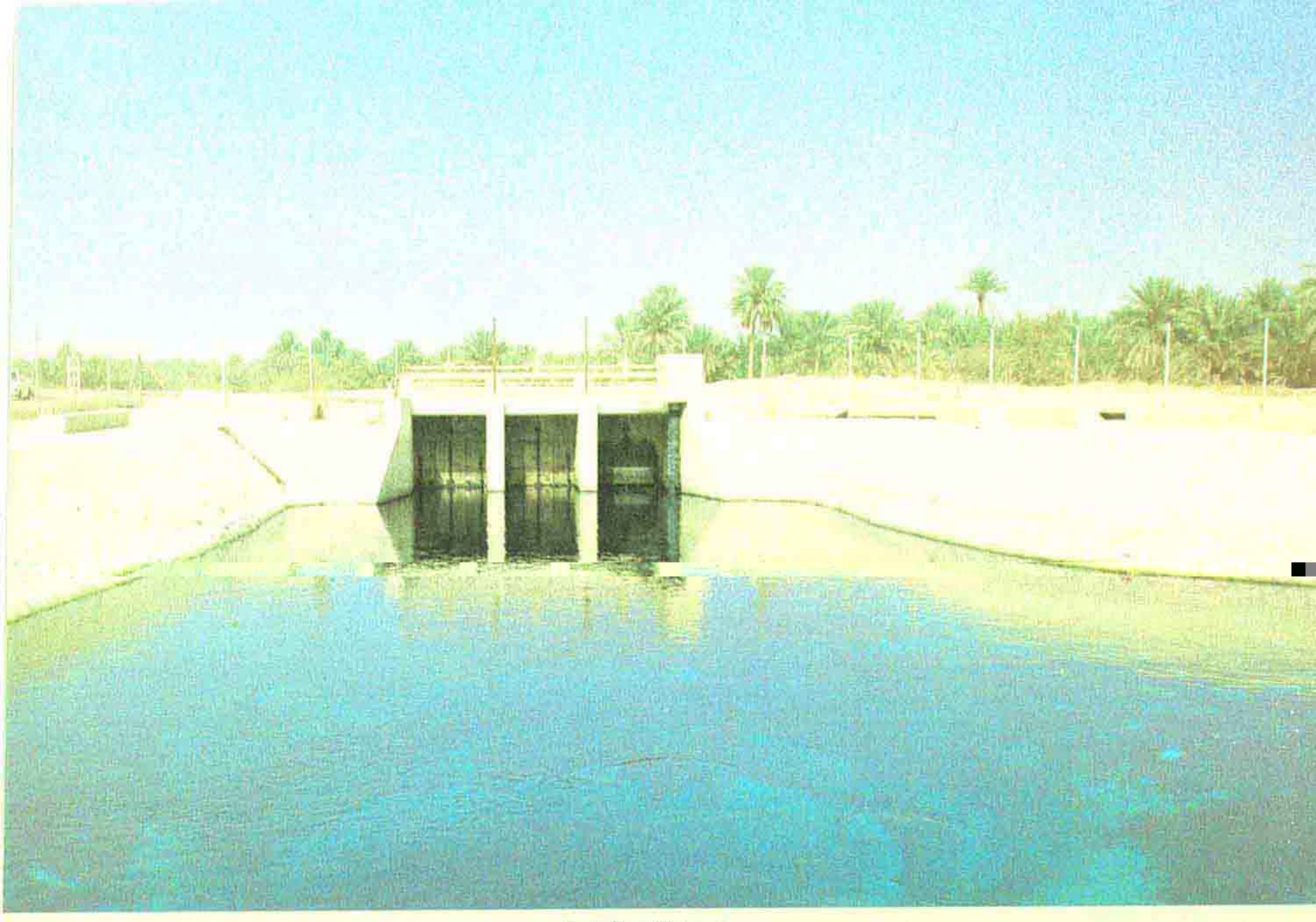
ويستهدف تنظيم ري المزروعات وصرف المياه الزائدة عنها بطريقة حديثة. وقد تم عمل قنوات للري والصرف يبلغ مجموع أطوالها (٣٠٠٠) كم، كما تمت سفلتة طرق زراعية تبعاً لهذه القنوات تبلغ أطوالها (١٥٠٠) كم، وقد استنفدت عملية شق القنوات ١٤ مليون متر



★ جبل القارة بالهفوف ★

مكعب من أعمال الحفر والردم، و ٧٥٠ ألف متر مكعب من الأسمنت المسلح. وتبلغ مساحة الرقعة الزراعية التي يغطيها المشروع ٢٠ ألف هكتار.

وتتم عملية الري بواسطة بوابات رئيسية تؤدي إلى القنوات العمومية التي تصب في القنوات الفرعية بواسطة أربع مضخات تدار بالكهرباء بسرعة ٩٨٠ دورة في الدقيقة، حيث تقوم ثلاث من هذه المضخات بدفع ما مجموعه ١,٤ قدم مكعب في الثانية. وتتغذى من الخزانات رقم ١، ويقع بمنطقة صويدرة شرق الهفوف مساحته ٥٥ م٢ وعمقه ٥,٨ م، وتزيد سعته عن ١٥٠٠ م مكعب، ويروي مساحة (١٤٠٠) هكتار. والخزان



★ عين الخدود بالأحساء ★

رقم ٢ يقع شمال المبرز وهو يساوي نصف حجم الخزان الأول ، ويروي نصف المساحة .

**وقد بلغت تكاليف هذا المشروع ٢٦٠ مليون ريال ، أما تعويضات نزع الملكية فقد بلغت ١٢٠ مليون ريال ،** وعدد العمال الذين نفذوا هذا المشروع خلال خمس سنوات ٢٥٠٠ عامل سعودي و ٢٠٠ ألماني .

## مشروع حجز الرمال

لما كانت الرمال تشكل زحفاً مستمراً على القرى والواحات الشمالية الشرقية ، فقد بدأت وزارة الزراعة في عام ١٣٨٣ هـ ، بتنفيذ مشروع يؤدي إلى وقف ذلك الزحف لحماية المزروعات والاستفادة من المساحة التي تغطيها كثبان الرمال ، وتبلغ مساحة المشروع ١١ كم عرضاً و ١٦٠ كم طولا ، تم تنفيذه على شكل مشاتل وأحراش استوعبت ٤ ملايين شجرة ، تروى من ٧٢ بئراً ارتوازية . وقد تطلب الوصول إليها تمهيد وسفلتة ٧٢ كم من الطرق الزراعية داخل المشروع الذي نفذ على شكل حزام بعرض ١٠٠ متر وطول ١٦٠ كم ، ثم حزام ثان بنفس الحجم ، ثم حزام ثالث ، أي ما يغطي ٦٠٠ فدان . وينتج سنوياً ما يقارب ٤٠٠٠ شتلة عدا الأشجار الحرجية ذات الأخشاب القوية .

**الخدمات الزراعية** : وعلاوة على هذه المشاريع ، فإن وزارة الزراعة تقدم العديد من الخدمات الزراعية ، كرعاية المشاريع الزراعية ذات الإنتاج الزراعي والحيواني ، وذلك بإنشاء ١٤ حقلاً إرشادياً لزراعة البطاطس ، و ٤١ مزرعة للقمح بلغ متوسط إنتاجها ٣٧٥ كج لكل دنم . وتقدم محطة التجارب والأبحاث حصيلة تجاربها مجاناً لكل المزارعين ، كما يفعل نفس الشيء ، القسم الزراعي بمركز التنمية الاجتماعية . وكذلك قسم الصحة البيطرية ، وهذه الأقسام لا يقتصر نشاطها على الإرشاد والتوجيه بل هي تسهم بنصيب وافر في تقديم البذور ، والمبيدات الحشرية ، والأسمدة الكيماوية ، وتعالج وتحقن الحيوانات ضد الأمراض السارية والمعدية .

## قصة بداية التعليم النظامي

كان المطوع ( **المعلم** ) هو الشخص الوحيد الذي يقوم بمهمة التعليم في المرحلة الأولى ، وكما أن للأولاد « **مطوع** » فإن للبنات « **مطوعة** » تؤدي نفس المهمة بالنسبة للبنات . فإذا أنهى الصبي مرحلة ختم القرآن الكريم ، وتعلم شيئاً من الكتابة والحساب ، فإن أمامه طريقين : إما طريق العمل ، وإما الالتحاق بمدارس الوعظ والإرشاد التي يتولى التدريس فيها المشايخ من رجال الدين . وهم يعلّمون : الدين بجميع فروعه ، واللغة

العربية ، والفرائض ، وأحياناً عروض الشعر . وقد بلغ عدد هذه المدارس بالهفوف والمبرز والقرى ٣٧ مدرسة ، أشهرها **المدرسة الشلهوبية** بالهفوف ، **ومدرسة العتبان** بالمبرز ، **ومدرسة الصالحية** ، **ومدرسة الملا بالكوت** ، **ومدرسة حسن أبو القاسم** بالقارة ، **والمدرسة الشرقية** بالمبرز .

ولما أتيحت الفرصة لبعض شباب البلاد أن يسافر إلى الخارج ، ويطلع على أنظمة التعليم النظامي ، رغبوا في فتح مدارس نظامية ، أسوة بمدرسة محمود الرديني بالبصرة ، والمدرسة الصولتية بمكة المكرمة . فتبلورت لديهم فكرة فتح مدرسة نظامية كان قصب السبق للمبادرة فيها للمرحوم **الشيخ حمد النعيم** . فطرح الفكرة على **الشيخ عبد الله القصيبي** الذي رحب بها وتبرع بأحد البيوت العائدة له ليكون مقراً للمدرسة . ففتحت المدرسة عام ١٣٤٣ هـ ، وكان الإقبال عليها قليلاً في البداية ، لكن ما إن أهل عام ١٣٤٦ هـ ، حتى كان عدد الطلاب ٥٨ طالباً . وعندما زار جلالة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ الأحساء عام ١٣٤٩ هـ ، دعاه الشيخ عبد الله القصيبي لزيارة تلك المدرسة التي كانت تسمى ( **مدرسة النجاح** ) ، فسر لما رأى من اهتمام الطلاب بدراسة القرآن الكريم والتوحيد ، فأرسل بعد عودته إلى الرياض كلاً من **الشيخ راغب القباني والمرحوم الشيخ عبد الجليل الأزهري** ، ففتحا **أول مدرسة حكومية عام ١٣٥٠ هـ .**

## الأحساء .. في الأدب

ليس هناك من بلد في العالم لم يذكره أبناؤه .. ويتغنوا بمحاسنه حتى لو كان لا يحتوي شيئاً من المحاسن .. والصفات الجميلة .. وحتى لو كان القائل قد لقي شيئاً من المذلة والهوان في وطنه ، فإنه دائماً يحن للوطن .. ويتغنى بأمجاده .. والأحساء كأي بلد حباها الله من الصفات ما يجعلها محط الأنظار منذ القدم ، فإن أنهارها ، وينابيعها الثرة ، وخضرتها الدائمة .. وخيراتها الوافرة .. وطبيعتها الهادئة .. جعلها محل إعجاب وإكبار لا من أبناء الوطن فحسب بل حتى من الغرباء الذين قدر لهم زيارة الأحساء والإقامة بها لأي أمر من الأمور . ولذلك سنعرض هنا بعض ما ورد على ألسنة الأدباء من المواطنين والوافدين ، كتسجيل لجزء من التاريخ الوضيء .

ولقد سجل لنا التاريخ أقوالا في كل قرية ، وعين وجبل ، وقيلت أشعار في كل حي من أحياء الأحساء ، لكننا هنا نورد ما ورد في الأحساء ، لأن تتبع تلك الأقوال يحتاج إلى مجلدات ، فمن ذلك ما قاله **الدكتور جواد علي** في كتابه « تاريخ العرب قبل الإسلام » .

« كان الهجريون من كبار الرأسماليين العرب في الشرقية . نافسوا السبئيين وكانوا هم وأهل سبأ من أغنى شعوب الجزيرة ، وعماد ثروتهم الذهب والفضة . وقد أنعم الله عليهم بنعمتين نعمة السلام ونعمة الحرية » .

وها هو **الشاعر عمرو بن قمئة** بن قيس بن ثعلبة من **شعراء**



★ أوان فخارية من صناعة البيئة ★

**الجاهلية** بذكر الأحساء فيقول :

ثم كان الحساء منهم مصيفاً
ضاربات الخدور فوق الكلال

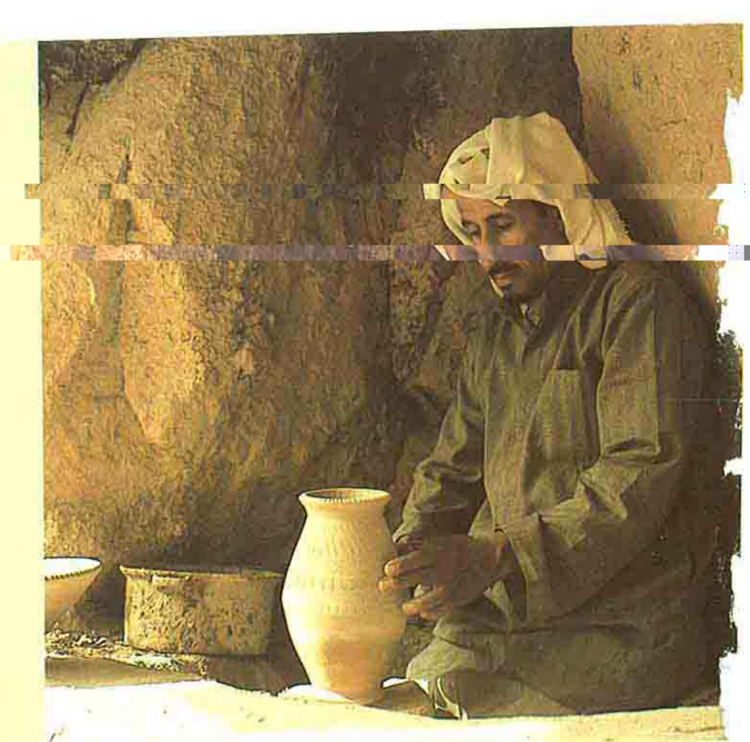
ولعل أكثر من لهج بذكرها فلا تخلو قصيدة من قصائده من اسم الأحساء يقولها في كل مناسبة ، ويشير إليها عند كل تعبير هو **جمال الدين ، أبو عبد الله علي بن مقرب العيوني ، فـي أهل** الأحساء وهم أهله يقول :

هم الناس كل الناس والناس فضلة
إذا ناب من امرأط من حمله الصلب
بهم يدرك الشأو البعيد وعندهم
لملتمس المعروف ذو مربع خصب
إذا أنت ألقيت العصي مخيماً
بالأحساء وجاورت الملوك الأطايبا
فيمم لجرعاء الشمال فإن لي
بها خلة أشتاقها وملاعبا

ويقول :

يا حبذا وادي الحساء فإنه
لو ساءني واد إلي محبب
يا حبذا درب السليم وحبذا
ذاك القطين به وذاك الملعب

ونعود للنثر لنقرأ ما خطته يراعة الكاتب الأديب **الشيخ عبد الله ابن محمد البقوشي الكردي** حيث يقول : وحال التاريخ في الأحساء أتقلب في عروض من العيش أربض وأتبختر في برد من العافية طويل



★ أيدٍ ماهرة تصنع الفخار ★

عريض بين سادة سمحاء ، يكرمون ولا يمكرون ، يطعمون ولا يطمعون ، يبهرون ولا يرهبون ، يبتكرون ولا يرتبكون ، لا تمل مناجاتهم ولا تخشى مداجاتهم :

**لا عيب فيهم سوى أن الغريب بهم**
**يسلو عن الأهل والأوطان والحشم**

أما الشيخ أحمد بن [illegible]

فسقى الله ربى هجر حياً
ينقض الودق مريعاً مرجحنا
ينبت الزهر بأكناف الصرى
وربى الحزم غدت روضاً أغنا
والعذيب العذب شرقي الحمى
عمه الوبل ورواه وهنا
تلك أطلال لنا لم أنسها
ما جرت روحي وهز الريح غصنا

ثم نلتقي بوافد آخر وفد إلى الأحساء لطلب العلم فأنشأ منظومة سجل فيها كل من التقى بهم من رجال العلم ، ذلكم هو **الشيخ محمد بن أحمد العمري الموصلي** الذي زار الأحساء في القرن الثاني عشر :

جئت إلى الأحساء أحسن كلما
في الأرض من بلد بغير مراء
فأقمت فيها مدة أجني جنى
ثمرات روضة لذتي وصفائي
ووجدت أهليها مشايخ سادة
صافين من حسد ومن بغضاء

**ويحدثنا الشيخ علي بن حسين البلادي مؤلف كتاب أنوار البدرين عن الأحساء فيقول :**

مدينة عظيمة من أعظم مدن الإسلام . تسمى **كوفة العرب** لعذوبة مائها وطيب هوائها فيها الجبل المعروف باسم **( جبل القارة ) من عجائب الدنيا** فيه مغارات كبيرة تتسع لخلق كثير ليس فيه من سوى الأطلال وحسراتها أطلال . ومن خواصه البرودة العظيمة في الصيف ويكثر ذكر الأحساء عند علماء وشعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر مثل الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي ــ رحمه الله ــ والسيد عبد الجليل الطباطبائي المتوفي سنة ١٢٧٠ هـ .

ولولا ضيق مساحة النشر في مجلة سيارة لأوردنا الكثير مما قيل عن الأحساء .

## الأحساء في التاريخ

إن التاريخ السياسي لمنطقة الأحساء لا يختلف عن تاريخ أي جزء من أجزاء العالم الإسلامي ما عدا بعض فترات تشذ به عن القاعدة ، أو تبعده عن الحاضرة الإسلامية . وقد مرت بتاريخ الأحساء فترات بارزة لا يمكن تجاهلها ومنها التي سوف نقف عندها ، وسنوليها بعض الإيضاح حسب ورودها في سياق الحديث عن التاريخ العام .

## العصر الجاهلي

لا يخلو كتاب من كتب التاريخ العربية والأجنبية من ذكر الأحساء على مر العصور مع اختلاف في التسمية . فالذين يؤرخون للعصور القديمة يوردون اسمها : تارة **مجان** ، وتارة **الجرعاء** ، أو **القرحاء** . والذين يذكرونها في سياق التاريخ الإسلامي ، يطلقون عليها اسم البحرين ، وأحياناً هجر ، وتارة الأحساء . ولما كان البحرين اسم عام لكل المنطقة الواقعة على الساحل الغربي للخليج العربي من عمان جنوباً إلى كاظمة شمالا ، فسنتمسك باسم البحرين في البداية لنقف مع **ابن خلدون** الذي يذكر أن البحرين جزء من **مملكة عاد** الذين ملكوا جزيرة العرب بحدودها الطبيعية ، وامتد نفوذهم إلى الشام ومصر ، وكانت عاصمتهم **الأحقاف** ، وهي ما يعرف اليوم بالربع الخالي . وكان الاسم القديم لهذا الجزء من البحرين ( مجان ) وآخر ملوكها **لقمان بن عاد** الذي آمن بهود عليه السلام .

وبعد اندثار مملكة عاد ، حلت محلها **حكومة معين** من سنة ١٣٠٠ ق م ــ ٦٣٠ ق م ، وعاصمتها ( الجوف ) ، وإلى جانب معين قامت دولة أخرى في اليمن هي **دولة سبأ** ، أسسها **قحطان بن يعرب** الذي امتد نفوذه إلى الحجاز ، وبعد وفاته توارثها أبناؤه وأحفاده ، **يعرب ابن قحطان ، ثم يشجب بن يعرب ، ثم ابنه عبد شمس** وهو الذي سميت له المملكة ( سبأ ) لأنه أول من بدأ السبي في الحروب ، ولما مات خلفه ابنه حمير الذي وزع أقاليم المملكة بين أبنائه ، فكانت البحرين من نصيب **ماران بن حمير** ( ذي رياش ) حتى غزاها **النعمان بن يعفر** فاستولى عليها . ثم خلفه ابنه **اسمح بن النعمان** ــ المعاقر ــ الذي اتخذ

مدينة « هجر » عاصمة له . وفي هذه الفترة ابتدأت هجرة الكلدانيين إلى سواحل الخليج العربي . وقد ورد وصف مدينة هجر مفصلاً في **رحلات استرابون** .

وكان **الرومان** يتطلعون إلى بسط نفوذهم على جميع السواحل ، فغزاها **الملك ( أنطونس الثالث )** سنة ٢٥٠ ق م ، إلا أن أهلها بعثوا وفداً لملاقاته وتقديم الهدايا له فتركها وعاد إلى بلاده . فلما كثرت الحروب بين أولاد **معد بن عدنان** في تهامة ، خرج **مالك بن فهم** وأخوه عمرو مهاجرين إلى البحرين ، فلحق بهما **عمرو بن المطشان ، وعوذ ابن مناة ، والحيقاد بن الحنق . فلما التقت العدنانية والنزارية** تعاهدوا على التناصر ، والتآزر حتى ملكوا البحرين . ثم طمعوا في مد نفوذهم إلى العراق ، فساروا إلى بابل تحت قيادة **مالك بن فهم** فاستولى عليها وأصبح بذلك **أول ملك عربي لبابل** ، وآخرهم **جذيمة الأبرش** ، الذي طمع في ملك فارس فاصطدم بأردشير بن بابك الذي سار إليه حتى احتل بابل والبحرين ، وأسس مدينة ( الخط ) القطيف ، وقد ظلت تحت حكم الفرس ، يحكمونها اسمياً بواسطة ولاة من أهلها حتى غزتها **قبائل عبد القيس** تحت قيادة **عمرو بن الجعيد بن الدؤل** ، الذي استولى عليها بعد أن طرد إياد إلى العراق .

وبعد أن استقر ملك هجر لعبد القيس طمعوا في ملك العراق فساروا إليها واستولوا عليها وعلى أطراف فارس الغربية والجنوبية ، مما حدا بالملك سابور ذي الأكتاف ، أن يدافع عن نفوذه ومملكته ، فسار إلى القطيف ، وبعد أن احتلها سار إلى هجر فدخلها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وجعل عليها وعلى العراق ملكاً من قبله اسمه النعمان بن المنذر . وقد ظلت ولاية الأحساء في يد العرب إلى أن آل ملك فارس إلى **كسرى أنو شروان** فبعث من قبله ازاد بن فيروز بن حبشيش ، الذي اسمته العرب ( المكعبر ) وهو الذي قتل منهم في حصن المشقر . وبعد استمرت ولايته إلى أن دخلت الأحساء في الإسلام ، فتحررت بذلك من رجس الاحتلال .

## صدر الإسلام

بلغت الدعوة المحمدية قبائل عبد القيس عن طريق الرهبان الذين يلتقون بهم في الأسواق المشهورة ، فبعثوا وفداً في سنة ٧ هـ ، التقى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه أصول الدين وعاد لنشر الدعوة ثم بعثوا وفداً آخر سنة ٩ هـ ، تحت قيادة **الجارود بن المعلى** فالتقى **برسول الله صلى الله عليه وسلم** ، وأرسل معهم **العلاء بن الحضرمي** الذي أقام الدعوة بالأحساء يدعو الناس إلى الإسلام ، ويستوفي الخراج حتى توفي الرسول صلى الله عليه وسلم .

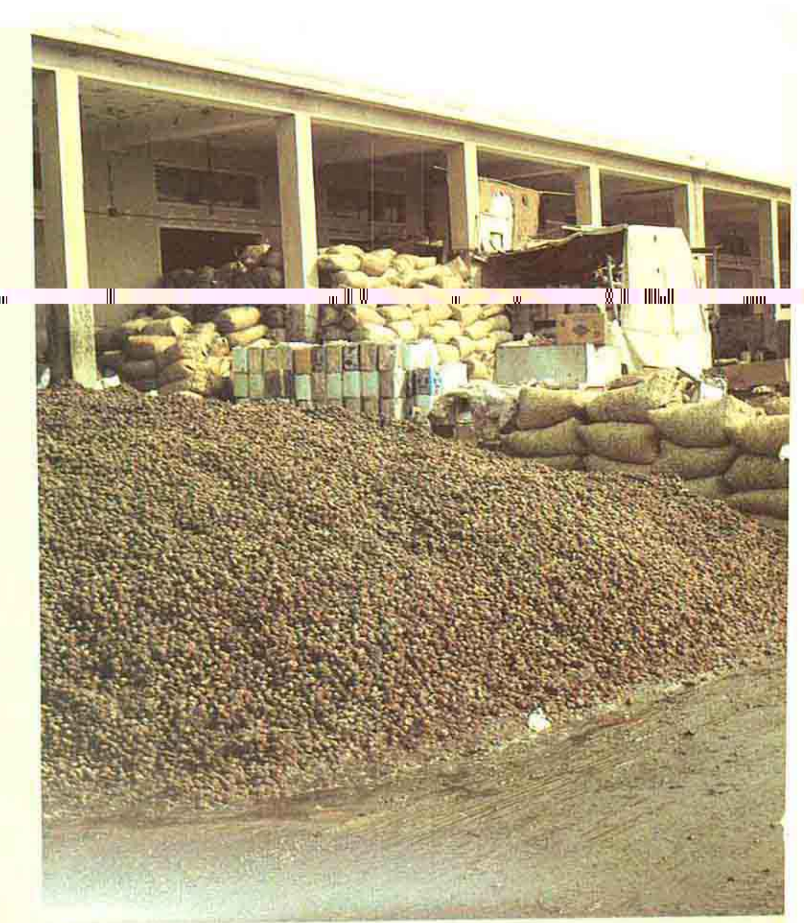
وبعد وفاة الرسول واستخلاف **أبي بكر** رضي الله عنه كانت الأحساء تنعم بالهدى والاستقرار ، إلا أن المرتدين من **قبائل بكر بن وائل** في اليمامة بقيادة **الحطم بن ضبيعة** ، قد أغروا النصارى والمجوس واليهود ، من الفرس والزط ، المقيمين بالأحساء أن يخلصوهم من حكم المسلمين إذا هم ناظروهم ، واستعانوا على ذلك **بالفرو بن سويد** **ابن المنذر** وأغراه بحكم البحرين ، فاجتمع هؤلاء على مناصرة المرتدين ، وهجموا على الأحساء ، وحاصروا المسلمين بجواثا ، حتى قدم العلاء بن الحضرمي بنجدات من المسلمين فكت الحصار وقضت على جيوش المرتدين ، وقد استمرت الأحساء تحت راية الخلافة الإسلامية . . تنطلق منها جيوش الفتح إلى أطراف فارس والهند حتى توفي **معاوية رضي الله عنه** سنة ٥٩ هـ ، فطمع **الخوارج** بالاستيلاء عليها . فثار بها **نجدة بن عامر الحنفي** ، ثم **عبد الله بن نور** ( أبا فديك ) ، ثم **مسعود بن أبي زينب** . وقد استمرت حروب الخوارج من سنة ٦٥ هـ ــ إلى سنة ١٠٥ هـ ، ومنذ أن آلت الخلافة إلى **يزيد بن عبد الملك** إلى نهاية الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ ، والأحساء جزء من الدولة الأموية .

## العصر العباسي

قامت الدولة العباسية والأمور في الأحساء مستقرة تماماً ، فتعاقب الخلفاء العباسيون على كرسي الحكم في بغداد ، ابتداء من **أبي العباس السفاح** ، ثم **أبي جعفر المنصور** ، ثم **المهدي والهادي ، وهارون الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم** ، ثم **الواثق بالله** ، وبعده **المتوكل على الله** ، **والمنتصر** ، ثم **المستعين** الذي خلع نفسه وبايع **المعتز بالله** ، الذي خلع هو الآخر وبويع بعده **المهتدي محمد بن الواثق** ، كان هؤلاء الخلفاء يشرفون على أمور الدولة ويباشرونها عن قرب . لذلك استمرت فترة الاستقرار بالأحساء من سنة ١٣٢ هـ إلى سنة ٢٤٩ هـ ، حيث ابتدأ أمر **الزنج** الذي عكر صفو الأمن وأشغل الناس بالحروب إلى سنة ٢٧٠ هـ ، حيث قتل **صاحب الزنج محمد بن عبد الله بن العباس** الذي جمع حوله العبيد في البصرة ، وثار بهم حتى وصل إلى نواحي بغداد ، ثم رجع إلى الأحساء ، واستمرت حروبه بها سبعة عشر عاماً وهو يلق من أهلها كل مقاومة حتى قتل . ومن عام ٢٧٠ هـ ، إلى عام ٢٨٦ هـ ، كانت هذه الفترة تهيئة وإعداد لبروز دولة جديدة على المسرح السياسي هي **دولة القرامطة** .

ابتدأ أمر القرامطة سنة ٢٨٦ هـ ، على يد **الحسين بن بهرام الجنابي المكنى « أبو سعيد » وهو الذي أسس مدينة الأحساء على أنقاض هجر** . واستمر الأمر بعده في بنيه وأحفاده إلى سنة ٤٦٦ هـ . وقد امتد نفوذهم من عمان إلى الشام واليمن والبحرين ، ومنذ سنة ٤٦٦ هـ ، ثار **عبد الله بن علي بن إبراهيم العيوني** بمعاونة جيش الخلافة العباسية وقائده **السك سالاربك** فهزم القرامطة وقضى على آخر معاقلهم . واستمر الحكم فيه وفي عقبه حتى سنة ٦٩٠ هـ ومنذ شمل نفوذهم الأحساء ، والقطيف ، والبحرين .

ومنذ سنة ٦٥٠ هـ ، أخذ **ملوك الطوائف** يتناوبون على حكم الأحساء ، والقطيف ، والبحرين ، حيث استقل كل حاكم بناحية . فملك الأحساء الجبريون ، وآل مغامس وآل جروان ، وكلهم يرجعون إلى **قبائل عقيل بن عامر** ، واستمر ملكهم إلى سنة ٩٢٧ هـ ، حيث احتل



★ سوق التمر حيث تعرض فيه أجود الأنواع ★

**البرتغاليون** سواحل الخليج العربي، واستمروا في حروب طاحنة مع السكان إلى أن طردهم العثمانيون سنة ٩٦٣ هـ، وبذلك أصبحت الأحساء جزءً من **الدولة العثمانية** بعد أن احتلها القائد العثماني **محمد باشا فروخ**. واستمرت تبعيتها للدولة العثمانية حتى ثار بها **براك بن غرير الحميد الخالدي** من بني عقيل بن عامر سنة ١٠٨٠ هـ، الذي استمر الملك له ولخلفائه إلى سنة ١٢١٠ هـ، وقد امتد نفوذهم إلى نجد وحدود العراق والبحرين وقطر.

ومنذ سنة ١٢١٠ هـ، وجزيرة العرب تشهد حروباً بين الدولة السعودية، وبني خالد، والأتراك، وكانت تمر فترات ينعم فيها هذا الجزء أو ذلك بنوع من الاستقرار ومنها الفترة الواقعة بين ١٢١٢ هـ ــ ١٢٣٠ هـ، خلال ولاية **الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود** ثم ابنه **سعود والإمام عبد الله بن مسعود**. إلى أن استولى الأتراك نهائياً على الأحساء والخليج العربي وألحقوه بولاية البصرة من سنة ١٢٣٠ هـ، إلى سنة ١٣٣٠ هـ.

## النهضة الكبرى

وفي عام ١٣٣١ هـ، افتتح **الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل** الأحساء حيث وحدها مع بقية أقطار الجزيرة العربية تحت راية التوحيد حاملة اسم ( **المملكة العربية السعودية** ). ومنذ أن فتح الله على الملك عبد العزيز والجزيرة العربية تعيش أحلى عهودها إذ تحقق على يديه وعلى مدى ثلاثة أرباع قرن ما لم يتحقق منذ أيام الدولة العباسية. ولعل أهم المميزات وأعظمها هو **الأمن**.. إذ استطاع الحجاج.. والمسافرون أن يقطعوا الجزيرة العربية من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها دون خوف فكانت تلك أولى النعم التي أنعم بها الباري عز وجل على هذه الأمة في هذه الفترة بالذات خاصة وأن العالم [illegible] كل جانب.

والثانية هي تجميع القبائل البدوية تحت قيادة رشيدة واحدة بعد أن كانت فرقاً متناحرة يقتل بعضها بعضاً.. أخذاً بثأر أو طمعاً في مال. فتحول ذلك البدوي الضارب في الصحراء أبداً إلى مواطن يسعى نحو الاستقرار، وينعم بالحياة الهادئة الآمنة، باحثاً عن موارد الرزق الحلال

**وقد وضع الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ اللبنة الأولى في سبيل تحقيق ذلك بإنشاء الهجر على شكل قرى صحراوية تتجمع حولها القبائل للرعي والزراعة، وقد بلغ عدد الهجر بمنطقة الأحساء ١٨ هجرة يقطنها حوالي ٤٥ ألف نسمة.**

## البترول وتنمية المجتمع

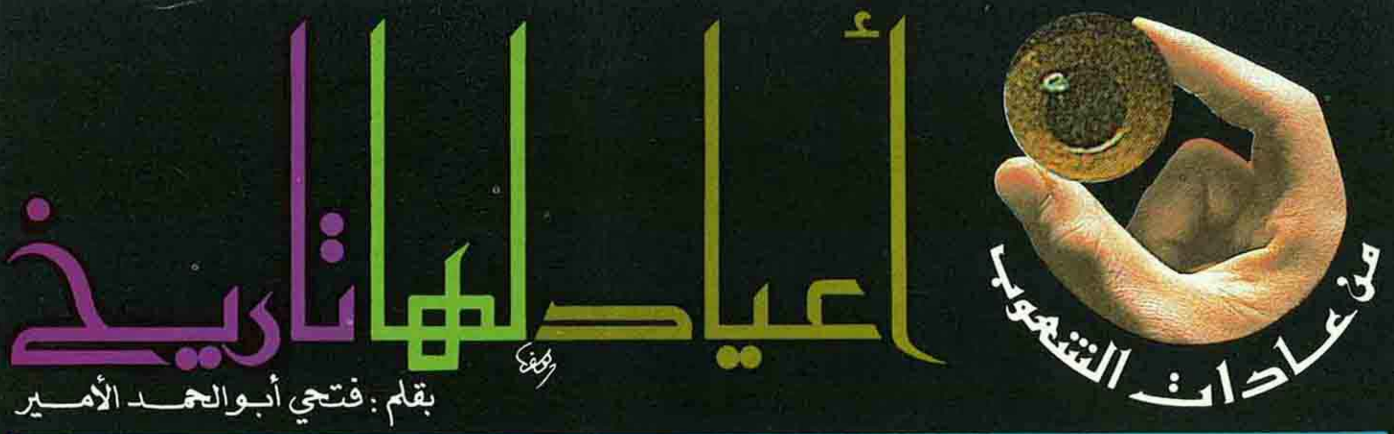
عندما منح المغفور له الملك عبد العزيز امتياز استخراج البترول لشركة الزيت العربية الأمريكية سنة ١٣٥٢ هـ، كان يستهدف توفير الرخاء والازدهار عن طريق تنمية الموارد الاقتصادية وقد نصت الاتفاقية على إنشاء مساكن لعمال الشركة ومدارس لأبنائهم ورعايتهم صحياً واجتماعياً، وتوفير المرافق العامة في مناطق سكناهم. ولا بأس هنا أن نستعرض جزءً من تاريخ إنتاج البترول.

في عام ١٣٥٢ هـ، منح امتياز التنقيب عن البترول لشركة ستاندرد أوف كاليفورنيا أويل كومباني، وفي عام ١٣٥٥ هـ، تم حفر ستة آبار تجريبية. وفي عام ١٣٥٨ هـ، حفرت **البئر السابعة** التي كانت البشرى بتدفق البترول بكميات تجارية. وفي عام ١٣٥٩ هـ، شرّف جلالة الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ الظهران للاحتفال بتصدير أول كمية من البترول إلى الخارج. وفي عام ١٣٦٠ هـ، عثر على عدة حقول منتجة في كل من **أبي حدرية، الفاضلي، والغوار**، وأنشئت أول مصفاة للبترول. وفي عام ١٣٧٠ هـ، تم الانتهاء من مد خط الأنابيب عبر البلاد العربية.

ومنذ ذلك الحين وكميات البترول تزداد إنتاجاً ليعم الرخاء... ويزيد الدخل العام ليعطي مزيداً من مشاريع التنمية وكانت آخر الإحصائيات البترولية في عام ١٤٠٠ هـ، كما يلي:

| الإنتاج بالبرميل | البترول المكرر محلياً | البترول المصدر للخارج | الموظفون السعوديون |
|---|---|---|---|
| ٣،٣٨٠٠٠٠٠٠٠ | ٢٧٠٠٠٠٠٠٠ | ٣،١١٠٠٠٠٠٠٠ | ٢٢٥٠٠ |

هذا قليل من كثير.. ووشل من مطر.. وحبات تمر من نخيل الأحساء التي تزيد عن المليون نخلة.




# أعياد لها تاريخ

بقلم: فتحي أبو الحمد الأمير

**يركز هذا البحث على بعض العادات والتقاليد التي أخذها المجتمع في العصر العباسي عن الفرس، والتي كان من أبرزها: عيد النوروز والمهرجان، ولم يتعرض للعادات والتقاليد الأجنبية التي أخذها المجتمع في ذلك العصر عن غير الفرس كعيد النرجوات والشعانين وغيرهما.**

يذكر «أوليري» «Oleary» أن الجزيرة العربية في الجاهلية لم تكن منعزلة عما يجاورها من بيئات وحضارات أجنبية، وإنما كانت دائبة الاتصال بتلك البيئات والحضارات مؤثرة فيها ومتأثرة بها[1].

ومما لا شك فيه أن من أهم أسباب هذا الاتصال، قيام التجارة، وأيضاً قيام الإمارات العربية المتاخمة لحدود فارس والروم كالمناذرة والغساسنة.

ولقد ترتب على ذلك قيام علاقات تأثير وتأثر بين العرب والدول المجاورة لهم في **العصر الجاهلي**، إلا أن ذلك الاتصال كان في حدود ضيّقة .

وفي عصر الدولة العربية زاد الاتصال بين العرب وجيرانهم وكان من أهم أسباب ذلك الاتصال ، انتشار الإسلام ودخول العديد فيه من أبناء الأمم الأجنبية ؛ ومن ناحية أخرى فقد لعبت الفتوحات الإسلامية دوراً كبيراً في هذا الشأن . وعندما أديل لبني العباس من بني أمية نجد النفوذ الفارسي قد تغلغل في جميع شؤون الدولة العباسية وهذا ما دعا المؤرخين إلى

## أعياد لها تاريخ

القول بأن دولة بني العباس دولة إسلامية ، ودولة بني أمية عربية أعرابية . ولقد ترتب على ذلك كله أن أخذ المجتمع في العصر العباسي الكثير من عادات الفرس وتقاليدهم ، وكان من أبرز هذه العادات والتقاليد التي أخذها المجتمع عن غيره من المجتمعات في العصر العباسي :

الاحتفال ببعض الأعياد الأجنبية كعيد النوروز وعيد المهرجان .

### عيد النوروز

يعتبر **النوروز** من أكبر الأعياد الشعبية في إيران ، ومقدمة يعلن بها بداية فصل الربيع ، ومدة هذا العيد ستة أيام ، ومن أساطير الفرس في هذا العيد : (أنه نشأ في أول يوم تولى فيه **أفريدون الملك** بعد أن قضى على **الضحاك** ففرح الناس واستبشروا بهذا اليوم ، وجرى على ألسنتهم عبارة : نوروز آمد أي يوم جديد)[٢] .

ويقال أيضاً إنه أول من اتخذ هذا اليوم



عيداً هو «جمشيد» أحد ملوك الفرس الأول، وسبب ذلك أن جمشيد تولى الملك بعد هلاك «طهومرت» فسمى اليوم الذي ملك فيه «نوروز» أي يوم جديد. ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن كلمة «جمشيد» تعني شعاع القمر، لأن معنى «جم» القمر - و «شاد» الشعاع.

ويذكر لنا **عبد الله بن المقفع** العادات والتقاليد التي كان يتخذها الفرس في ذلك العيد وهي: (أن يأتي الملك من الليل رجل جميل الوجه، فيقف على الباب حتى يصبح، فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان، فإذا رآه الملك يقول له من أنت؟ ومن أين أقبلت؟ وأين تريد؟ وما اسمك؟ ولأي شيء وردت؟ وما معك؟ فيقول أنا المنصور، واسمي المبارك، ومن قبل الله أقبلت، والملك السعيد أردت، وبالهناء والسلامة وردت، ومعي السنة الجديدة، ثم يجلس، ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة، وفيه حنطة وشعير وجلبان وحمص وسمسم وأرز من كل واحد سبع سنابل، وتسع حبات، وقطعة سكر، ودينار ودرهم جديدان، فيضع الطبق بين يدي الملك، ثم تدخل عليه الهدايا .. ويكون أول من يدخل عليه وزيره، ثم صاحب الخراج، ثم صاحبُ المعونة، ثم الناس على طبقاتهم ومراتبهم، ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب موضوع في سلة، فيأكل منه، ويطعم من حضره، ثم يقول: هذا يوم جديد، من شهر جديد، من عام جديد، من زمان جديد، يحتاج أن نجدد فيه ما أخلق من الزمان، وأحق الناس بالفضل والإحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء، ثم يخلع على وجوه دولته، ويصلهم ويفرق فيهم ما حمل إليه من الهدايا)[٣].

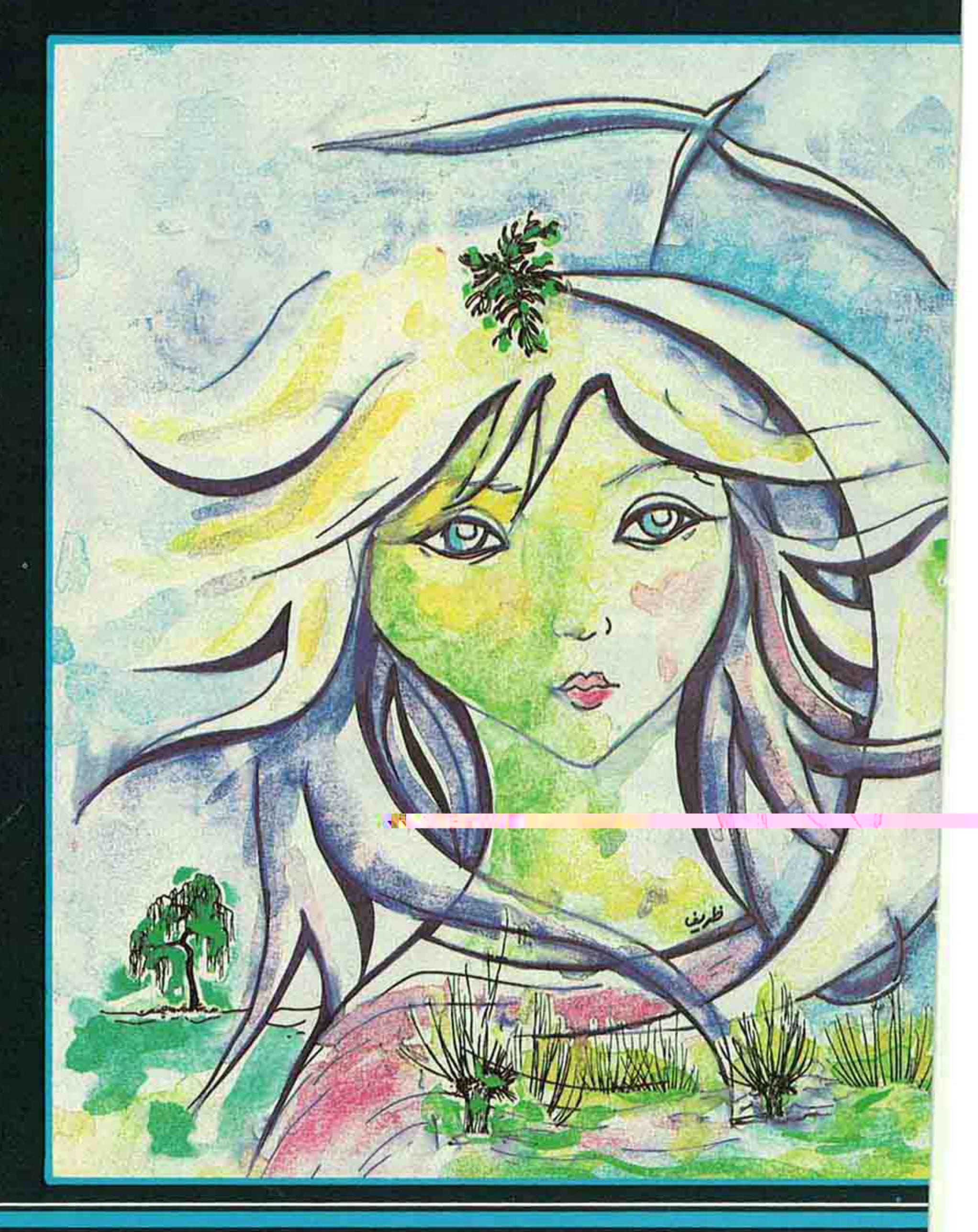
وجدير بالذكر أن نشير إلى أن الخلفاء العباسيين اهتموا بذلك العيد فأحيوا ما كان معروفاً فيه من عادات وتقاليد كعادة التهادي، وعادة إيقاد النيران. ويشير «متز» إلى أن (الخليفة كان يفرق على الناس أشياء منها صور مصنوعة من عنبر)[٤].

ولقد سجل لنا شعراء ذلك العصر ما كان متبعاً في ذلك العيد من عادات وتقاليد وما فيه من مظاهر الجمال فمن ذلك قول **أبو عبادة «البحتري»**:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً
من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النوروز في غسق الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه
يبث حديثاً كان قبل مكتما[٥]

وشبيه هذا قول **الحسن بن هانئ**:

يباكرنا النوروز في غلس الدجى
بنور على الأغصان كالأنجم الزهر
يلوح كأعلام المطارف وشيه
من الصفر فوق البيض والخضر والحمر[٦]




## عيد المهرجان

وأما عيد المهرجان فوقوعه (في السادس والعشرين من تشرين الأول (اكتوبر) من شهور السريان، وفي السادس عشر من شهر ماه من شهور الفرس)[٧]. ومقدمه يعلن بداية فصل الشتاء ومدته كسابقه ستة أيام. ولقد اختلف المؤرخون حول تسميته بهذا الاسم، فيذكر **المسعودي**: (أن الفرس كانوا يسمون

## أعياد لها تاريخ

شهورهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يسمى «مهر» كان يأخذهم بالعنف والشدة، فمات في نصف الشهر الذي يسمونه: (مهر ماه) فسمي ذلك اليوم مهرجان، أي نفس مهر ذهبت)[٨].

ويذهب البعض الآخر إلى أن سبب تسميته بهذا الاسم يرجع إلى انتصار **أفريدون** الملك على الضحاك في اليوم الأول من شهر مهر، فاحتفلوا بذلك اليوم وجعلوه عيداً، وأطلقوا عليه اسم (**مهرجان**) وهي تعني حفظ الروح.

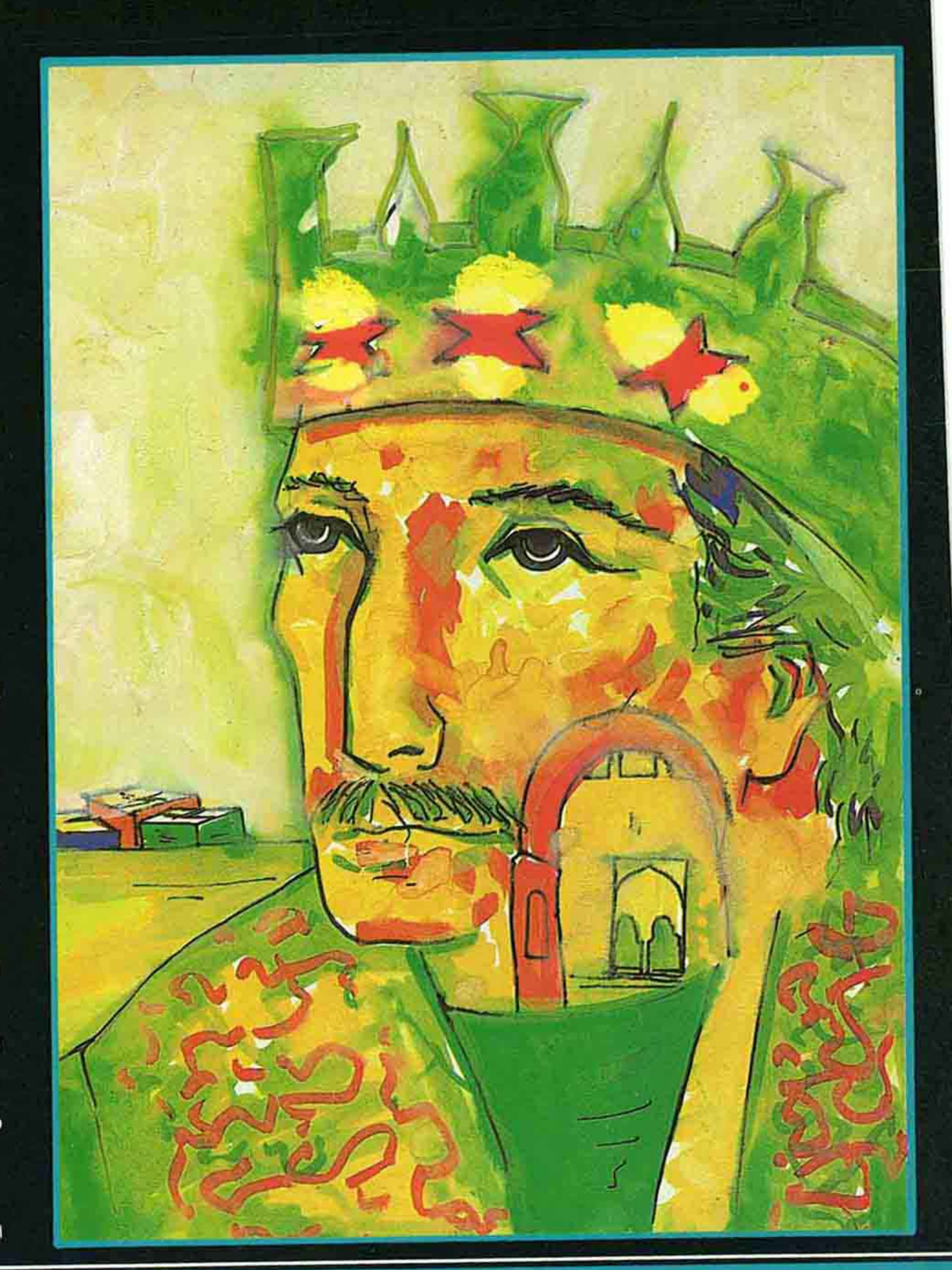
ومن عادات الفرس وتقاليدهم في هذا اليوم: (التتويج بالتاج، الذي عليه صورة الشمس، وعجلتها الدائرة عليها، وأن يقف في صحن دار الملك، رجل شجاع، وقت إسفار الصبح ويقول بأعلى صوته: أيها الملائكة.. انزلوا إلى الدنيا وامنعوا الشياطين والأشرار وادفعوهم عن الدنيا)[٩].

ومن عاداتهم أيضاً تبادل الهدايا وخاصة بين الملوك وعامة الشعب، فقد كان **أردشير، وأنوشروان** يأمران بإخراج ما في خزائنهما من أنواع الملابس والفرش وما إلى ذلك فتفرق في الناس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم مسوغين ذلك بأن الملوك تستغني عن كسوة الصيف في الشتاء، وعن كسوة الشتاء في الصيف.

وجدير بالذكر هنا أن المجتمع في العصر العباسي أخذ معظم العادات والتقاليد المتّبعة في ذلك العيد، واحتفل بها ويكفينا دليلاً على ذلك قول **ابن الرومي** مخاطباً ـ علي بن يحيى ـ:

لم يلهِ في المهرجان أولى
بـاللهو فيه من ابن يحيى
لأنـه شابهه ـ بجود
أصحابه الناس كل محيا[١٠]

مما سبق يتضح لنا أن المجتمع الإسلامي في العصر العباسي أخذ الكثير من عادات الفرس وتقاليدهم التي كان من أبرزها عيد النوروز والمهرجان، ويتضح أيضاً أن الخلفاء العباسيين أنفسهم اهتموا بإحياء هذه العادات والتقاليد كما يظهر ذلك في شعر شعراء هذا العصر.



### الهوامش

(١) انظر أوليري في كتابه *Arabia Before Muhammad*.

(٢) مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ـ بحث للدكتور طه ندا عن الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي.

(٣) عبد الله بن المقفع ـ الأدب الكبير والأدب الصغير.

(٤) آدم متز ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.

(٥، ٦، ١٠): دواوين البحتري، وأبو نؤاس، وابن الرومي، والبحتري على الترتيب.

(٧، ٨) النويري: نهاية الأرب.

(٩) آرثر كريستنش: إيران في عهد الساسانيين.

# سَيْكو تتولى التوقيت الرسميّ في اسبانيا ٨٢

SEIKO
OFFICIAL
TIMER

© R.F.E.F. 1979

SEIKO SEIKO

سَيْكو
SEIKO



# كاميرا فوريّة من كوداك

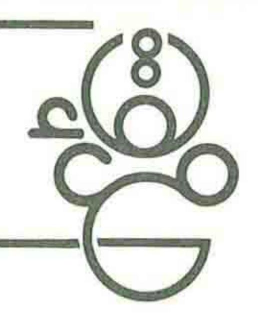
## الوحيدة المجهّزة بعدسة لتصوير اللقطات القريبة جدًّا وفلاش الكتروني

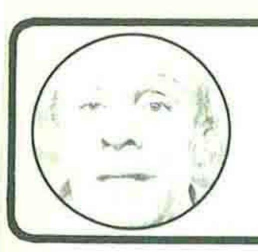
تمتّع اليوم بالتصوير الفوري
مع **كوداك** ...
**كوداك** وحدها تقدّم لك كاميرا
فوريّة مجهّزة بفلاش الكتروني
مبيّت وعدسة لتصوير اللقطات
القريبة جدًا. الآن إقترب من الموضوع،
إلتقط الصورة، واحصل عليها فورًا
واضحة بألوان طبيعيّة من **كوداك**.

**كاميرا كوداك الجديدة للتصوير الفوري**




**كوداك** ترضيك ... في كلّ ما تعطيك.

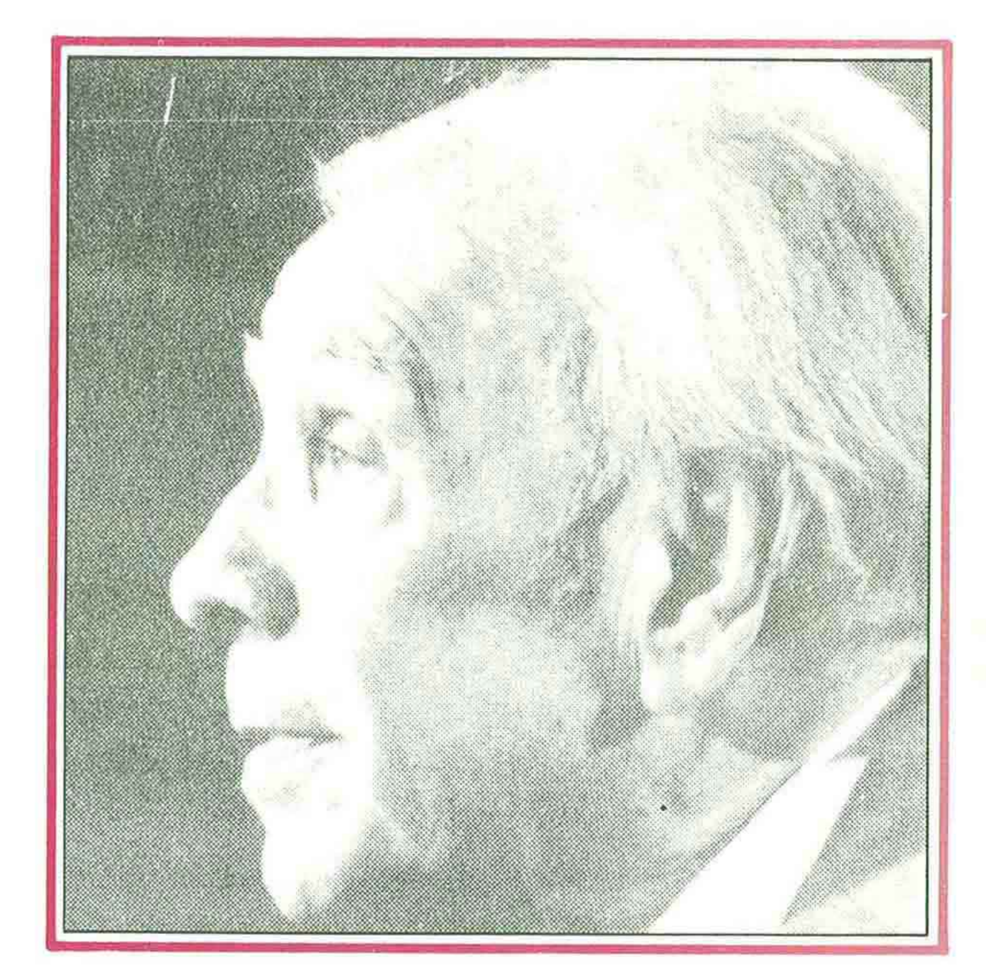


جورج لويز بورج

ترجمة وإعداد:
خديجة سليمان

# الرجل «الموسوعي»

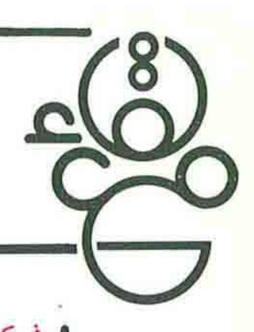


صدر له كتاب ضخم يضم كل المقدمات التي تصدرت ترجماته لأعمال أصحابها المختلفة: شيكسبير، كارليل، سرفنتيس، كافكا، ميلڤيل، سويدنبرج، ڤاليري، أرسطو، شوبنهور.. ولذلك يطلقون عليه «أبو الهول الناطق» و«الرجل الموسوعي» و«الكاتب عن ولكل العصور..» فاز مؤخراً بجائزة «سينوديل دوكا» العالمية.

قبل أن يجيب على أسئلة هذا اللقاء طلب وصفاً تفصيلياً لحجرة المكتب الذي تم فيها اللقاء، وسأل عن لون المقاعد المحيطة به، ولون مفرش المائدة، ثم استعد للحديث.

* * *

●● كثرت معك الأحاديث الصحفية في الأرجنتين، لدرجة أن صحيفة



**فكاهية في بيونس آيريس نشرت مرة تقول : « لا أحاديث في هذا العدد مع بورج » ألم تمل هذه الأحاديث بعد أو أبداً ؟**

● **بورج** : إطلاقاً .. فأنا أميل إلى الأحاديث ، لأنها تناسبني ، ولأنها فن يكاد ينقرض خاصة في الولايات المتحدة .. وأنا عندما أجيب على الأسئلة أنسى تماماً أنها أحاديث ، **وأتكلم كأني أكتب** .

## فلوبير .. والأدب

**●● لنبدأ بالروائي الفرنسي الشهير « جوستاف فلوبير » بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على وفاته ، فقد قلت إن « قدره مثالياً » فماذا تعني بتلك العبارة ؟**

● **بورج** : حقاً ، فقد أعطى حياته كاملة للأدب ، فأعطاه الأدب المجد كله .. وتلك الحقيقة وحدها أهم بكثير من أدبه .. فعندما يتحول الأدب إلى مبدأ وعقيدة يصبح الداعي إليه والناسك في محرابه ، إنساناً نموذجياً وكاتباً مثالياً .. صحيح لم يكن « **فلوبير** » هو الوحيد الذي سلك ذلك المسلك لكنه كان الأول الذي حكم ضميره في هوايته هذه .. ولقد شهد الأدب اليوناني والأدب اللاتيني نماذج من هذا النوع ، أما النموذج الذي يقارن **بفلوبير** ، ولا أقول يقارن به **فلوبير** ، فهو الشاعر « **بندار** » .. ذلك أن **فلوبير** استطاع ببحثه الدائم عن الكلمة الصحيحة أن يبتكر عملاً فنياً نثرياً بعد أن كان العمل الفني قاصراً على الشعر وعلى الشعر الملحمي بصفة خاصة ، وبالتحديد « **الإلياذة** » و « **الأوديسا** » **لهوميروس** .

**كان فلوبير يحلم بالأدب وهو يفكر فيه ويفكر وهو يحلم ، وهكذا حاولت أنا أيضاً لكني لم أستطع أن أكرر هذا النموذج الأمثل .**

**●● ومع هذا انقسم المعجبون بفلوبير إلى أحزاب بعضهم يفضل « مدام بوفاري » والبعض الآخر يشيد « بالتربية العاطفية » والبعض الآخر يتمسك « بالمراسلات » .. وأنت ؟**

● **بورج** : بدون تردد اختار روايته الناقصة « **بوفار وبيكوشيه** » لسببين أولهما أنها من بواكير المحاولات لكتابة الرواية العلمية بشكل أدبي ، وثانيهما لأن الفقرة الأولى تبين كيف تولد الصداقة الحقيقية . فموضوع « **الصداقة** » لم يتناول في الأدب بمثل هذه الرقة والسخرية معاً .. **إن الصداقة هي إحدى فضائل الأرجنتينيين الهامة** .

# ●● لم يبعدني فقدان البصر عن الكتب ، لأني لم أفقد البصيرة !

**●● لعل كل هذا التحمس يرجع إلى أنك من هذه المدرسة نفسها ؟!**

● **بورج** : الأدب ليس معاناة ولكنه سعادة .. وذكرى القراءة أبقى من القراءة ذاتها ، كما أن ذكرى الكتاب أشد أثراً وتأثيراً من الكتاب ذاته .. **فالقراءة مغامرة وتجربة وخبرة في الحياة** ، حتى أن البعض أصيب بالجنون من كثرة القراءة كما بين ذلك « **سرفنتيس** » من خلال وصفه لشخصية « **دون كيخوته** » .. أما بالنسبة للكتابة ، فكثيراً ما ننسى ما كتبناه ، وكثيراً ما نغير آراءنا ، نتيجة للقراءة أيضاً ، فقراءة كتاب لأحد العمالقة أجدى من رحلة طويلة أو حالة حب عميقة .. وأنا اختلف عن هؤلاء الذين يقسمون حياتهم إلى قسمين : قسم خاص بالواقع والسفر ، وآخر خاص بالخيال والأدب .. فالحياة وحدة واحدة لا تتجزأ حتى ولو كانت هذه الوحدة خيالا في خيال ! .

## اللغات في مجلد واحد

**●● في قصتك « مكتبة بابل » تمنيت لو ضمت كل اللغات**



**في مجلد واحد تحتويه هذه المكتبة ، أليس هذا من قبيل الخيال غير العلمي ؟**

● **بورج** : هو خيال من قبيل « **كافكا** » .. وقد أخطأت عندما قلدت « **كافكا** » .. فبعدَ هذه المجموعة القصصية « **مكتبة بابل** » كتبت مجموعة أخرى بعنوان « **الألف** » ثم مجموعة ثالثة بعنوان « **كتاب الرمل** » والمجموعات الثلاث – كما ترى – تدور في فلك الشرق موقعاً ولغة وطبيعة ، فالأولى « **مدينة بابل** » والثانية « **لغة القرآن** » والأخيرة « **أرض العرب** » .. ومعنى هذا أني ابتعدت عن الرؤى الأوروبية المتمثلة في « **فلوبير** » من ناحية و « **كافكا** » من ناحية أخرى .

ولا عجب ، فقد كتبت أربعين كتاباً وأملي ، كل أملي ، في النهاية أن تبقى منها بعض الصفحات نثراً أو شعراً .. ولا [illegible] في أن أكتب كتاباً مثل الرمال بلا بداية ولا نهاية .. وقد أقدمت على هذه المحاولة في قصة « **المرأة والقناع** » ففيها حاولت أن أصل إلى الحقيقة في « **كلمة واحدة** » .

**●● وهل وصلت؟**

● **بورج** : كلا .. ولكني قلت ذات مرة : « **كلما قرأت نقداً موجهاً لي ، سواء كان جارحاً أو مهذباً ، اقتنعت أكثر وأكثر أنني صادق في محاولاتي ، وأن النقد على حق .. على حق لدرجة أنني لو اطلعت عليه قبل النشر لوافقت على نشره كما هو دون حذف أي حرف .. فهل يملك النقد أن يحذف من كلماتي ، حتى يحق لي أن أحذف من كلماته ؟!** » .

**●● واختلفت زمناً مع « روجيه كييوا » رغم هذا !**

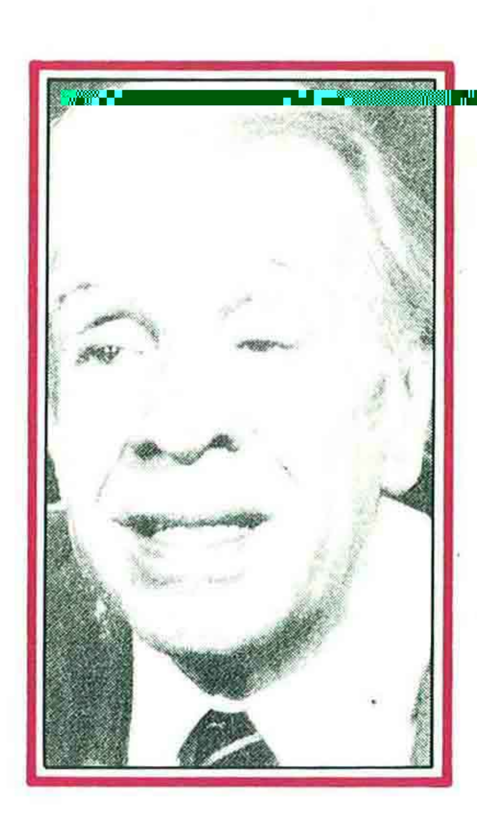
● **بورج** : لم يكن اختلافاً بسبب النقد ولكنه كان خلافاً فكرياً ، ومع هذا علمت أنه هو الذي رشحني عام ١٩٦١ م ، لجائزة « **فورمنتور** » الدولية .. ومع هذا أيضاً قرأت نقداً يتسم بالإطراء لقصة « **مكتبة بابل** » التي أعتز بها وأعتقد أنها الوحيدة من بين أعمالي التي تستحق الاستمرار والبقاء .. وعلينا أن نعترف في النهاية بأن الكلمات والأشعار والآداب عناصر ضرورية لاستمرار الحياة ! لقد أحببت الكلمات والكتب ، ومكتبة أبي ، وآداب كل اللغات التي قرأت بها ، وتلك هي سعادتي الدائمة في الحياة .. مثلاً « **آلونو كيكانو** » قرأ كثيراً قبل أن يتخذ لنفسه اسم « **دون كيشوت دولامانشا** » وقبل أن يقوم بمغامراته الشهيرة .. وأنا أعترف بأني « **كيكانو** » الذي لم يتمتع بشجاعة تجعل منه « **دون كيشوت** » .

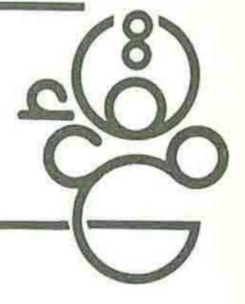
**●● ولكنك تعتقد أكثر من « دون كيشوت » بقوة الكلمات وبقدرتها ، حتى أنك استخدمت كلمة « الفاعل » بدلا من « المؤلف » على غلاف أحد كتبك ..**

● **بورج** : هذا صحيح ، فكلمة « El hacedor » معناها « **الذي يفعل** » أو ( **الفاعل** ) Maker **بالإنجليزية** Faiseur **بالفرنسية** .

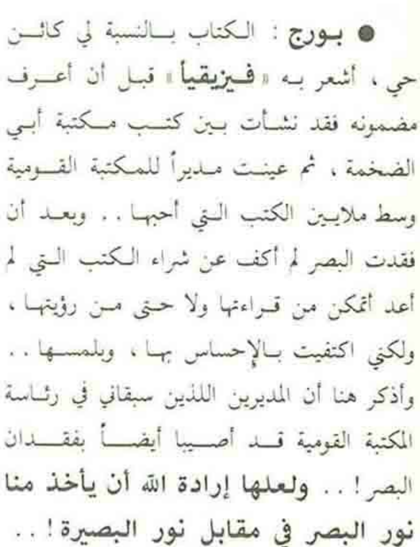
عالم الكتب

**●● في هذا الكتاب نفسه قلت « لم يبعدني فقدان البصر عن الكتب لأني لم أفقد البصيرة » ..**









● **بورج** : الكتاب بالنسبة لي كائن حي ، أشعر به « **فيزيقياً** » قبل أن أعرف مضمونه فقد نشأت بين كتب مكتبة أبي الضخمة ، ثم عينت مديراً للمكتبة القومية وسط ملايين الكتب التي أحبها . . وبعد أن فقدت البصر لم أكف عن شراء الكتب التي لم أعد أتمكن من قراءتها ولا حتى من رؤيتها ، ولكني اكتفيت بالإحساس بها ، وبلمسها . . وأذكر هنا أن المديرين اللذين سبقاني في رئاسة المكتبة القومية قد أصيبا أيضاً بفقدان البصر ! . . **ولعلها إرادة الله أن يأخذ منا نور البصر في مقابل نور البصيرة ! . .**

## العمل الموسوعي

**●● أليس العمل الموسوعي نوعاً مظلوماً من الأدب ؟**

● **كل أعمالي تميل إلى الموسوعية حتى قيل إني « رجل موسوعي »** ، ومع هذا فهو عمل صعب وقد أصبح نادراً ، ولا عجب في أن يكون مظلوماً لأنه غير متداول كثيراً . . لقد حصلت مؤخراً على « **الموسوعة الألمانية** » ، وأعتقد أنها ستنافس في القريب « **الموسوعة البريطانية** » الشهيرة ، لأنها تفوقها كماً وتتفوق عليها كيفاً .

لقد توقفت كثيراً عند أصل عدد من الكلمات ، مثل كلمة صدفة أو Hasard أصلها عربياً Az-zahr وهذا طبيعي طالما أن الزهر مرتبط بالحظ أو الصدفة .

ولنا أن نذكر عباقرة الأدب الذين عكفوا على الموسوعات الأدبية والعلمية ونالوا الشهرة التي يستحقونها من أمثال « **بلين** » و « **ديدرو** » و « **دالومبير** » .

## الجوائز

**●● حصلت أيضاً على جائزة « سينوديل دوكا » الدولية وجائزة « سرفنتيس » الإسبانية . . فما رأيك في الجوائز وفي التقديرات الشرفية ؟**

● **بورج** : إنها معجزات صغيرة وغير منتظرة . . ورغم أني لا أدري إن كنت أستحقها أم لا ، إلا أنها تسعدني وتصلح مزاجي مثل القهوة تماماً .

**●● وإذا حصلت على جائزة « نوبل » هل تقول أيضاً إنك لا تستحقها ؟**

[redacted] كبار الكتّاب الذين حصلوا عليها من أمثال « **برنارد شو** » و « **أندريه جيد** » وجدت أني لا أستحقها ، أما إذا تذكرت واحدة مثل الشيلية « **جابرييلا ميسترال** » فإنها تصبح بالنسبة لي جائزة صغيرة . . ولن أرفضها بالطبع ، فقيمتها المادية سوف تحل كثيراً إن لم يكن كل مشكلاتي وسأتمكن من القيام برحلات حول العالم طالما أتمنى القيام بها وخاصة الهند والصين ، فقد زرت اليابان أخيراً . . وفي الشرق كم أود الاتجاه إلى « **الأندلس** » قبلتنا نحن الأرجنتينيين وإلى « **مصر** » أم الحضارات جميعاً .

**●● و « فرنسا » ؟**

● **بورج** : تمثل بالنسبة لي أحاسيس مختلفة ، فباريس هي دائماً ليلة ٣١ ديسمبر ( كانون الأول ) ، فهي مدينة صنعت من أجل سعادة الإنسان . . أما مدينة روان فتذكرني بمسرحيات **كورني** وروايات **فلوبير** . . وبوردو تحيلني إلى **مونتاني** . . بالمناسبة كتبت قصيدة تحية لفرنسا :

لن أقول الصداقة
سأقول **مونتاني**
لن أقول النار
سأقول **جان دارك**
لن أقول المساء
سأقول **فرلين** .

( فأنا أدين بالكثير لفرنسا ولأدباء فرنسا ولجمهور فرنسا ، فبفضل فرنسا عرفت في الأرجنتين ، فلم يقرأني أحد في بيونس أيريس إلا بعد أن عرفوا أني قرئت في باريس . . وكثيراً ما اقتنعت بأن ترجمة أعمالي إلى الفرنسية جاءت أفضل من أصولها الأرجنتينية التي كتبت بها .

**●● ألست تبالغ إذن ؟!**

● **بورج** : **بل أقول الحق ولا شيء غير الحق !**

# رحلة المقامة العربية


★ أبو حيان التوحيدي ★


★ ناصيف اليازجي ★

بقلم: د. سيد حامد النساج

**« فإن أردت خوض بحار البلاغة ، وطلبت أدوات الفصاحة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه ، ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به منطقك ، ويعذب به لسانك ، ويطول به قلمك ، وانظر في كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب » .**

**« الرسالة العذراء »**
**إبراهيم بن المدبر**

« **المقامة** » شكل أدبي نثري عربي . ازدهر في عصر من عصورنا القديمة . وكان إبان انتشاره يحتل مكانة طيبة ، لا تقل عن تلك التي احتلها « **الشعر** » في البيئة العربية .

والأكثر من هذا ، أن « **المقامة** » امتد تأثيرها في العصور التالية ، وتعددت أشكال التأثير ، من مرحلة إلى أخرى ، ومن بيئة إلى بيئة ، ومن أديب إلى أديب ! .

ولعل مثل هذا الامتداد والإشعاع ، هو الذي دفع بعض الباحثين والدارسين – **في العصر الحديث** – إلى إطلاق صفات جديدة عليها ، وإلى المغالاة في رد بعض الأشكال الأدبية الحديثة إليها . بل إن منهم من جعلها مسؤولة مسؤولية مباشرة عن وجود فنّيْ الرواية والقصة القصيرة في أدبنا العربي الحديث والمعاصر .

ومع ذلك ، فإن الشعر العربي ، قد حظي بعدد هائل من الدراسات والبحوث والمؤلفات ، بينما لم تحظ « **المقامة** » إلا بما لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من الكتب ، فضلاً عن أن الجمهرة القارئة في مجتمعنا العربي ، لا تعرف عن هذا الشكل الأدبي شيئاً : ماهيته – روّاده – خصائصه الأدبية والفنية – الموقف النقدي الحديث مما قد يثار حوله من قضايا ومناقشات . وهذا – بالتحديد – هو ما يطمح إليه هذا البحث . إنه يرجو أن يتتبع خطوات هذا الشكل الأدبي ، وأن يقطع معه جانباً من رحلته الطويلة ، في الزمان ، وفي المكان ، وفي الأعلام ! .


★ علي مبارك ★


★ الجاحظ ★


## ماهية المقامة

الأصل اللغوي لكلمة « **مقامة** » هو « **دار الندوة** » أو « **الندى** » ، وهو المكان الذي يجتمع فيه أبناء القبيلة للتشاور والسمر ، ثم أصبحت الكلمة تدل على










★ أحمد فارس الشدياق ★ ★ رفاعة الطهطاوي ★

الاجتماع نفسه ، أي مجلس القبيلة وناديها . وقد ظل هذا المفهوم سائداً منذ العصر الجاهلي حتى العصر الإسلامي .

يؤكد هذا ما يورده « **القلقشندي** » في كتابه ( **صبح الأعشى** ) ، حيث نراه في المقالة العاشرة يخصص الباب الأول للجديات . وفي الفصل الأول منه يتحدث عن « **المقامات** » قائلاً :

« وهي جمع مقامة بفتح الميم ، وهي في أصل اللغة اسم للمجلس والجماعة من الناس ، وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة ، كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها » .

= هناك ــ إذن ــ « **حديث** » مرسل ، يقوم به شخص واحد ، ويستمع إليه الراشدون ، ويجري كل هذا في دار الندوة ، ويتناول « **الحديث** » إخباراً بحدث ، أو حكاية عن شخصية ، أو نادرة من النوادر . لغته عربية فصحى ، سليمة من حيث البناء والتركيب ، لدرجة تذهل السامعين وتدهشهم .

ومع تطور الحياة العربية بعد الإسلام ، غلب الز[illegible] من المسلمين ، ورأى بعض الزهاد نزوع الحكام إلى الشطط في الحكم وتحيف الرعية ؛ فاتصلوا بهؤلاء الحكام من خلفاء ووزراء وعمال ، وقاموا يعظونهم ، ويبصرونهم بغرور الدنيا ، وبالجزاء الذي ينتظر الحاكم والمحكوم جميعاً بعد الموت . وقد توسلوا في وعظهم بلغة تتشابه ولغة « **الحديث** » القديم ، وأضافوا إلى ذلك اقتباساً عظيماً من آي **القرآن الكريم** ، ومن **الحديث النبوي الشريف** ، ومن الشعر العربي ، ومن جوامع الكلم التي حفظها الرواة من أيام العرب ، ومما صدر عن حكمائهم .

ونجد نماذج من هذه المقامات في ( **عيون الأخبار** ) **لابن قتيبة الدينوري** ؛ حيث يورد مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ، ويجعل هذه المقامات تتوسط كتاب الزهد ، مشيراً بذلك إلى المواقف التي كان يقفها بعض الناس بين يدي الخلفاء واعظين . من ذلك مثلاً : مقام **صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي** ، ومقام **رجل من الزهاد بين يدي المنصور** ، ومقام **أعرابي بين يدي هشام** .

ولئن كانت هذه المقامات الوعظية ترد في ثنايا أبواب الكتاب ؛ فإنها استقلت فيما بعد بكتاب كامل ، كما فعل « **أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري** » صاحب « **الكشاف** » حين ألَّف مقاماته ، ومعظمها في الزهد والتقوى . ورغم أن الحديث في المقامة الوعظية كان مباشراً ؛ فإن الوعاظ اصطنعوا أسلوباً يزخر بالمحسنات اللفظية ، ويشتمل على نسبة كبيرة من الغريب ، في جمل مرصوفة مسجوعة .

وما لبثت « **المقامة** » أن انتقلت من حيث هي « **موقف وعظي خطابي** » ، يقفه شخص واعظ بين يدي الخليفة ، إلى حيث هي « **محاضرة** » تلقى لتؤدي وظيفة تعليمية بحتة ، وقد استهدفت تعليم اللغة والنحو والصرف والأدب والشعر وما إلى ذلك ، فلم يعد « **الوعظ** » هو غايتها ، وإن حافظت على الحديث الخطابي المباشر ، وإن حرصت على الاستشهاد من القرآن الكريم ، ومن الحديث النبوي الشريف ، ومن أيام العرب ، ومن الأقوال المأثورة . فالمقامة في هذه الحالة ، تضم مجاميع من أساليب اللغة العربية المنمقة ، تفيد طلاب اللغة ودارسيها ، كي يقتدروا على صناعتها ، ويتفوقوا في كتاباتهم الأدبية .

عندئذ يصبح لزاماً علينا أن نتحدث عن « **الشكل** » الأخير للمقامة ، **وعما وصلت إليه ؟ . . ومتى ؟ . . وعلى يد من ؟ . . وعن الظروف التي أحاطت بها في مرحلتها الأخيرة التي نزعم أنها امتدت حتى العصر الحديث** .

أهم ما يميِّز « **المقامة** » في طورها الجديد ، هو أنها تدور حول مغامرات ، يقوم بها بطل واحد ؛ تنتهي في معظمها إلى جواز حيلته على الناس ، وبلوغه ما يطمح فيه من تكسب . وإلى جانب « **البطل** » الواحد في كل هذه المغامرات يقف « **راوية** » ينقل لنا أخبار هذه المغامرات . والراوي والبطل يتكرران في كل مقامة ، وهما الرابط الوحيد بين المقامات كلها .

ويتسم بطل المقامات بسمتين ثابتتين :

**الأولى** : أنه صعلوك جوّال ، متسول ، ماكر ، مستهتر . . يحتال للحصول على المال ممن يخدعهم ، وهو رجل يحكم الاحتيال والخداع والتمويه .

**الثانية** : أنه أديب بليغ حاضر البديهة ، يرتجل الكلام المطابق لمقتضى الحال ، منثوراً أو منظوماً . . يهتم بالنكتة المستملحة ، ويستشهد بالآيات القرآنية ، وبالأحاديث النبوية ، وبالحكم ، وبالأمثال ، وبالأشعار . إنه نموذج للأديب البائس الذي يسعى لتحصيل الطفيف من الرزق بالأدب والشعر .

ولم يكن ممكناً لهذا الشكل الأدبي أن يظهر في مناخ لا يسمح له بذلك . كان ذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، في ظل سيطرة **البويهيين** على بغداد ، ثم استقلال بقية الحواضر عن السلطة المركزية فيها ، فأصبحت « **شيراز** » حاضرة للدولة البويهية في فارس ، وحلب حاضرة **للدولة الحمدانية** في الموصل وشمال سورية ، والفسطاط حاضرة **للدولة الإخشيدية** في مصر ، ثم القاهرة حاضرة **للدولة الفاطمية** . . وهكذا .

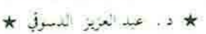
وعلى امتداد الرقعة الواسعة التي خضعت لسلطان **بني بويه** ، وجدت عناصر من أجناس مختلفة : فارسية وتركية وعربية ، ثارت بينها المنازعات والفتن والحروب ، كما تقاسمتها المذاهب الإسلامية . فقد كان الأتراك سُنِّيين غالباً ، والفرس شيعيون . أمّا العرب فإنهم كانوا بين سني وشيعي .

وكشفت الحياة الاجتماعية عن تناقض كبير . . ففي بلاط الخلفاء وقصور الأمراء والخاصة ورجال الدولة ، تجسدت وفرة المال . وفي حياة العامة من علماء وتجار وصناع وفلاحين وغيرهم ، تمثل الفقر والبؤس ، ومما زاد التناقض حدة أن نفقات البلاط وصور البذخ قد بلغت حداً غير محتمل . يضاف إلى هذا تدخل الحكام في كل شيء ، وانتشار الرشوة ، وعدم استقلال القضاء ، وانقسام الجيش إلى أتراك ومغاربة ، ومحاولات مستمرة لفرض ضرائب مرهقة .

ولم يكن الأدباء أسعد حظاً في ظل هذه الأوضاع ، اللَّهم إلا إذا اتصل الواحد منهم بأمير من الأمراء ، ورغم ذلك ظلت الكثرة الغالبة منهم تتخذ الأدب وسيلتها في كسب العيش ، وقد أهلتها لذلك ثقافة أدبية ولغوية وتاريخية وجغرافية لا بأس بها . ومن هنا انتشرت هذه الجماعة ، التي أطلق عليها أصحاب « **الكُدية** » ، وكانوا يعرفون ــ حينئذ ــ **بالساسانيين** نسبة إلى **ساسان** ، وهو شخص من بيت ملكي قديم في فارس يقال إن أباه قد حرمه الملك ، ويقال إنه كان ملكاً واغتصب منه الملك ؛ فهام على وجهه محترفاً « **الكُدية** » .

**سمح المناخ العام ــ إذن ــ بأن يدور موضوع أكثر المقامات العربية التي ألفت ــ آنذاك ــ حول الكدية والاستجداء ؛ حيث يظهر البطل في شكل أديب شحاذ ، يخلب الجماهير ببيانه العذب ، ويحتال بهذا البيان على استخراج الدراهم من جيوبهم ، وهو يتراءى بهذه الصورة في بلدان مختلفة** .





★ بيرم التونسي ★ ★ د. عبد العزيز الدسوقي ★

أما التربة الأدبية؛ فإنها كانت مهيأة لتغذية هذا النبات الجديد؛ من حيث هو شكل أدبي، مناسب لما كان سائداً من ألوان وأساليب أدبية. فقد كانت هنالك كتب السيرة، مثل سيرة **عنترة**، وسيرة **ابن طولون**، وسيرة **هارون بن أبي الجيش**، وأخبار **غلمان بني طولون**، للكاتب المصري **أحمد بن يوسف** (المتوفى عام ٣٤٠ هـ)، وهو صاحب كتاب (**المكافأة**) الذي يشتمل على أخبار اللصوص في مصر، وكيف أنهم كريمو الطباع. وقد روى عنهم ما يزيد عن سبعين حكاية.

كما كانت هنالك «**ألف ليلة وليلة**»، وحكايات **عبد الله بن المقفع** التي أذاعها بين الناس، وهي على ألسنة الحيوانات. واشتهرت في هذا القرن الرابع «**المناظرات**» التي كانت تجرى بين المتنافسين، وهي تنطوي على مساجلات ومجادلات تقع أمام مشاهدين. وقد دوّن «**أبو حيان التوحيدي**» أخبار هذه المناظرات، ومنها تلك التي أجراها بين **أبي سعيد السيرافي النحوي** (المتوفى عام ٣٦٨ هـ)، وبين «**متى بن يونس**»، حول النحو العربي والمنطق اليوناني.

وليس من شك في أن «**المقامة**» استفادت من شكل المناظرة، ومن بعض موضوعاتها. **ألم يكن الجدل الذي يدور بين الراوي وبين البطل مناظرة ما؟! ثم كيف نسمي تلك المناقشات التي كانت تجرى بين البطل وبين من يصادفهم حول مسائل فقهية ولغوية ودينية؟.. ألم تحتفل «المقامة» بإثارة مساجلات ومجادلات بين البطل وبينهم في رحلاتهم؟!.**

ثم لا ننسى تلك النوادر التي نثرها «**الجاحظ**» في كتبه المتعددة، وبخاصة كتابه (**البخلاء**). ويروي «**البيهقي**» في (**المحاسن والمساوئ**) أن للجاحظ كتاباً اسمه (**حيل المكدين**)، مما يؤكد أنه قد مهّد - بشكل أو بآخر - لظهور «**المقامة**». فحديث «**خالد بن يزيد**» إلى ابنه عند **الجاحظ**، نجد صداه في وصية **أبي الفتح الإسكندري** لابنه عند **بديع الزمان الهمذاني** فيما بعد، ووصف الإسكندري لمغامراته في المقامة «**السجستانية**» قريب من وصف «**خالويه**». لما كابده.

في هذا المناخ الأدبي والاجتماعي والاقتصادي، استطاعت «**المقامة**» أن تتنفس، وأن تصبح لها شخصيتها الفنية المتفردة، بل وأن تغدو - **في فترة قصيرة** - كما لو كانت فن العصر. فقد بلغت بالنثر الفني قمة الإحكام، بمثل ما عبّرت عن ذوق العصر الذي شهد مولدها. ذلك أن كتّاب ذلك الحين، كانوا قد اتجهوا إلى التكثيف في فنون البديع المختلفة؛ بل إلى الإمعان فيها والجري وراءها، والاحتفال بالجناس والطباق والموازنة والتورية. كما حمّل الكتّاب النثر ما كان خاصاً بالشعر.

## بدايات الفن، ومسيرته، وامتداداته

يجمع كثير من الدارسين والباحثين على أن «**أبو الفضل أحمد بن الحسين ابن يحيى**» الملقب بلقب **بديع الزمان الهمذاني**، هو الذي أصّل هذا اللون الأدبي، وهو أول من أعطى كلمة «**مقامة**» معناها الاصطلاحي بين أدباء عصره.

ولد في **همذان**، وهي مدينة جبلية في **إيران** سنة ٣٥٨هـ. وفي رسائله المطبوعة دلالات مختلفة على أنه من أسرة عربية استوطنت هناك. إنه عربي، مضري، تغلبي، وليس فارسياً كما قد يظن. رغب في أن يتميز أدبياً، وأن يتفوق على أقرانه من كتّاب الدواوين، وأن يكون له ما يقترن باسمه، وما يشتهر به، فأنشأ المقامات. ويقال إن ذلك تم في أثناء نزوله بنيسابور، وأنه كان يختم بها دروسه على الطلاب.

إن الذي يطلع على مقامات **بديع الزمان الهمذاني**، سيجد أن صاحبها مثقف ثقافة مستوعبة شاملة، وأنه يملك ناصية اللغة، ويعرف أسرارها، ومشاكلها، وأصولها. وفهمه لحركة التاريخ العربي، ولجغرافية العالم العربي، ولطباع العرب: حكّاماً ومحكومين؛ أمر مسلم به. وإلمامه بالتراث الشعري، وبالقرآن، وبالأحاديث، وبأيام العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، يبدو جلياً لا يحتاج إلى إيضاح. وفي اختياره هذا الشكل المتميز لمقاماته، الذي يجري فيه الحوار بين بطل، وراو، ثم وجود حادثة في بعض الأحيان، دلالة على التجديد، وعلى أنه يمكن أن يستخدم وسائل قصصية - **لا شك في توفرها لديه** - لو أنه أراد ذلك، لكنه لم يشأ شيئاً من هذا، **وإلا ما الذي كان يدفعه إلى إن يجعل الراوي محدداً، والبطل محدداً؟!**.

فالراوي لديه واحد لا يتغير هو «**عيسى بن هشام**»، والبطل واحد لا يتبدل هو «**أبو الفتح الإسكندري**» الذي يظهر دائماً في شكل أديب شحاذ، والحيل التي يقوم بها أُلفت على صورة واحدة.

ويغلب السجع على أسلوب المقامة. فالأصل عند **بديع الزمان الهمذاني** هو أن يسجع، ولا يترك السجع إلا نادراً. ومن ثم جمد أسلوبه عند الأوصاف التي استهلكها الشعراء والناثرون منذ قرون. واللغة في المقامة بسجعها وزخرفها اللفظي تكسب الأوصاف المادية طابع المبالغة، كما تبرز نمطية كل من الراوي والبطل. إذ الشخصية لا تهم. وكذلك لا اعتبار للحدث، ولا لبنائه، أو تطوره أو دلالاته. وإنما الأهم هو أن تدور المقامة حول عقدة لغوية أو مسألة أدبية أو حيلة بيانية. وهذا هو السر في توفر المماحكات اللفظية، والألغاز اللغوية، والأسلوب المتكلف الزاخر بالزركشة والحلى التي لا تعود على المعنى بطائل يذكر.

ومن يرجع إلى مقامات **بديع الزمان الهمذاني**؛ يلاحظ أنه يحشو أساليبه بالألفاظ الغريبة، كقوله في المقامة «**القردية**» على لسان «**عيسى بن هشام**»: «بينا أنا بمدينة السلام، قافلاً من البلد الحرام، أميسُ مَيْس الرُّجلة، على شاطئ الدِّجلة». فقد استخدم كلمة أميس بمعنى أتبختر، وكلمة الرُّجلة على أنها جمع رجل؛ وهو جمع شاذ لم تكن هناك ضرورة لاستخدامه لولا أنه يقصد إلى ذلك قصداً. ومثل قوله في المقامة «**الموصلية**»: «... فأخذه الجَفُّ، وملكته الأكُفُّ» وهو يعني بالجف «**الجمهور**». ولعل المقامة «**الحمدانية**» أكثر المقامات ألفاظاً حوشية ومهملة، عني فيها بوصف الفرس، وعرض فيها كل محصوله اللغوي في هذا الوصف.

بعد الهمذاني بنحو قرن، جاء «**أبو محمد القاسم بن علي الحريري**» المولود سنة ٤٤٦ للهجرة، بضاحية من ضواحي البصرة تسمى **المشان**. احتفظ في مقاماته الخمسين بنفس القواعد التي أرسى دعائمها **بديع الزمان الهمذاني**. فالبطل عنده هو «**أبو زيد السروجي**»، والراوية هو «**الحارث بن همام**». ومحور مقاماته هو الكدية والشحاذة. وهو لا يختلف عن بديع الزمان الهمذاني في جعل الأسلوب غاية، وفي العناية باللفظ لا بالمعنى. بل إنه يفوق **بديع الزمان الهمذاني** في الألغاز والألاعيب والعقد البلاغية.

وقد بقيت مقامات **بديع الزمان الهمذاني وأبو القاسم الحريري** متداولة تداولاً واسعاً، وطبعت طبعات كثيرة، وقلّدها كثيرون. واستمر ذلك طويلاً، على








★ د. شكري عياد ★ ★ د. يوسف إدريس ★

مر العصور، وحتى العصر الحديث. مما قد يدل على أن المكانة المحترمة التي كان الشعر العربي التقليدي يحتلها، لم تبق خالصة له؛ وإنما شاركته فيها «المقامة» فترات طوالا، بشكل أو بآخر، وذلك على نحو تقليدي يحفظ للمقامة أصولها وقواعدها التي أرساها أولا **بديع الزمان الهمذاني**؛ وثانياً **أبو القاسم الحريري**.

وعلى نسق الحريري أيضاً، صنّف «**الحسن بن صافي المصري**» الملقب بملك النحاة، مقاماته. وكذلك الحال بالنسبة إلى **ابن الجوزي** الذي ألف خمسين مقامة في موضوعات أدبية مختلفة، ومقاماته تكثر فيها الخطب والأصول النحوية والنكت الفقهية.

● وفي **المغرب**، نجد «**الشيخ ركن الدين محمد بن محرز الوهراني**» (المتوفى سنة ٥٧٥ هـ)، يكتب المقامات الوهرانية، إلى جانب مقامات تخفف فيها من الإغراب والتعقيد والجري وراء الألاعيب البيانية والعقد الأدبية. بل إن نثره في مقاماته لا يحتاج إلى عناء طويل كي يصبح قابلاً للفهم، وفيها يشير إلى أسماء كثير من معاصريه، ولعله أراد تصوير بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية في عصر من عصور التحول في المجتمع العربي؛ وهو عصر الانتقال من الدولة الفاطمية في مصر إلى الدولة الأيوبية.

● وممن اقتفوا أثر **الحريري** وحاكوه محاكاة تامة وكاملة، «**ناصيف اليازجي**» ١٨٠٠ ـ ١٨٧١ م، في الشام. ففي «**مجمع البحرين**» الصادر عام ١٨٥٦ م، صاغ مقاماته على غرار مقامات **الحريري**، راويه هو «**سهيل بن عباد**»، وبطله هو «**ميمون بن خزام**»، أديب شحاذ، لصقت به في كثير من المقامات ابنته «**ليلى**» وغلامه «**رجباً**». وعلى نحو ما فعل **الحريري** في مقاماته الأولى، نلاحظ أن **اليازجي** يفعل نفس الشيء، حين يعرف بين الراوي والبطل؛ ثم تكون المقامات بعد ذلك. وإذا ما وصلنا إلى المقامة التاسعة والخمسين وهي «**المقامة المكية**»، رأينا «**ميموناً**» وابنته وغلامه في زيارة المدينة نادماً واعظاً منذراً. وهو بذلك يعدنا للإشراف على الحلقة الأخيرة من مقاماته، كما فعل **الحريري**. ففي المقامة الستين، وهي «**المقامة القدسية**»، يلتقي «**سهيل ابن عباد**» بصاحبه في المسجد الأقصى، والناس قد تجمعوا عليه وهو يعظهم ويحذرهم عذاب النار، وينظر إلى راويته، فيذكر ما ارتكب من الأوزار، ويتوب إلى الله، ثم يختفي عن الأبصار.

أما «**أحمد فارس الشدياق**» ١٨٠٥ ـ ١٨٨٧ م، فإنه كان أكثر تطوراً من **اليازجي**. فقد عالج في مقاماته الأربع قضايا الزواج، والعزوبية في إطار بيوغرافي، يصف فيه مراحل حياة شخص اسمه «**الفارياق**» ـ وهو موجز لاسمه هو ـ منتقداً المجتمع الشرقي انتقاداً لاذعاً. ورغم احتفال مقاماته ببعض عناصر السرد، والوصف، والحوار؛ فإنه لم يجرؤ على أن يعصي فيها قواعد المقامات، حيث يتوسل بالسجع، ويعمد إلى الكلمات الغريبة والشاذة. ومقاماته تحمل عنوان (**الساق على الساق فيما هو الفارياق**)، وقد صدرت سنة ١٨٥٥ م.

● وفي مصر، كان للمقامة العربية وجود مباشر ومؤثر. وقد كان عدد المقلدين لها كبيراً. كما وجد من حاول تطويرها وإضفاء بعض الملامح القصصية عليها. وأخيراً وجد من اتخذها وسيلة طريفة وجذابة لعرض بعض المشكلات التي تعترض الناس في حياتهم اليومية، مع جعلها مطاوعة لوسائل النشر الحديثة، كالإذاعة مثلاً.

وعلى سبيل المثال؛ فإننا نلاحظ أن (**أسواق الذهب**) للشاعر **أحمد شوقي**، جاء نسخة مطابقة لمقامات **الحريري**. إذ قلّدها تقليداً يكاد يكون حرفياً؛ فلم يدخل أي شيء يمت إلى العصر الحديث بصلة. وكذلك الحال بالنسبة إلى (**علم الدين**) ١٨٨٣ م، **لعلي مبارك** الذي لا يخرج عن كونه مثالا ساذجاً لاستعمال فن المقامة، كوسيلة لتعليم أبناء شعبه وتثقيفهم.

أما «**إبراهيم المويلحي**» ١٨٤٤ ـ ١٩٠٦ م؛ فإنه بدأ منذ العدد (٦٠) الصادر في ٢٢ من يونيو (حزيران) ١٨٩٩ م، ينشر في صحيفة (**مصباح الشرق**) حديثاً أسماه (**حديث موسى بن عصام**) متأثراً بأسلوب المقامة العربية إلى حد كبير جداً. إذ يعنى في حديثه بالسجع، ويحتفل بالتشبيهات والاستعارات والكنايات، ويحشوه بالحكم والمواعظ والأمثال، وكل ما من شأنه أن يقربه من المقامة وأن يبعده عن الفنون الأدبية الحديثة. وقد أدار **إبراهيم المويلحي** حديثه حول شخصيتين اثنتين رئيسيتين كما فعل السابقون. الراوية وهو «**موسى بن عصام**» والثاني (**شيخ مله الدهر ومل من الدهر، فأصبحت الأرض وتراً لقوس ذلك الظهر، ينبعث نور الهداية من أسرته، وتلوح سيما التقوى على جبهته**).

وفي الجو نفسه ـ جو المقامة العربية القديمة ـ نشر «**محمد المويلحي**» الابن، (**حديث عيسى بن هشام**). وقد أتيح لحديثه أن يتم. في حين أن حديث والده لم يكتمل؛ إذ توقف عن متابعة نشره. ولا شك أن الصحافة أعانت «**محمد المويلحي**» على أن تكون كل مقامة من مقاماته مستقلة إلى حد ما، عما قبلها وعما بعدها. ولكنه مع ذلك استطاع أن يمثل خطة عامة لمقاماته قبل أن ينشئها. فكانت إلى جانب هذا الاستقلال في كل مقامة وحدة تربط حلقاتها، وتجعل سياقها متتابعاً. والذي يربط هذه الحلقات بعضها بالبعض الآخر، وجود البطل والراوي.

وقد أثار (**حديث عيسى بن هشام**) جدلا طويلاً بين النقاد والدارسين. فمنهم من اعتبره رواية بالمعنى الحديث للرواية كشكل أدبي فنن له الغربيون وأسهموا في إرساء دعائمه منذ القرن الثامن عشر، ومنهم من لم ير فيه إلا محاولة جديدة لمحاكاة فن المقامة القديمة بكل قسماتها وملامحها، ومنهم من لم يغمط المويلحي حقه في تطوير فن المقامة؛ بالإشارة إلى العناصر الجديدة في الكتاب.

**ولعل اختلاف وجهات نظر النقاد والدارسين، كان انعكاساً لذلك الصراع الملحوظ في الكتاب، بين فن المقامة وبين عناصر من فن القصة. وهو ما يبلور ـ من ناحية أخرى ـ ذلك الصراع الذي شهده المجتمع المصري في أوائل عصر النهضة، بين الحضارة الأوروبية الوافدة، وبين الحضارة العربية.**

ولا يأتي بعد «**محمد المويلحي**» من يجتهد مثله في محاولة لتطوير فن المقامة العربية، وإنما كل الذين كتبوا بعده عادوا إلى الوراء طويلاً، وآثروا اقتفاء أثر المقامة عند كل من **بديع الزمان الهمذاني، والحريري**.

مثال ذلك ما نراه عند شاعرنا **حافظ إبراهيم**، في كتابه (**ليالي سطيح**) ١٩٠٦ م. وفيه يواصل **حافظ إبراهيم** تقاليد المقامة العربية بكل حذافيرها. وقد سمى الراوي «**أحد أبناء النيل**»، وأطلق على الشخصية الثانية اسم «**سطيح**». ويصف **حافظ إبراهيم** راويه بأنه «**أديب بائس وشاعر يائس، دهمته الكوارث، ودهته الحوادث، فلم نجد له عزماً، ولم تصب منه حزماً**».

ويذكر الدكتور **عبد العزيز الدسوقي** في كتابه (**روضة المدارس**) أن







★ المنفلوطي ★ ★ عبد الله النديم ★

**عبد الله فكري** ــ وهو أحد أعلام القرن التاسع عشر الذين يرون النهضة الأدبية في اتباع الأساليب العربية القديمة ــ نشر مقامة في العدد السابع من السنة الأولى من مجلة (**روضة المدارس**) التي كان يصدرها **رفاعة رافع الطهطاوي**، وأنه استخدم فيها السجع بسهولة على نحو ما كان يفعل القدماء. وقد قصد منها الإرشاد والعبرة والتأديب، فجاءت وعظية أخلاقية. تكلف في بعض مقاطعها، وتناقص في أحداثها، وغلب على أسلوبها الاستطراد.

ويضيف **الدكتور عبد العزيز الدسوقي** كاتباً آخر هو «**صالح مجدي**»، الذي نشر اثنتي عشرة مقالة سمّاها «**المقالات الأدبية**» في نفس المجلة، حذا فيها حذو المقامة العربية في إطارها العام، وفي طريقة نسجها، وفي تلوينها اللغوي والصوتي. فالفواصل قصيرة، والسجع مقبول. ومنها «الجزاء من جنس العمل»، «**في اليسر بعد العسر**»، «**التصريح بحميد الأخلاق**»، «**تلك الأيام نداولها بين الناس**»، «**في أحلام اللصوص وما جاء فيها من اللصوص**»، «**في القيام بشكر الصنيعة لمن له في المروءة الدرجة الرفيعة**»، «**الوفاء مليح والغدر قبيح**»!.

ويبتدع **الدكتور عبد العزيز الدسوقي** لهذه المقالات اسم «**المقامة الأقصوصة**»!.

وتبلغ المقامة آخر الشوط الطويل الذي قطعته أثناء رحلتها منذ زمان بعيد، عند الأديب الشعبي «**بيرم التونسي**»، الذي تدارك المقامة وهي في الرمق الأخير، وعالجها علاج الطبيب الذي يعرف مكمن العلة. فابتعد عن قيود الزخارف اللفظية الثقيلة، وقربها إلى رجل الشارع. لم يقلد **الحريري** ولا غيره. فقد وضع يده من أول لحظة على العلاقة بين الأدب والواقع، بين الأديب ومجتمعه. فابتكر أسلوباً ساخراً، وربط بين المقامة وبين الحياة.

اتسمت مقاماته بالقصر، وهي أقرب إلى أن تكون وجهة نظر محددة في أمور الدنيا والحياة والناس، وكأنه في كل مقامة أراد أن يحدد موقفه في كثير من القضايا والمسائل التي تهم الجماهير. ويبدو **بيرم التونسي** في كل مقامة، متناولاً موضوعاً مستقلاً، انتخبه انتخاباً من الواقع الاجتماعي، ومن حياة الجماهير.

## قضايا حول هذا الفن

أثار عدد من الباحثين والنقاد بعض المسائل النقدية حول «**المقامة**» العربية. فمن قائل إنها قصة قصيرة، ومن قائل إنها هيأت لفن الرواية، أو القصة بمعناها العام، ومن قائل إنها أقرب إلى المسرحية منها إلى أي لون أدبي آخر، وكل منهم ينطلق من انحياز كلي لا محدود للمقامة باعتبارها نوعاً أدبياً عربياً، أبدعته قريحة الكتّاب العرب في القديم.

● يذهب **الدكتور شكري عياد** في كتابه (**القصة القصيرة في مصر**) الطبعة الأولى ١٩٦٨م، ص ١٨؛ إلى أن هذا اللون من الكتابة ــ المقامة ــ «**يمكننا بغير حرج أن نسميه قصة قصيرة**». ويتجه هذا الاتجاه ــ ولكن في حذر ــ **الدكتور الطاهر مكي**، في كتابه (**القصة القصيرة ــ دراسة ومختارات**) الصادر ١٩٧٧م، ص ٣٤، حيث يقول: «**المقامة شبه قصة قصيرة**». بينما يسرف **الدكتور عبد العزيز الدسوقي** في الادعاء بأن مقامات «**صالح مجدي**» التي أشرنا إليها «**تعتبر بكل المعايير الفنية والفكرية، ريادة حقيقية لفن الأقصوصة في لغتنا العربية**» ص ١٥٧، من كتابه (**روضة المدارس**) ١٩٧٥م.

وفي تصوري أن القصة القصيرة ليست امتداداً للمقامة، لا في الشكل ولا في المضمون، ولا في الهدف، أو المغزى العام، والأثر المرجو، والوسيلة التي يتوسل بها إليه. فالقصة القصيرة فن يختلف عن «**المقامة**»، لم نجده ــ من قبل ــ في تراثنا القصصي، ليكون نبراساً يضيء الطريق للذين أخذوا يعالجونه أول الأمر.

ولا يتسع المقام لتعداد خصائص فن القصة القصيرة، ولكنها تختلف عن المقامة اختلافاً واضحاً. فالخطابية، والمباشرة، والاستشهادات الطويلة المملة، لا يمكن أن تكون من سمات القصة القصيرة الجيدة، والإسراف اللغوي الذي يجعل «**اللغة**» و«**النحو**» و«**القواعد**» هدفاً رئيسياً؛ يحول دون سريان تيار شعوري ونفسي وفكري واحد، وهو أمر لازم في القصة القصيرة. ذلك أنه يدفع القارئ إلى البحث في القاموس عن كل كلمة، وفي كتب التاريخ عن كل واقعة، وفي دواوين الشعر عن الأبيات المستشهد بها، وفي القرآن الكريم عن الآيات الواردة في المقامة، وهذا كله من شأنه أن يضعف القصة القصيرة، ويفقدها وحدة التأثير، ووحدة الانطباع، وتماسك البناء الفني، بل إنه يلغي ميزة «التكثيف»، وينهي تماماً ضرورة «**التركيز**» و«**الإيجاز**».

القصة القصيرة تقوم على الانتخاب من الواقع، ودقة الأسلوب، والحوار المركز الحي، والصراع الدرامي، الذي ينمو بالحدث، أو يصعّد الفكرة، أو يجلي جوانب خفية من الشخصية. ولا بد لكل قصة قصيرة من أن تكون لها وحدتها الخاصة، حيث يلتحم الشكل والمضمون معاً. أمّا إذا تكررت الصور ــ كما في المقامة ــ وإذا تشابهت الشخوص، وأعيدت الاستشهادات، وحامت الموضوعات في حلقة واحدة مفرغة، وسجل كل ذلك بلسان واحد لا يتبدل، وتشبيهات لا تتنوع؛ **فأين يكون الفن المتجدد إذن؟.. وأين هي العلاقة بين المقامة والقصة القصيرة؟!..**

الكاتب في القصة القصيرة يتعمد مع سبق الإصرار والترصد، كتابة فن له أصوله وقواعده، اصطلح على تسميته «**قصة قصيرة**». و«**الراوي**» في المقامة، يتعمد هو الآخر أن يتحدث حديثاً مباشراً، في مقام محدد، ولغاية محددة ومعروفة. كانت المقامة «**شكلاً**» أدبياً ملائماً لزمانه ومكانه وظروفه، والقصة القصيرة فن حديث النشأة، أنبتته عوامل مختلفة، والمقامة كشكل فني متطورة إلى أبعد غايات التطور، في حدود إمكانات التطور المتاحة له.

وأجدادنا القدماء، وروّادنا، وكتّابنا المحدثون، لم يعتبروا «**المقامة**» قصة قصيرة؛ لأنها ليست كذلك. إنها «**مقامة**» بكل ما تحمل الكلمة من معان.

وفي دراستنا للقصة العربية القصيرة، لم نصادف كاتباً من روّادها، وأعلامها المبرزين؛ أو شاباً من شباب الكتابة فيها، أشار إلى أنه تأثر بالمقامات من قريب أو من بعيد. يقول المرحوم الأديب الكبير **محمود تيمور** في مقدمة مجموعة (**الشيخ سيد العبيط وقصص أخرى**) ص ٣١: «**وليس للمقامات أي قيمة قصصية وإن كانت كتاباتها وضعت في القالب القصصي: لأنها خلت من أهم مميزات القصة وهو الحادثة**».

بل إن الملاحظ أن الأجيال المعاصرة من كتاب القصة القصيرة لم يقرأوا المقامات العربية، وإنما اتجهوا نحو الأشكال الجديدة للقصة القصيرة الأوروبية المعاصرة. ومن ذا الذي يزعم أن **يوسف إدريس** في مصر، أو **زكريا تامر** في سورية، أو **محمد زفزاف** في المغرب، أو **عبد الرحمن الربيعي** في العراق، أو **أبو العيد دودو** في الجزائر، أو **عبد الواحد براهم**، **وعبد القادر بلحاج**




★ يوسف الشاروني ★ ★ د. شوقي ضيف ★

**حسن** في تونس ؛ والجيل الحالي من أمثال **يحيى الطاهر عبد الله ومحمد مستجاب وإبراهيم أصلان ومحمد البساطي ورفقي بدوي** وغيرهم وغيرهم من كتّاب القصة القصيرة العرب ، اطلعوا على المقامات ــ **مجرد اطلاع** ــ أو عالجوا القصة القصيرة وهم متأثرون بها ؟! .

● ومع أن **الدكتور عبد العزيز الدسوقي** يسلم بأن المقالات الأدبية التي نشرها « **صالح مجدي** » في ( **روضة المدارس** ) كانت متأثرة بالمقامة في الإطار العام ، وفي طريقة النسج ، وفي التلوين اللغوي والصوتي ؛ فإننا نراه ــ رغم ذلك كله ــ يقول : « **إن صالح مجدي بهذه المقامات الاثنتى عشرة يعتبر رائد الأقصوصة العربية الحديثة** » ص ١٥٣ .

في حين أنه كان قد سبق له القول ــ في نفس الصفحة ــ بأنها « **في الحقيقة تقارب أحدث شكل فني للأقصوصة** » . ثم يقول ــ في نفس الصفحة ــ بعدئذ : « **ولولا العناية بالناحية اللغوية والأسجاع والمحسنات اللفظية ، لكانت أقاصيص بالمعنى الفني لهذا المصطلح** » . وينتهي أخيراً إلى : « **أن بعض هذه الأقاصيص كانت أقرب إلى المقامة والمقالة منها إلى الأقصوصة** » ص ١٥٧ .

وبعد التسليم بالعيوب الفنية التي تبدو جلية في مقالات **صالح مجدي** ، والتي لا سبيل إلى أن يغفلها ناقد ، يطلع علينا **الدكتور الدسوقي** أخيراً باسم مبتكر يطلقه على هذه المقالات فيقول : « **من الممكن أن نطلق عليها ( المقامة الأقصوصة )** » .

ما **هذا الخلط**؟! إنها **مرة** رائدة للأقصوصة ، وأخرى تقارب أحدث الأشكال التي وصلت إليها الأقصوصة في آخر مراحل تطورها ، وهي **مرة ثالثة** تقترب من الأقصوصة بالمعنى الفني لهذا المصطلح ، وهي **مرة رابعة** أقرب إلى المقامة والمقالة منها إلى الأقصوصة ، ثم نراها أخيراً وقد ارتدت ثوباً من قطعتين : المقامة ــ الأقصوصة .

**وهو قبل هذا وذاك لم يكشف لنا عن مفهومه للأقصوصة . ومتى تكون الأقصوصة مكتملة البناء من الناحية الفنية ؟ وما هي ملامح أحدث أشكال الأقصوصة ؟!** .

ثم ، ما حكاية « **المقامة ــ الأقصوصة** » هذه ؟! . إنها إمّا أن تكون « **مقامة** » ، وإمّا أن تكون « **أقصوصة** » . الحق أن ما كتبه **صالح مجدي** كان مقالات حاول في بعضها الاستعانة ببعض عناصر التشويق والترغيب ؛ ليصل إلى قلب القارئ بسهولة ، وذلك ما نراه واضحاً في مقالات **عبد الله النديم** القصصية ، ومقالات **إبراهيم عبد القادر المازني** القصصية ؛ وكذلك المقالات القصصية التي خلفها **مصطفى لطفي المنفلوطي** ، هي أصلاً مقالات أدبية تسربت إليها ملامح قصصية مقصودة ، وكتّابها كانوا على قدر كبير من الوعي والإدراك لكل ما يستخدمون من أدوات ووسائل تحقق لهم الهدف المنشود . هذا الهدف كان التعليم حيناً ، والوعظ حيناً ، والإصلاح الاجتماعي حيناً ثالثاً ، وتعرية العيوب والمباذل الأخلاقية حيناً آخر .

● وفي مقال ( **المقامة في تراثنا العربي** ) للأستاذ **يوسف الشاروني** المنشور بمجلة ( **الفيصل** ) العدد السابع ــ السنة الأولى ــ محرم ١٣٩٨ هـ ، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ م ــ ص ١٣٤ ، نجده يقول : « **إن القصة الفنية لا تولد مرة واحدة ولادة ناضجة ، وإن مجرد التفكير في وضع غرض تعليمي في صورة بها بعض العناصر القصصية ، إنما هي محاولة رائدة وتفكير مبكر نحو خلق فن قصة عربية بلغة فصحى** » .

إنه يذهب إلى أن كتّاب المقامات فكروا في خلق قصة عربية ، وأنهم في ذلك كانوا روّاد هذا الفن في أدبنا العربي الحديث ، وذلك لأنهم صاغوا هدفهم التعليمي في صورة بها بعض العناصر القصصية . والواقع أن هذا الزعم بأنهم كانوا يرغبون في إنشاء فن قصصي ، لم يكن يخطر لهم على بال . ولعل عرضنا المسبق لأصول المقامة وعناصرها البنائية وتكوينها الداخلي ؛ يكشف عن أنهم كانوا يتبارون في خلق الأعاجيب لغوية وبلاغية ، وقواعد نحوية ، وأساليب معقدة . كما حشدوا مقاماتهم بالمعلومات والأخبار والوقائع ، وكذا قصائد الشعر المطولة ، وهذا الهدف في حد ذاته شغلهم عن التفكير في أي غرض آخر .

وبعد أن قدم **الأستاذ الشاروني** تلخيصاً أميناً ودقيقاً لكتاب ( **المقامة** ) **للدكتور شوقي ضيف** ، الصادر عن دار المعارف ١٩٥٤ م ، دون أن يضيف جديداً يذكر ، ودون أن يخرج عن الكتاب قيد أنملة ، نلاحظ أنه يقول : « **.. وقد كان للمقامة تأثيرها السلبي والإيجابي على الفن القصصي في الأدب العربي الحديث ، فهي من ناحية كانت سبباً في تأخير ظهور القصة العربية بالمعنى الفني الحديث ، ولكنها من ناحية أخرى فإن أثرها في الأساليب القصصية قرب بين فن القصة ، والأساليب الأدبية التي كان لها الاعتبار الأول** » ص ١٣٨ .

هنا نراه يحمل **المقامة** مسؤولية تأخر ظهور القصة العربية الحديثة ، ومسؤولية تقريب الأشكال الأدبية الحديثة إلى أذواق القرّاء ، في آن معاً . **فكيف يستقيم ذلك** ؟ لم يكن **للمقامة** دخل على الإطلاق في تأخر ظهور القصة العربية الحديثة بالمعنى الفني الدقيق لهذه الكلمة . إذ إن المناخ الثقافي والأدبي والاجتماعي ، هو الذي ساعد على ذلك ، فضلاً عن عدم توفر ما يهيئ لانتشار الفن القصصي ، ويعمل على ذيوعه بين القرّاء ؛ كالصحافة ، والتعليم ، والطباعة ، والمسرح ، وخروج المرأة إلى الحياة العملية العامة ، وغلبة الفكر الديمقراطي ، والواقعية في النظر إلى الأمور .

● ويبقى بعدئذ ما يذهب إليه **الدكتور عبد الرحمن ياغي** في كتابه ( **رأي في المقامات** ) من أن المقامات يوجد بها عنصر درامي ؛ ولهذا فإنه يرى أن فن المقامة ( **إلى المسرحية أقرب منه إلى القصة** ) . وهو رأي لا يستند إلى أدلة دامغة . ولا يجد ما يبرره أو يدعمه . ذلك أنه يبتعد تماماً عن أصول الفن المسرحي الذي يعتمد أساساً على درامية الحدث ، وعلى الصراع ، وعلى الحوار الحي ، وعلى الشخصيات القوية النامية ، وعلى الحركة المتصاعدة ، حيث الكلمة الهادفة المدببة المحسوبة ، والشخصية المرسومة بدقة ، وبكل أبعادها النفسية والفكرية والاجتماعية ، وغير ذلك من عناصر غير متوفرة في المقامة ، بل قل إنها غير موجودة . إذ إنها تعتمد ــ فقط ــ على راوية يروي شيئاً متشابهاً ، عن شخصية معروف سلفاً هدفها وطباعها وما قد تتفوه به . اللغة غير متوترة . إنها ممطوطة . المناقشات طويلة . الحشو كثير . الاستطرادات مملة . بمعنى أنه لا توجد أدنى علاقة بين المقامة وبين المسرحية . فلا وجه للشبه بينهما معاً .

**المقامة مقامة . وهي فن مستقل خاص . له ذاتيته ، وله أصوله وقواعده الفنية . كان نتاج مرحلة تاريخية وحضارية معينة . ومن ثم فإنه كان تعبيراً عنها ، واستجابة لذوق المتلقين حينئذ . وعلى هذا الأساس ينبغي فهمه ، ودراسته ، والحكم عليه .**

# العطش

**شعر: راشد عيسى**

● مهداة إلى الشاعر غازي القصيبي / شاعر الظمأ /



سواحلي آحترقتْ والموجُ داهمني ... بالأمنياتِ التي ضاعت مراسيها
فلا رصيفاً على الشطآن يحملني ... ولا منارة أستجلي الرؤى فيها
يا عابر البحر سلها كيف لم ترني ... وقد أتت سفني غرقى صواريها
يا عابر البحر بلّغْها أما قرأت ... حزن النوارس إذ جاءت تُعزّيها

غِرّيدتي وحةٌ لو تهتُ تنقذني ... وتمسح الحرَّ من قلبي سواقيها
غِرّيدتي ديمةٌ بالحبّ تمطرني ... تسقي حقول الظمأ غيثاً يُروّيها
تفتّتُ الحزنَ من أنحاء أروقتي ... تضمد الآه ... بالايناس تشفيها

غِرّيدتي نسمةٌ ميساءُ تنعشني ... تُلَطِّف الجوَّ حولي في تداعيها
غِرّيدتي كرمةُ السلوى تظلّلني ... تلغي مواعيد أحزاني وتقصيها

غِرّيدتي قصةٌ تغفو على شفتي ... إذا بكيتُ تحاذيني مطافيها
غِرّيدتي همسةُ التحنان تلقّفني ... على شواطئ آلامي الاقيها

غِرّيدتي عطرٌ يجتاح مملكتي ... سحباً تحاصر أشيائي، تناغيها
فتنزع الوجعَ المسكونَ في كبدي ... وتزرع الفرحة الجذلى وتُنْميها

تستصلحُ البورَ من قلبي وتغرسُه ... وتحصد الشوك من دربي أياديها
غِرّيدتي قُرْبي أنغامُ عادلةٍ ... إذا عزف الهوى لحناً أغنيها
غِرّيدتي مرحٌ هلَّ الذكاءُ به ... فنانةُ الطبع ، يحدوها تفانيها

لا تغفةٌ بلهاءُ في [تَمكُّنِجها] ... أو وردةٌ صماءَ إنْ أناجيها
يا ديرتي ... ألمُ تحنو على تعبي ... تشقى وتسهر من أجلي لياليها

يا عابر البحر سَلْها أنْ تمدَّ يداً ... حتى أسلمها نبضي وأفديها



★ الكندي ★

# العلوم المذهبية
# بلاد السند والهند.. ونظرة

بقلم:
د. عبد الله مبشر الطرازي

## سماحة الإسلام

يمتاز العرب بصفات خلقية وعلمية طيبة بفضل سماحة الإسلام، منها عدم التعصب الديني، ولذلك نراهم يدرسون المذاهب الأخرى، ويبدون رأيهم فيها بالنقد الصحيح البناء، أو بتحسين ما فيها من الآراء والتعاليم الحسنة، وبتقبيح ما فيها من الفلسفات والنظريات الخاطئة مع تصحيحها بتقديم أفكار صالحة ونظريات مفيدة لخير الإنسانية.

## دراسة المذاهب

كذلك اهتم العرب بدراسة المذاهب والديانات ببلاد السند والهند، وما فيها من النظريات والآراء الفلسفية في **العصرين الأموي والعباسي** وذلك لسببين مهمين: **أحدهما** معرفة الحقائق للعلم نفسه، **وثانيهما** مواجهة الأمور المذهبية في البلاد التي يحكمونها لإصلاح الأفكار العقائدية عند شعوب تلك البلاد من جهة والعمل على نشر الدين الإسلامي بطريقة منظمة على ضوء المعلومات التي يحصلون عليها من جهة أخرى، على أن يكون نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالعلم الصحيح والعمل الصالح.

**قد اهتم العرب بدراسة المذاهب والديانات القديمة السائدة ببلاد السند والهند بطرق ثلاث:** إرسال وفود علمية لدراسة المذاهب في تلك البلاد عن كثب، ودراسة لما لها من آثار مباشرة على المجتمع، ثم بترجمة بعض الكتب المذهبية، ثم إقامة مناظرات علمية مذهبية بدار الخلافة ببغداد، أو ببلاد السند والهند، وفي قصور ملوكها وأمرائها، حتى يتبين للجميع بعد الدراسة والترجمة والمناظرة، حقيقة الدين الإسلامي الذي يدعو إليه العرب وهو أصح الديانات السماوية وأكملها، وتتبين أيضاً حقيقة الديانات الأخرى الوضعية في البلاد المفتوحة كالبرهمية والبوذية والمجوسية، وكذلك الديانات السماوية كالنصرانية واليهودية وما فيها من نقائص بجانب ما فيها من تعاليم حميدة.

## إرسال الوفود العلمية

وبالنسبة للوفود العلمية فقد ذكر **ابن النديم** بأنه قرأ كتاباً باسم **(ملل الهند وأديانها)** وكان قد كتب في سنة ٢٤٩ هـ، بخط يد **يعقوب بن إسحاق الكندي** حرفاً حرفاً وقد جاء فيه: حكى بعض المتكلمين بأن **يحيى بن خالد البرمكي** بعث برجل عالم إلى بلاد السند والهند ليكتب له عن أديانها فكتب هذا الكتاب، وكانت حركة الوفود العلمية مستمرة طوال العصر العباسي بين البلدين، فمن بين تلك الوفود الدينية، الوفد الذي بعثه **الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي** (٩٩ ـ ١٠١ هـ)، ودعا ملوك وأمراء السند والهند إلى الإسلام، وقد وفقت تلك البعثة الدينية توفيقاً كبيراً حين استجاب خمسة عشر ملكاً منهم في شبه القارة الهندية للدعوة الروحية المباركة، وأعلنوا إسلامهم عن يقين وإيمان بكمال الإسلام، وكذلك الوفد الذي بعثه **الخليفة المهدي العباسي** (١٥١ ـ ١٦٩هـ)، إلى بلاد السند والهند للدعوة إلى الإسلام، وقد نجح إلى حد بعيد في جذب عدد كبير من علماء تلك البلاد ومئات من أفرادها نحو الإسلام.

## تأليف الكتب عن الديانات

أما عن الكتب العربية التي ألفت حول مذاهب أهل السند والهند ودياناتهم وآرائهم وفرقهم، فيذكر **المسعودي** (المتوفي ٣٤٦ هـ) ويقول: وقد رأيت **أبا القاسم البلخي** (القرن الثالث الهجري) يتحدث عنها في كتابه المترجم باسم كتاب الآراء والديانات، وهناك كتاب آخر وهو كتاب الديانات **لأبي العباس الفارسي** الأصل، وقد اقتبس منه العالم الكبير **البيروني** أخباراً هامة عن الديانات في تلك البلاد أوردها في مواضع كثيرة من كتابه المهم.

وذكر **القاضي صاعد الأندلسي** في كتابه عند الكلام عن المذاهب، بأن البيروني تحدث بالتفصيل عن المذاهب والآراء المختلفة لأهل السند والهند في كتابه المستقل باسم «مقالات أهل الملل والنحل»، وإن هذه الكتب التي ذكرناها بعضها مترجمة، وبعضها من تأليف العلماء العرب والمتعربين الذين بلا شك اعتمدوا عند جمع المعلومات على كتب دينية لأهل السند والهند، وكذلك نجد كثيراً من المؤرخين والجغرافيين العرب قد كتبوا عن مذاهب أهل السند والهند وآرائهم وفرقهم بشيء من التفصيل، منهم **مظهر المقدسي** (٣٣٥ هـ) العالم المتكلم المؤرخ الذي جعل في كتابه باباً لذكر المذاهب في بلاد السند والهند، وكذلك نجد

# القديمة في العرب والمسلمين إليها


★ المسعودي ★

بيانات كثيرة عن المذاهب والديانات في تلك البلاد في كتب **المسعودي ، وسليمان التاجر ، والسيرافي ، واليعقوبي ، والإصطخري ، وابن رسته ، وبزرك بن شهريار ، وابن خرداذبه ، وابن الفقيه ، والهمذاني ، وابن النديم وغيرهم .**

وإضافة إلى الكتب التاريخية والجغرافية ومذكرات السياح العرب الذين تحدثوا عن الديانات والمذاهب والفرق في بلاد السند والهند ولا سيما عن العلاقات المذهبية بين العرب والسند والهنود ، توجد كتب أخرى هامة لعلماء الأديان وأمثالهم تذكر بالتفصيل عن تلك المذاهب ، فمن ذلك كتاب الملل والنحل **للشهرستاني** ، وكذلك كتاب الفرق بين الفرق **لعبد القاهر البغدادي** ، وكذلك كتاب المعتزلة **لمرتضى الزيدي** ، وبها بيانات هامة عن الآراء الفلسفية لمذاهب السند والهند .

## المناظرات المذهبية

أما عن المناظرات فنجد في بعض الكتب التاريخية والمذهبية والفلسفية العربية بيانات لبعض المناظرات العلمية المذهبية التي كانت تقام بين علماء الإسلام ، وعلماء البراهمة ، وعلماء البوذية في دار الخلافة ببغداد ، والمدن المحيطة بها كالبصرة والكوفة ، وفي مجالس الخلفاء العباسيين ، وقصور الأمراء والأعيان العرب ، وبالمثل في قصور ملوك السند والهند وأمرائهم طوال العصر العباسي ، **وكانت المناظرات المذهبية الدينية هذه ودية لا تعصب فيها ، وخاصة من جانب العرب ، وتعتمد على الدلائل العقلية والمنطقية والفلسفية ، وكذلك على الأدلة النقلية مع فرق بسيط ، وهو أن علماء السند والهند كانوا يعتمدون كثيراً على الأدلة الفلسفية بينما كان علماء العرب يعتمدون على البراهين العقلية السهلة والأدلة النقلية من القرآن الكريم والحديث الشريف والأدلة المادية من صميم الحياة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .**

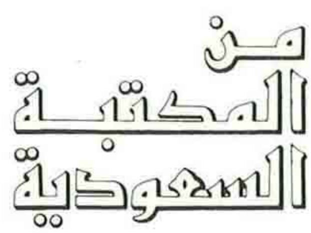
فقد ذكر البعض بأن ملكاً سندياً كتب إلى **الخليفة هارون الرشيد** (١٧٠ ـ ١٩٣هـ) بأنه إذا كان الدين الإسلامي يقوم على العقل والدليل ، فليبعث إليه عالماً مسلماً للمناظرة العلمية الدينية ، فأرسل الخليفة عالماً عربياً فقيهاً إليه فلم يستطع أن يرد على المصطلحات الفلسفية لمناظرة العالم السندي الذي كان يعتمد على الفلسفة الهندية ، فعاد العالم العربي إلى بغداد دون أن يحقق أي نجاح في المناظرة ، فأرسل الخليفة إلى بلاد السند عالماً آخر وهو **معمر بن عباد** العالم المتكلم المعروف في بغداد ، وقد نجح إلى حد كبير في المناظرة بأدلته العقلية والمنطقية بحيث تمكن من إسكات ذلك الملك وإقناعه بصحة الإسلام وعظمته .

رواية أخرى تقول بأن ملكاً سندياً كان يحكم منطقة على الحدود بين بلاد السند وبلاد الهند وكان عنده عالم كبير في المذهب البوذي ، وقد حرض الملك على أن يكتب إلى الخليفة العباسي (في القرن الثاني الهجري) بأنه علم أنه لا يوجد في الدين الإسلامي دليل قاطع على صدقه إلا السيف ، وإذا كان لديه ثبوت بصدق هذا الدين فليرسل عالماً يناظر مع عالم عنده ، فاختار الخليفة عالماً محدثاً جليلاً لتلك المهمة ، فلما بدأ العالم السندي المناظرة والمناقشة في المسائل الدينية وبما عنده من الأدلة الفلسفية الهندية ، فإن العالم العربي بدأ يجيب بما عنده من الأدلة النقلية من القرآن الكريم والحديث الشريف ، فقال له العالم السندي إن الدليل النقلي لا يكفي لنا نحن أهل العلم والحكمة ، ويمكنك أن تقدم ما عندك لمن يعتنق دينك ، وأعاد الملك ذلك العالم العربي إلى الخليفة قائلاً إنه كان قد سبق له أن علم من العلماء عنده والآن قد رأى بعينه وسمع بأذنه أنه لا يوجد لدى المسلمين دليل كاف على صحة دينهم ، فتأثر الخليفة وجمع العلماء في علم الكلام والفلسفة ، وعرض عليهم هذه المسألة ، ثم اختار من بينهم عالماً وأرسله إلى ذلك الملك ، فلما سمع العالم البوذي بأن العالم المسلم الذي سيناظره وهو عالم كبير في العقليات والفلسفات وكان قد سمع عنه كثيراً ، أراد التخلص منه قبل أن يفضحه عند الملك ، ولذلك دبر مؤامرة بحيث خرج بنفسه لاستقباله ، ودس السم في طعامه ، وقضى عليه ، على أنه توفي في الطريق لإصابته بمرض وبائي خطير .

ولم تكن المناظرات متوقفة على البلاد المفتوحة كبلاد السند بل كانت تقام حتى في البلاد غير المفتوحة ، فقد ذكر المسعودي الذي زار بلاد الهند في ضمن الأخبار التي يكتبها عن **مدينة كهمبايت** الهندية بأنه حين وصل إليها سنة ٣٠٢ هـ ، كان حاكمها بانياً ويؤمن بالمذهب البرهمي ، وكان له شوق كبير بالمناظرة ، ولذلك كان يدعو إلى بلاطه كبار المسلمين الذين كانوا يأتون إلى هذه المدينة من الخارج ويباحثهم ويناظرهم في المسائل الدينية ، ويسره كثيراً سماع آرائهم ويحترمهم ويكرمهم .

وعلى العموم فإن مثل هذه الروايات المختلفة ، والأحداث التاريخية ، والوقائع العلمية ، تشير إلى وجود المناظرات الدينية والعلاقات المذهبية بين العرب والسند والهنود في العصر العباسي ، وكان لاهتمام العرب بدراسة العلوم المذهبية وترجمة الكتب فيها أثر كبير في فهم الحقائق العقائدية في تلك البلاد ثم في انتشار الإسلام .






يسعد مجلة « الفيصل » أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى ، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية . . وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة ، وبين القراء في الوطن العربي الكبير .

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي .

ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد . . والله الموفق .

● الكتاب : نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية

● المؤلف : الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ

● الناشر : دار العلوم – الرياض (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) ط٢ ، (٢٤٠ ص)

للدكتور محمد الشامخ إسهامات في دراسة الأدب المعاصر في المملكة العربية السعودية ، تأليفاً ، ودرساً بحكم عمله الأكاديمي ، أستاذاً للأدب العربي الحديث بجامعة الملك سعود بالرياض ، ومن إسهاماته السابقة : « التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني » ، و « النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية » ١٩٠٠ – ١٩٤٥م .

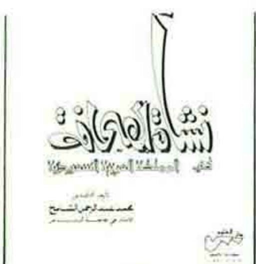
أما الكتاب الذي بين أيدينا ، فهو الطبعة الثانية ، إذ صدرت الطبعة الأولى عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) ، وقد أضيف إلى عنوانها (١٩٠٨ – ١٩٤١م) مع اقتصارها . أما الطبعة الحديثة فلم تحمل هذه الإضافة ، وإن ضمّنها الباحث مقدمته ، وجعل نهاية مرحلة درسه عام ١٩٥٠م ، مشيراً – أيضاً – إلى أن معظم هذه الفصول نشرت في كتابه المشار إليه منذ قليل ، يقول : « ولكن بدا لي الآن ان اعيد النظر فيما سبق أن كتبت ، فانقّحه واغيّر فيه ، كما رأيت ان اضيف إليه فصلاً جديداً عن ظهور الطباعة في هذه البلاد ، وقد آثرت أن أختار للكتاب عنواناً جديداً يلائم موضوعه ، ويساعد في تحديد طبيعته » .

والحق أن هذه الإشارة العلمية تأتي من منطلق أمانة الباحث ، الذي يربط بين عمله السابق واللاحق ، ولو أن هناك من يعترض على هذا التغيير ، ويضيف إلى اعتراضه ، اعتراضاً آخر يتمثل في أن هذا لا يعني أن الكتاب يؤرخ للصحافة السعودية بوجه عام ، لجاز لنا أن ندفع هذا الاعتراض بهذا التصريح الواضح من المؤلف في مقدمة كتابه ، وبشيء آخر ، هو أن الاسم الجديد كان محدداً ؛ إذ ربط الظاهرة المدروسة بمرحلة النشأة ، والنشأة الصحفية حقاً كانت بالحجاز ، بل إن مكة المكرمة كانت ثاني مدينة من مدن شبه الجزيرة العربية تعرف فن الطباعة عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) ، وكانت أولى ثمارها ظهور الكتاب الدوري الرسمي لولاية الحجاز (حجاز ولايتي سالنامه سي ، ١٣٠١هـ (١٨٨٣ – ١٨٨٤م) ، أي إن تاريخ الصحافة – في نشأته ومولده – كان في الحجاز ، ولهذا نرى رفع الاعتراض الذي قد يوجَّه إلى ما بين الطبعة الأولى والثانية من الكتاب من وجوه اتفاق أو اختلاف يعود في النهاية إلى منطقة الحجاز .

وقد ضم الكتاب ثلاثة أبواب ، في الأول نلتقي بمولد الصحافة : إنشاء المطابع ، وظهور الصحافة ، وفي الثاني نلتقي بالصحافة قبل توحيد البلاد ، وفي الثالث نلتقي بالصحافة بعد توحيد البلاد .

وفي الأبواب الثلاثة نلتقي بلازمة ثابتة فيها جميعها ، وهي النصوص الصحفية ، ولا اعتراض لنا على مبدأ الاختيار ، فاختيار الرجل جزء من عقله ، وهو جهد في حد ذاته ، إلى جانب أن اختيار النماذج خير معين لمن يشاء دراسة هذه الحقبة في تمثل طرقها الفنية ، وأنماطها النثرية ، ومذاهب الكتّاب واتجاهاتهم ، ليتعرف على روح النثر العربي آنذاك قبل أن تمرّ به أطوار التجديد الفني المعروفة ، لكنا نلحظ أن النصوص كثيرة ؛ فإذا ما ألقينا نظرة إحصائية على هذه النصوص في مظانها المذكورة من قبل وجدناها تمثل قدراً كبيراً من الكتاب ، وقد يكون فيما قدمنا من أسباب فنية ما يبرّرها .

وبالكتاب جملة من










★ د. محمد عبد الرحمن الشامخ ★

★ غالب حمزة أبو الفرج ★

الفهارس التي تفيد الدارسين، من فهرس للدوريات، وآخر للمطابع والمدارس والجمعيات، وثالث للكتب، ورابع للأعلام، وخامس للكتاب، وفي ظني أن الجهد المبذول في الفهارس هنا وفي كل كتاب لا يقل عن الجهد المبذول في تأليف الكتاب، وأن الفهارس لها فائدتها العلمية التي تفتقر إليها كثير من الدراسات المعاصرة، إذ يمثل الفهرس نافذة علمية نطل منها على ما نبتغي، فنتعرف على ما نريد في يسر، وقد صارت الفهرسة جانباً من علم كبير له خطورته في حقل الدراسات الإنسانية.

يبقى بعد ذلك كله، أن نحيي هذا الجهد العلمي الموصول لعلم من أعلام البحث في الأدب العربي المعاصر بالمملكة العربية السعودية.



● الكتاب: غرباء بلا وطن (رواية).

● المؤلف: غالب حمزة أبو الفرج.

● الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ١٥٩ صفحة.

إن قارئ رواية (غرباء بلا وطن) للكاتب السعودي غالب حمزة أبو الفرج، للمرة الأولى، يجدها تكاد تكون مشروعاً لتحقيق صحفي مع مجموعة من الغرباء السياسيين الذين يعيشون في مصر. ولكن القارئ يجد في المرة الثانية فناً أدبياً لرواية سياسية، ذات مضمون فكري وسياسي ونفسي.

فحين نصطدم بموت البطل الإيراني (الدكتور سعادة) المفاجئ - ومنذ الفصل الأول - وهو يُطبِّل للراقصة في الملهى.. نستنكر على الكاتب ذلك الافتعال. ولكن ما إن تتوالى الفصول الأخرى للرواية، حتى يخف استنكارنا، وتتوطن نفوسنا على تلك الميتة. إذ استطاع الكاتب أن يمتص منا كل مشاعر الاستنكار، ويدخلها روع شخوصه الآخرين. فنحس أنه جعل من ميتة بطله موقفاً مجازياً أو رمزياً لقضية كبرى في روايته.. هي تفاهة المصير الإنساني، وسخرية الحياة. ولكن متى ؟!.

عندما تنسحب الشخصيات السياسية البارزة من ساحة أوطانها إلى أوطان أخرى، ويعيشون الذل والإهانة والظلم والمرض.. إنها قضية الكاتب الأساسية، بل هي مضمون الرواية.. إذ نجد هذا المضمون في أمكنة عديدة من فصول الرواية: «حرام على الإنسان أن يهرب من بلاده، ويصبح لاجئاً في أي بلد مهما كانت الأسباب والمسببات» (ص ١٣). «عندما لا يكون للإنسان أرض وأسرة وبيت، ثم يموت في الغربة، تأكل الكلاب جثته، لأنه لا يجد من يقدم له حتى ذلك الشبر من الأرض هدية منه لغريب» (ص ٢٣). «لا يهرب الإنسان من وطنه مهما كانت الأسباب والمسببات» (ص ٥٦). «إن أقصى الحرمان بالنسبة للإنسان أن يعيش بلا أمل ولا وطن» (ص ٩١). وهكذا...

لقد قدم الكاتب نماذج شخصية، تمتزج في بنية تركيبها جوانب إنسانية ونفسية، ويغلب عليها إحساس الغربة والضياع. فشخصية الإيراني السياسي الثوري الذي خلف وراءه ماضيه ومواقفه واستقراره وشخصيته المعهودة.. يعيش في الغربة بلا جذور، فتهتز شخصيته في الأرض الجديدة، وتتأرجح هنا وهناك، وتضيق به الحال، فينبت كنبتة طفيلية بلا أصل، ويقوده العوز ليصبح طبّالا عند خادمته التي أصبحت راقصة.. فيموت - وهو يمارس الطبل - مع أول نظرة تقع على عيون أصحابه. وكأن موته كان تجسيداً للصراع العنيف الذي يعيشه الإنسان في خضم مفارقات وتناقضات هائلة بين الامتداد والتقلص.

والسياسي السوري الهارب من الماضي والحاضر.. الماضي يجسد له القوة، والحاضر الضعف والانكسار. والشاعر العراقي، الذي كانت له جولات وجولات في عالم السياسة والأدب، وكان لقلمه لهيب ناري، وكان



لشعره دوي وتجاوب جماهيري .. فهو الآن يعيش في زوايا النسيان ، وفي ظلمات الإهمال .. وفقد الناس ذاكرتهم ، فلم يعد يسمعون به ، أو يسمعون منه .

والقاضي اليمني ، الذي يعبِّر عما يعانيه في الغربة – لكل من يلاقيه – بقوله : «كنا في اليمن نبحث عن حرية القول .. وها نحن اليوم في سجن مصر نبحث عن حرية البول» (ص ٧١) .

والطيار السعودي ، نزيل مستشفى بهمان بحلوان – للأمراض العقلية – واسمه (عبد الرحمن) . وهو «الذي لجأ إلى مصر في فترة بعيدة من الزمن بطائرته الصغيرة ، عابراً البحر الأحمر في رحلة مع الضياع» (ص ١١١) .

وتتوالى شخصيات أخرى ، يحاول الصحفي المصري (حسنين) ، أن يجمع كل خيوطها المبعثرة ، كي يكون منها نسيجاً طريفاً لمادة صحافته .

ولقد عمد الكاتب إلى قلب الحدث الدرامي في روايته .. فبينما كان منطق الأحداث يحتم أن تنشب معركة عنيفة في نفس (الدكتور سعادة) من جراء المعاناة والصراع .. ومن خلال الواقع والمواقف ، والسلوك والحركة .. لتنتهي إلى المصرع والموت ، فإننا نراه قد لجأ أولا إلى المصرع الدرامي ، ثم راح يحلل ويسترجع ويجمع مواقف وانطباعات وخواطر مبعثرة ومشتتة في دنيا الذاكرة .. وبالتالي فقدت عنصر الحيوية والتشويق والإثارة والحركة الدرامية .. على أنه استدرك ذلك النقص في نهاية الرواية ، حين ختمها بمصرع العراقي .

إن جُل أبطال الرواية ابتلوا بامرأة تعاني العقد ، وبخاصة «عقدة الذنب» . ومن ماض تعيس ، فتتشفى منهم ، وهم يتساقطون صرعى أمامها ، الواحد إثر الآخر ، وقد نجحت على نحو ما في إرواء غليلها ، وإلقاء شباكه في مصيرهم الحتمي . ولم يكن الموت عنصراً هاماً ، أو له دور مساعد في بناء العمل الروائي .. لأن أبطال (غرباء بلا وطن) هم يموتون – فعلاً – موتاً بطيئاً .. فلا حاجة إلى اصطناعه للنهاية الدرامية .

إن مكان الرواية في مصر .. وزمانها غير محدد ، ولكنه قريب منا جداً ، ويعاصر أحداث لبنان . والشخصيات – كما رأينا – خليط من أجناس عربية وغير عربية . والأحداث تخضع لبيئة الشخصيات ثم لأمكنة تواجدهم .. ويبدو أنه لم يبق للأدب السعودي في هذه الرواية سوى اسم المؤلف .. ولكنها تظل رواية سعودية في جوهرها وروحها وهدفها . إذ استطاع الكاتب – وبفنية روائية موفقة – أن يكون داعية وطنية صادقة لبلده ووطنه وقادته .. وذلك من خلال حوار أبطاله ومواقفهم وآرائهم السياسية ، ومن خلال الكشف للكثير من الأفكار والقضايا العامة والسياسية ، وإن اختفاء شخصية الكاتب ، جعل القارئ يتجاوب مع طرح الأبطال المتحاورين ، ويدرك الحقيقة الناصعة التي كانت مبرقعة ببرقع الضباب والغشاوة زمناً طويلاً ولقد انجلت عن ذهن القارئ العربي كل تراكمات السنين من زيف وكذب وتصنع .

كما أنه بموت السعودي نزيل مستشفى (بهمان) ، يؤكد لنا الكاتب تحقيق غرضه الوطني من كتابة روايته السياسية .. فلقد مات الغريب السعودي في بلاد الغرباء ، وكان مثلهم في غربته . بل أشد غربة وألماً وضيقاً ومرارة ، يكفيه أنه ظل السنوات يتجرع هواجس الجنون .. وبموته ينفي الكاتب عن نفسه التعصب الوطني . وبالتالي يثبت جُلَّ أفكاره السياسية التي عرضها عن السعودية وقادتها ومواقفها من الحرية والغرباء .. وينتهي القارئ من الرواية . ويحس أن ثمة صرخة مدوية تناشد السياسيين أينما وجدوا أن يلتزموا بالمثل والعدل وهم يتربعون على كراسي الحكم ، قبل أن تطاح تلك الكراسي من تحتهم .. وينتهوا إلى مصير أولئك الغرباء .. ويصبحوا على ما اقترفوه نادمين .

وأخيراً ، فإن الكاتب غالب حمزة أبو الفرج ، يمتلك أهم عناصر الرواية السياسية من تجربة وخبرة وثقافة سياسية لا حدود لها ، وبراعة فنية توظف تلك الثقافة في عمل روائي متكامل .

# وصف الكبر والتواضع في أخلاق الإسلام

بقلم: د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم

التواضع الإسلامي، ذلك الخلق الإنساني الرفيع، أسيء فهمه أبعد إساءة، وانتهى الأمر بالبعض إلى نبذه باعتباره رذيلة، وبالبعض الآخر إلى تصوره على نقيض ما علّم القرآن الكريم وما بينت السنّة! فكيف حدث ذلك؟ وكيف نستطيع استعادة المفهوم الإسلامي الصحيح له؟ وكيف نبين جذور الخطأ في المفاهيم الأخرى المناقضة لهذا المفهوم؟.

إن سبيلنا إلى ذلك هو الدراسة التحليلية الوصفية للكبر والتواضع، ولأعمال المتكبرين والمتواضعين، ومدخلنا المباشر إلى هذا الوصف هو السنّة الشريفة.

## الكبر في السنّة الشريفة

ذلك لأن **النبي صلى الله عليه وسلم** سئل هذا السؤال المباشر البسيط: **ما الكبر؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام في وضوح وفصاحة: «سفه الحق، وغمص الناس»**[1].

و «**سفه الحق**» يعني إنكاره وجحده، والسعي لإبطاله. فالمتكبر لا يمكن أن يقبل الحق أو يذعن لسلطانه، إلا إذا تخلى عن كبره وعناده! وما إن يلوح ضوء الحقيقة حتى يتشمر لحجبه؛ فإذا غلبه الضياء استدار له، وأبدى أمارات الأنفة عن قبول الحقيقة التي صدر عنها![2].

والمستكبر عن الحق «يبتلى بالانقياد للباطل»[3].

يقول **العقاد** في وصف الغطرسة وأثرها في موقف صاحبها: «إن الغطرسة خلة تأبى على صاحبها أن يستمع إلى قول، أو يصيخ إلى دعوة، أو يتنزل إلى متابعة إنسان، ترفعاً عن الإصغاء قبل أن يهديه الإصغاء إلى موافقة أو إنكار»[4].

وأما «**غمص الناس**»، وهو الشطر الثاني في الوصف النبوي الشريف لآفة الكبر، فيعني بخس الآخرين أقدارهم؛ وهذا البخس ينطوي ضمناً على أحكام ظالمة متميزة على نواياهم وأوصافهم وأقوالهم وأعمالهم؛ وهو بهذا المعنى ضرب من سفه الحق أيضاً؛ ومن ثم جاز لنا أن نقول إن الكبر باقتضاب شديد هو: «سفه الحق».

ولكن «غمص الناس» ضرب متميز من سفه الحق، موضوعه القيم الإنسانية والحكم عليها، أي هو مغالطة في تقويم الأشخاص وأفعالهم، وفي تقويم الذات أيضاً.

فالمتكبر يتوهم أنه أعظم مما هو عليه في واقع الأمر؛ كأنه لا يرى نفسه إلا على صفحة مرآة مقعرة! كما أنه يتخيل الآخرين أضأل مما هم عليه في الحقيقة، كأنه لا يراهم إلا من خلال مرآة محدبة!.

وما من أحد من البشر يقبل من المتكبر مثل هذا التقويم المجحف المضاعف؛ والكل يعُدُّ ذلك طعنة طائشة، أثيمة، تصيب من الإنسان أعز ما يملك، وهو ذاته المعنوية وشخصه الخلقي. ولهذا تهب ضحية الكبر لمجاهدته ومجالدته وإبطاله وإظهار نزق المتكبر ومغالطته. ولا يتيسر للمرء ذلك إلا بالكشف عن حقيقة قيمة المتكبر، وحقيقة قيمته هو ذاته. وفي سورة هذا العمل المحموم يندفع المتواضع نفسه إلى «سفه الحق وغمص الناس»، أي إلى الكبر! أعني أنه في دفاعه عن نفسه يبالغ في وصف إيجابياته، وينتقص من مزايا المتكبر الأخلاقية والعلمية والاجتماعية! ولعل في هذا ما يؤكد صدق قول القائل: «**ما رأيت ذا كبر قط إلا تحول داؤه فيّ!**»[5].

وهكذا تهتز علاقات المتكبر بمن حوله من الناس، ويسيطر عليها التوتر، ثم يعروها الوهن، ثم تصير إلى الخصومة، ثم إلى القطيعة الكاملة!.

## الكبر في القرآن الكريم

هذا هو مضمون وصف الكبر في السنّة الشريفة؛ وهو تفصيل لما ورد عن هذه الرذيلة في كتاب الله العزيز.

قال تعالى عن فرعون ﴿**واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق**﴾[6].

وقال أيضاً ﴿**سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً**﴾[7].

فالتناقض بين الحق والكبر هو جوهر الكبر؛ إن المتكبر لا يقف إلى جانب الحق، ولا يتخذ الرشد سبيلاً؛ ومن لا يتخذ جانب الحق والرشد، لا يبقى له إلا الباطل والغي والضلال المبين!.

والقرآن الكريم الذي يحتفل بالحق والحقيقة أعظم احتفال ويأمر المسلمين ويشدد الأمر، بأن يسارعوا إلى قبولها والدفاع عنها، يتوعد المتكبرين أشد العذاب، ويقول ﴿**وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً**﴾[8]؛ ويقول ﴿**إنه لا يحب المستكبرين**﴾[9]؛ ويقول ﴿**فلبئس مثوى المتكبرين**﴾[10].

# وصف الكبر والتواضع في أخلاق الإسلام

## التواضع

والآن أحسب أن بوسعنا أن نشرع في وصف التواضع ووصف عمل المتواضع استناداً إلى ما قدمنا من وصف للكبر ولعمل المتكبر.

إن التواضع الإسلامي لا يمكن أن يتحقق بدون التقبل الراضي للحق، والحرص على موضوعيته المجردة؛ وإن أي تردد في قبول الحقيقة بعد العلم بها والاستيثاق من موضوعيتها لا بد أن ينقل المرء إلى تخوم الكبر المظلمة! فلماذا التردد بعد التبين والتيقن والتوثق؟ لماذا؟! إن التوقف والتريث والفحص، حتى يتحقق العلم، واجب؛ قال تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾**[١١]؛ لكن بعد الفحص والتبين والعلم، لا مكان للتردد في رفض الباطل وحربه، أو قبول الحق والذود عن حياضه، وإلا كنا مقبلين على سفه الحق وغمص الناس، ثم الانقياد للباطل والجور والتحيز المقيت.

**والمتواضع، من جهة أخرى، على حذر دائم من الهوى الذي يضخم له الأمور الحسنة عند النظر إلى نفسه: فهو يعلم علم اليقين أن في قلب كل إنسان ميلاً غلاباً إلى تضخيم قيمة نفسه، ودفن مناقصه وأخطائه في أعماق لا شعوره: بل إن المتواضع ربما نَبّه الآخرين إلى حقيقة ذاته إذا ما لمس منهم أي ميل إلى أن يضفوا عليه صفات ليست له!** من ذلك ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: «**إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**»[١٢]، ومن ذلك أيضاً قول الفاروق عمر رضي الله عنه: «**كل أحد أفقه من عمر**»[١٣].

والمتواضع إذا قاس نفسه بأحد لم يعمد إلى سقط الناس، كما هو دأب المتكبر؛ لأن: «المقايسة النافعة إنما ينبغي أن تكون بالممدوحين جداً»[١٤]، والمتواضع الحق لا يكتفي بقياس قيمته على «الممدوحين جداً»، وإنما هو يحتكم إلى المثل الأعلى نفسه. ولهذا تكون النتيجة — على الأغلب — شعوره العميق بالقصور الأخلاقي، «لأن المرتبة التي تحصل للإنسان من الفضل — وإن كانت عالية — فهي نزر يسير بالإضافة إلى ما هو أكثر منه»[١٥].

وهذا هو التقويم النقدي الموضوعي في أبهى صوره.. التقويم الذي يفتقده الإنسان المعاصر، والذي تعتبره الأخلاق المعاصرة الخاصية الجوهرية التي تميز الإنسان من الحيوان[١٦].

هذا هو وصف التواضع الإسلامي، ووصف أفعال المتواضع المسلم؛ وهو في حسباني وصف واضح محدد القسمات. ومع هذا فإن معنى التواضع قد اختلط اختلاطاً عجيباً في أذهان الكثيرين! ولعل كلاً منا يلمس بنفسه شيئاً من هذا الاختلاط الذي بلغ حد التناقض البين مع حقيقة التواضع في الإسلام.

من ذلك، على سبيل المثال، الظن الشائع بأن تواضع امرئ معناه إنكاره لمميزاته الشخصية وادعاؤه الخلو منها! وهذا يجافي حقيقة التواضع كما عرفناه وكما تعلمناه من الإسلام. وأسوأ من ذلك أن يتوهم الناس أن قوام التواضع أن يتصنع المرء الخلو من كل ميزة، بينما هو في الحقيقة على وعي كامل وشعور واضح بامتلاكه لتلك الميزات التي يدعي أمام الناس الخلو منها!.

**وفي كثير من كتب التراث الفلسفي والصوفي والأدبي اختلط التواضع بالذلة، كما اختلط الكبر بالعزة: وهو خلط لا مسوغ له على الإطلاق، إذا ما تذكرنا جلاء التصور الإسلامي للكبر والتواضع في كتاب الله وسنّة رسوله.** وواجبنا الأول هو فحص هذا التراث، وتصحيح ظنون البعض ممن يكتبون اليوم ويدرّسون، أو لا يكتبون، ولا يدرّسون؛ فالتراث هو المصدر أو المنبع الذي يغذي فكر الأمة ويقوّم وجدانها وثقافتها. ثم علينا بعد ذلك أن نعود إلى السنّة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنستكمل معنى التواضع، ونشاهد تطبيقاته في سلوكه الشريف.

إن **الذلة** في جوهرها تقويم مجحف، متعمد، للنفس؛ والغاية من ورائها إرضاء طرف آخر بإظهار تفوقه الزائف! ومعنى هذا أن الذلة أقرب إلى الكبر منها إلى التواضع، لأنها لون من غمص النفس؛ وغمص النفس غمص على كل حال!.

وأما **العزة** فتعني الرفعة، والمنعة، والشدة، والغلبة[١٧]. وليس في هذا شيء من سفه الحق أو غمص الناس. وفضلاً عن هذا، هناك قرينة أخرى لها دلالتها الحاسمة: فالقرآن الكريم يصف الرسول والمؤمنين بالعزة على سبيل المدح؛ قال تعالى **﴿ أعزة على الكافرين ﴾**[١٨]؛ لكنه لم يصف أحداً بالكبر على سبيل المدح إلا ذات الله تعالى. فلا مسوغ إذن للخلط بين الكبر والعزة. بل إن الكبر يتميز من رذيلة أخرى شديدة الشبه به، وهي **العجب**.

يقول **الإمام الغزالي** إن الكبر يتطلب «متكبراً عليه» بينما العجب لا يستدعي غير المعجب»[١٩]، فوجه المفارقة إذن هو أن فعل المتكبر له مفعول به، أو له ضحية «يغمصها» أو يبخسها قدرها، بينما فعل المعجب «لازم» لا مفعول له؛ فضرر العجب ليس له أثر مباشر. وبعبارة أخرى، الكبر مغالطة مزدوجة في التقويم، تعلي الذات وتحط الآخر؛ والعجب مغالطة مفردة، تعلي الذات دون المساس المباشر بأقدار الآخرين.

لكن من الجلي أن الكبر والعجب كليهما نتاج زائف لتقويم ذاتي مغرض وغير نقدي، أو هما أثران «لجهل الإنسان بمقدار نفسه وظنه أنها على مرتبة عالية من غير أن يكون كذلك»[٢٠].

وربما صُنف المتكبرون أنفسهم إلى فئات، على أساس ظهور أثر الكبر في: العمل وحده، أو القول وحده، أو فيهما جميعاً، أو عدم ظهوره على الإطلاق. فهناك المتكبر المختال الذي يظهر أثر الكبر في فعله؛ وهناك المتكبر الفخور الذي يظهر أثر الكبر في قوله؛ وهناك المتكبر الذي لا يظهر الكبر في فعله ولا في قوله[٢١]!.

وقبل الخوض في نقد هذا التصنيف يهمنا الاستفادة منه في التقدم خطوة أخرى في وصف الكبر؛ فسفه الحق — بحسب هذا التصنيف — ربما يتم بالفعل والعمل والممارسة المحسوسة؛ وربما يتم بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة — وهذا وذاك يستهدف إبطال الحق والتنكيل بأهله والتمكين للباطل والزيف والبهتان.

ولكن كيف يكون الكبر دون أن يظهر له أثره في قول المتكبر أو فعله أو فيهما جميعاً ؟ .

ليس بوسعنا أن نتخيّل كيفية فعل هذا الصنف من المتكبرين . ولعل من الأوفق ، إذا كان لا بد من تصنيف للمتكبرين ، أن نصنفهم إلى : **متكبر فخور ، ومتكبر مختال ، ومتكبر فخور مختال** ؛ على الأساس نفسه السالف الإشارة إليه . لكن من العسير أن يقف الكبر بصاحبه عند مجرد القول دون الفعل ، أو الفعل دون القول ؛ إنه ربما يبدأ بالقول ، لكنه سرعان ما يتورط في العمل أيضاً إذا لم يسعفه القول في تحقيق ما يريد ! . فالتصنيف إذاً له حدوده في النظر وحده ؛ وأما في الواقع المشهود فهناك صنف واحد عام شامل .

**هذا التحليل والتصنيف ، وهذه الدراسات النظرية ، التي تصيب وتخطئ ، وتستقيم ثم تلتوي : وهذا الخلط الذي أشرنا إلى شيء منه ، وسنعرض لأشنع ألوانه وصنوفه فيما يلي ، كل هذا يشير إلى البعد البعيد بين استقامة القرآن والسنّة ، وفلسفة المتفلسفين ممن تناولوا المسألة دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع إلى كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم .**

لقد كان القرآن الكريم حاسماً وواضحاً ؛ ولقد كانت السنّة محددة صريحة في تصوير الكبر والتواضع للمسلمين .

ولم تكتف السنّة بالقول والوصف ، ولكن صاحبها صلوات الله وسلامه عليه جسد القول والوصف في أعمال باهرة وإنجازات رائعة ، لكي يقي البسطاء من المؤمنين غائلة النظر الفلسفي المجرد ومتاهاته ، وهم الغالبية الغالبة التي تبدي تعطشاً روحياً هائلاً إلى حوز أخلاق الإسلام ، لا مجرد الحديث عنها كما هو شأن الكثيرين من أهل البحث والتنقيب ! .

حرصت السنّة الشريفة على ضرب أمثلة عملية للسلوك المتواضع ، من شأنها أن تثبت للمرء ، وللآخرين ، البرء من الكبر ، وامتلاك ناصية التواضع ، وتكون بحكم طبيعتها العملية الحسية من الظهور والبساطة بحيث لا يخطئها أحد من عامة المسلمين .

بينت السنّة أعمالاً تتسم بأنها يدوية بسيطة من تلك التي تناط غالباً بصغار العمال أو الخدم ، كما حددت أقوالاً طيبة حسنة من شأنها أن تعقد الألفة بين المؤمن والحق ، وتباعد بينه وبين سفهه ، وبذلك تربطه بخلق التواضع بآصرة عملية فعلية لا انفصام لها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من حلب شاته ، ورقع قميصه ، وخصف نعله ، وواكل خادمه ، وحمل من سوقه ، فقد برئ من الكبر** »[٢٢] .

وقال أيضاً : « **ثلاث هن رأس التواضع : أن يبدأ (المرء) بالسلام من لقيه ، ويرضى الدون من شرف المجلس ، ويكره الرياء والسمعة** »[٢٣] .

ويقول **أنس** رضي الله عنه ، وهو من كرام الصحابة الذين أسعدوا وسعدوا بسماع وصف الرسول للتواضع وبمشاهدة أدائه الشريف له : « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ، ويشيع الجنازة ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار . وكان يوم قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن من ليف ، وتحته إكاف (برذعة) من ليف** »[٢٤] .

ويقول **أبو سعيد الخدري** رضي الله عنه ، وهو أيضاً من الصفوة الكريمة التي أسعدت وسعدت بسماع الوصف ومشاهدة الأداء : « **إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلف البعير ، ويقم البيت ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم ، ويطحن معه إذا أعيا ؛ وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ؛ وكان يصافح الغني والفقير ، ويسلم مبتدئاً ، ولا يحقر ما دُعي إليه ، ولو إلى حشف من تمر** »[٢٥] .

وروى **الإمام أحمد** أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب دعوة يهودي « إلى خبز وشعير وإهالة سنخة »[٢٦] ــ والإهالة السنخة شحم مذاب متغير الرائحة ! .

ولقد استوعب الصحابة الكرام الذين أسعدوا وسعدوا بسماع الوصف ومشاهدة الأداء هذا الدرس النبوي العظيم في أخلاق الإسلام ، والتزموه بدقة متناهية ؛ فكان **أبو بكر الصديق** رضوان الله عليه يحلب الشاة لجيرانه ؛ وكان **الفاروق عمر** رضي الله عنه يحمل قربة الماء على ظهره ؛ وكان **عثمان بن عفان** ــ وهو يومئذ خليفة ــ يقيل في المسجد ويقوم وأثر الحصباء في جنبه ؛ وكان **علي كرم الله وجهه** يحمل التمر في ملحفة ويأبى أن يحمله عنه غيره ! .

**ولن أحدث القارئ عن أخلاق المسلمين اليوم ، فهو بها عليم ؛ ولن أسأل : أين نحن الآن من أخلاق الإسلام ؟ لأن القارئ سوف يطرح السؤال نفسه ، من تلقاء نفسه ، وسوف يجيب عنه أيضاً ! ولا أحسب أحداً يمكن أن يخطئ في الجواب ، لأن الكل يعيش المأساة ويكتوي بنارها ، ويشارك بنصيب مشكور في كي غيره أيضاً !!** .

لن أخوض في شيء من هذا ، وإنما أتقدم في الموازنات والمقارنات بين فهم السلف الصالح لأخلاق الإسلام ، وفهم المتأخرين قليلاً ! وسنرى الآن الخلط المشين الذي ما كان ليقع لو لم تُهجر مفاهيم القرآن ؛ وسنبصر أثر العكارات الأجنبية التي أُلقي بها في قلب النبع الإسلامي المصفى ، فكانت وراء الكثير من الاضطراب والتشويش .

لقد أغفل المفهوم الإسلامي للتواضع بشكل يثير الحسرة والدهشة ، ونُسي ذلك الاقبال الراضي على الأعمال اليدوية النافعة والأقوال الطيبة الحسنة ، وألفينا من يقول إن ارتداء ثوب مرقع دليل تواضع[٢٧] ، ومن يحسب أن سرور المرء المسلم لكثرة القمل فيما يرتديه من ثياب واغتباطه لتبول شخص آخر عليه من مظاهر التواضع[٢٨] !! .

فكيف تم هذا التدهور أو الانهيار ؟!

لقد أخذ المسلمون يبتعدون رويداً رويداً عن القرآن والسنّة ، ويقتربون بالقدر نفسه من المصادر الأجنبية من وثنية ورهبانية ، ويقبسون منها ، ويخلطون ما يقبسون بما بقي لهم من حقائق الإسلام ، ثم انتهى بهم الأمر إلى التكرس الكامل للوافد الغريب ! .

فلنتتبع بإيجاز معالم هذا الانهيار المريع في فهم الكبر والتواضع في الإسلام .

### الكبر .. في رأي المحاسبي وبعض الأعلام

ونبدأ برجل من أعلام القرن الثالث الهجري ،

# وصف الكبر والتواضع في أخلاق الإسلام

هو **أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي** (توفي سنة ٢٤٣ هـ)، باعتبار أن له: «السبق على جميع الباحثين في عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات، وكلامه جدير بأن يُحكى على وجهه»[٢٩]. فالكبر من أكبر آفات الأعمال ومن أعظم أغوار العبادات؛ ثم إن المفاهيم الإسلامية الصحيحة بدت في كلامه سليمة لم يلحقها التحريف.

عرف المحاسبي الكبر فقال: «إن الكبر يتشعب من العجب والحقد والحسد والرياء، وأصل ذلك من جهل معرفة القدر؛ **فإذا جهل العبد قدره تكبّر**»[٣٠]، والكبر عنده يفضي إلى «رد الحق بعد العلم به»[٣١]، فإذا تذكر المرء «كيف كان بدؤه، وما أصله وفصله ... زال عنه الكبر»[٣٢].

فأصداء الدرس النبوي الكريم تتردد بوضوح لدى المحاسبي. و«**رد الحق بعد العلم به**» شرح لسفه الحق بلغة أخرى؛ ولكن جوهر الكبر هو هو. و«جهل العبد لقدره» هو نفسه غمص الناس، لكن بطريقة غير مباشرة وغير واضحة.

وعند الفضيل بن عياض أن التواضع: «أن تخضع للحق وتنقاد له، وتقبله ممن قاله»[٣٣] وهو نفس المفهوم الإسلامي الصحيح للتواضع، لكن الرجل في مكان آخر يقول إن «من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب»[٣٤]، وهنا يبدأ البعد والتباعد عن وصف القرآن للكبر؛ فإن كلام الفضيل هنا يطالب المسلم، لكي يكون متواضعاً، بأن ينكر كل قيمة دينية أو خلقية لنفسه! والقرآن لم يوجب ذلك، ولا يمكن أن يوجبه، لأنه تصنع زائف مقيت.

وأما **أبو يزيد البسطامي** فيقول بكلام الفضيل، ويمضي قدماً في الابتعاد عن المفهوم الإسلامي الصحيح؛ فعنده أن الرجل يكون متواضعاً، «إذا لم يرَ لنفسه مقالاً ولا حالاً، ولا في الخلق من هو شر منه»[٣٥] فليس على المسلم أن ينكر كل قيمة لنفسه وحسب، وإنما يجب أيضاً أن يعتقد أنه شر الناس!.

و**الإمام الغزالي** يترسم لنفسه اتجاهاً خاصاً يخالف نهج الصوفية الكبار الذين سبقوه ولكنه لا يقترب من نهج الإسلام!.

ونبادر إلى القول إن الغزالي في «**ميزان العمل**» كان لا يزال في طور التكوين. ولعل هذا هو ما يفسر متابعته **لآراء ونظريات أفلاطون وأرسطو الأخلاقية**، لا فيما يتعلق بالكبر والتواضع وحسب، ولكن في الأخلاق بأسرها؛ وهذا من سوء حظ علم الأخلاق!.

إن الغزالي لا يتحدث عن التواضع بوصفه انقياداً للحق وتقويماً موضوعياً للنفس وللآخرين، ولا يصف الكبر بأنه سفه الحق وغمص الناس، ولكنه يصرف اهتمامه إلى إيراد عدد من التعريفات للتواضع، والكبر، والوقار، والعجب، وكبر النفس، وصغر النفس، والتخاسس؛ وفي تعريفاته هذه يلتزم التقسيم الرباعي للفضائل كما أثر عن أفلاطون، ويفترض الصحة الكاملة لنظرية الوسط الأرسطية، تلك التي تقرر أن الفضيلة وسط بين رذيلتين[٣٦].

وكان لا بد أن يخضع التواضع لنظرية الوسط التي افترض الغزالي صحتها؛ من أجل هذا اضطر الغزالي إلى البحث عن وسط وطرفين لكل فضيلة؛ ومن العجيب حقاً أن يكون التواضع عنده طرفاً لا وسطاً، أي رذيلة لا فضيلة! لقد جعل الغزالي «الوقار» هو الوسط، أو الفضيلة، وجعل التواضع رذيلة والكبر رذيلة، بوصفهما طرفين[٣٧].

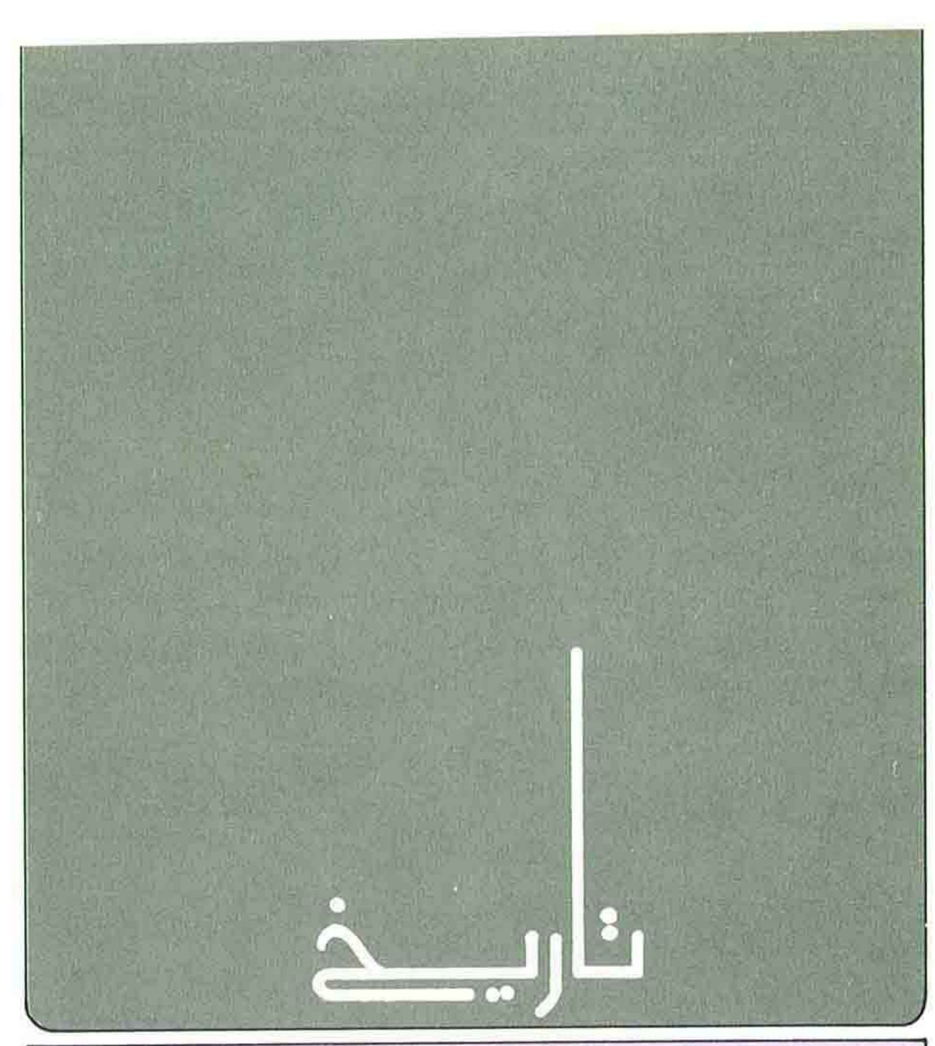
وأخذ الناس عن **الغزالي**، وعن **أحمد بن مسكويه**، وعن **ابن سينا** هذا الاتجاه اليوناني الفلسفي المجافي للحقائق والروح الأخلاقية الإسلامية، وبذلك أُنشئت في تراثنا الأخلاقي ازدواجية أخلاقية: أخلاق فلسفية، وأخلاق إسلامية؛ الأولى مصادرها **سقراط وأفلاطون وأرسطو**، والثانية منابعها **القرآن والسنّة**.

وإلى جانب هذين التيارين الأساسيين، شق تيار ثالث، متأثر بالنزعات الزهدية والرهبانية، طريقه إلى قلوب كثيرة؛ وهذا التيار هو الذي انتهى إلى اعتبار الثياب المرقعة، والسرور بوفرة القمل، والاغتباط بتبول الآخرين على رؤوسنا، من دلائل التواضع!!.

كما انتهى التيار الفلسفي إلى اعتبار التواضع رذيلة مقابلة للكبر! وهكذا على وجه التقريب نُسي المفهوم الصحيح للتواضع الإسلامي بوصفه انقياداً للحق وتقويماً نقدياً للنفس وللآخرين. وإذا بقي بين الناس من يدرك هذا المفهوم على حقيقته، ففي مجال التفسير (لا في مجال الفكر الأخلاقي) حيث يكون المفسر شديد اللصوق والتكرس للتعاليم القرآنية.

**الهوامش**

(١) الإمام البخاري، الأدب المفرد، باب ٢٥١، ورواه مسلم والترمذي بلفظ آخر.
(٢) طاشكبري زاده، مفتاح السعادة، ٣/٤٠٥.
(٣) ابن تيمية، كتاب الإيمان، ص ١٢٩.
(٤) عباس محمود العقاد، عبقرية الصديق، دار الكتاب العربي بيروت (دون تاريخ)، ص ٨٤ ـ ٨٥.
(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١/٢٧٢.
(٦) سورة القصص، الآية ٣٩.
(٧) سورة الأعراف، الآية ١٤٦.
(٨) سورة النساء، الآية ١٧٣.
(٩) سورة النحل، الآية ٢٣.
(١٠) سورة النحل، الآية ٢٩.
(١١) سورة الحجرات، الآية ٦.
(١٢) رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد، ص ٦.
(١٣) رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد، ص ١١٤.
(١٤) ابن رشد، تلخيص الخطابة: المقالة الأولى، ص ١٦.
(١٥) أحمد بن مسكويه، الهوامل والشوامل، ص ٣٠٨.
(١٦) نيكولاي هارتمن، الأخلاق، المقدمة (الطبعة الإنجليزية).
(١٧) ابن سيده، المحكم، ٣٢.
(١٨) سورة المائدة، الآية ٥٤.
(١٩) الإمام الغزالي، الإحياء، ٣/٤٢٥.
(٢٠) الإمام الغزالي، ميزان العمل، ص ٢٧٩.
(٢١) رشيد رضا، تفسير المنار، ٥/٩٥.
(٢٢) علي المتقي الهندي، منتخب كنز العمال، ص ٢٨٩.
(٢٣) علي المتقي الهندي، ص ١٦٠.
(٢٤) ابن ماجة، سنن ابن ماجة.
(٢٥) القشيري، الرسالة، ١/٤٣.
(٢٦) الإمام أحمد، كتاب الزهد، ص ٥.
(٢٧) الجاحظ، البخلاء، ص ٣٨.
(٢٨) القشيري، الرسالة، ١/٤٣٨.
(٢٩) د. عبد الحليم محمود، مقدمة «الرعاية لحقوق الله» للمحاسبي، ص ٣٨.
(٣٠) المحاسبي، الرعاية، ص ٤٥٠.
(٣١) المحاسبي، ص ٤٥٦.
(٣٢) المحاسبي، ص ٤٧٧.
(٣٣) القشيري، الرسالة، ص ١/٤٣٢.
(٣٤) القشيري، ص ١/٤٣٢.
(٣٥) القشيري، ص ١/٤٣٣.
(٣٦) الغزالي، الإحياء، ص ٣/٤٢٥.
(٣٧) الغزالي، ميزان العمل، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.







بقلم : روكس بن زائد العزيزي

**أرى من واجبي أن أصحح وهماً يقع فيه كل من يريد أن يتكلم على النهضة المسرحية في الأردن ، وواجبي هذا ، أعده أمانة علمية ، أنا ملزم بأدائها . لأنني عاصرت هذه النهضة من يوم مولدها ! ..**

فلما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عام ١٩١٨م ، كان في مدينة (**مادبا**) قسيس عربي ، من (**بيت لحم**) ـ أعمال (**فلسطين**) ـ اسمه الأب (**أنطوان الحيحي**) وكان مسؤولا عن الدير في تلك المدينة ، وكان قد تلقى علومه في دير الرهبان (**السالزيان**) يجيد العربية ، والإيطالية ، واللاتينية ، ومارس فن التمثيل ، فصرف همه إلى إحياء المدرسة ، التي كان **الترك العثمانيون** قد استولوا عليها ، هي والدير والكنيسة لمصلحة الجيش ، واختار لهذه المدرسة معلمين من أبناء (مادبا) كنت واحداً منهم ؛ ولكي يثير في الناس الاهتمام بالمدرسة اختار من بين الشبان نخبة ، لقنهم مسرحية جدية اسمها (**الملاك والشيطان**) ، **وعلم دور الملاك لشاب اسمه (ميخائيل الطوال)** ، ودور الشيطان لشاب اسمه (**يوسف الصوالحة**) ، وكانت المسرحية من ترجمته عن الإيطالية .

واختار نخبة ثانية لتمثيل مسرحية هزلية اسمها (**هات الكاوي يا سعيد**) ، غرضها تمجيد العلم ، واكتشاف ادعاء المدعين ، وقد بذل جهداً لإتقان المسرحيتين . وأقام المسرح في ساحة الدير ، وزخرفه بأقمشة براقة ، جلبت كل أهل المدينة والمجاورين لها من وجهاء العربان . وكان عرضهما مجاناً . فنالا استحسان الجميع ، وكانا خير دعاية للمدرسة .

* * *

وبعدها مُثِّلت رواية اسمها (**فيلسوف**) ، لعلها من تأليف هذا القسيس ، ولما كان ذكر الحق واجباً ، فأرى من واجبي أن أقول إن هذا القسيس أحدث نهضة في مادبا فأنشأ جمعية دعاها (**جمعية الناشئة العربية الكاثوليكية**) كان من أهدافها :

أ ـ تعليم الذين فاتهم التعلم ـ ليلاً ـ اللغة العربية ، والإنجليزية والفرنسية .

ب ـ تعليم الموسيقى للراغبين فيها .

جـ ـ تعليم الحساب .

د ـ التمثيل .

هـ ـ التدريب على الخطابة .

وقد نجحت هذه الجمعية نجاحاً باهراً ،

وأكثرت من تمثيل الروايات . وكانت هذه الجمعية تعتمد في ميزانيتها على التبرعات والهبات التي تُجمع من أبناء **عشيرة العزيزات** ، في كل مناسبة ، كالأعراس ، وولادة الأطفال ، والأعياد ، والعودة من السفر .

★ ★ ★

وقد كان عليَّ أن أساعد هذا القسيس بعد أن عينت معلماً للعربية والفرنسية عام ١٩١٨ م ، وكان عليَّ أن أواصل الحركة المسرحية ، **فكنت مؤلفاً ، وممثلاً ، ومخرجاً** ، من غير أن أعرف معنى الإخراج ، فقد كنت أختار الرواية ، وأوزع أدوارها على الشبان ، الذين هم في مثل سني يومذاك ، أو أكبر مني قليلاً ، وأكتب لكل واحد دوره ، وأضبطه بالشكل التام ، وأختار لنفسي دور البطل في كل رواية . وأُلقّن الممثلين أدوارهم ، فلا يعي الممثلون أدوارهم ، إلا وأكون قد وعيت الرواية كلها غيباً ، فأفادني ذلك فوائد جمة .

★ ★ ★

ولما تحول الأب ( الحيحي ) إلى عمل آخر في ( فلسطين ) حل محله قسيس عربي نشيط آخر اسمه الأب ( **زكريا الشوملي** ) ، وكان اهتمامه بالمدرسة وبالجمعية ، وبالتمثيل ، لا يقل عن اهتمام سلفه ، فاستمر عملي في ( مادبا ) إلى عام ١٩٢٥ م ، حرصت ـ في هذه المدة ـ من عام ١٩١٨ م ، إلى عام ١٩٢٥ م ، على أن أجعل المدرسة تمثل مسرحيتين معروفتين ، عدا المسرحيات ذات الفصل الواحد ، التي كنت أضعها ونمثلها خارج مسرح المدرسة ، في بيوت الأصدقاء ، لأن الروايات الغرامية ، لا يسمح بتمثيلها على مسرح المدرسة .

★ ★ ★

اذكر الروايات التي قمنا بتمثيلها :

١ ـ صلاح الدين .
٢ ـ الرشيد والبرامكة .
٣ ـ في سبيل التاج .
٤ ـ ابن وائل .
٥ ـ يوليوس قيصر .
٦ ـ تاجر البندقية ، وكان الغرض منها إظهار الجشع اليهودي .
٧ ـ الديماميس ، وهي رواية تمثل ظهور النصرانية ، والاضطهاد الذي حل بأتباع هذا الدين في رومية .
٨ ـ الأميران الأسيران .
٩ ـ قاتل أخيه .

★ ★ ★

وفي سنة ١٩٢٥ م ، نقلت إلى **مدينة ( السلط )** من أعمال الأردن فواصلت اهتمامي بالتمثيل ، وقد سهل عليَّ أن أمارس هذا الفن بعد أن مارسته في ( مادبا ) من عام ١٩١٨ م ، إلى عام ١٩٢٥ م ، فأعدت الروايات التي مثلت في ( مادبا ) ، ومما أذكره ، ولا أنساه ، أنني عندما كنت على المسرح أمثل دور ( **صلاح الدين** ) أُعلمت أن بعض الحسدة ، قد أغروا ثلاثة من الممثلين أن يتركوا أدوارهم ، وكان المسرح غاصاً بالحضور من علية القوم . وكان لحسن حظي ، أنهم من ذوي الأدوار الثانوية لا يكشفون صلاح الدين في موقف ، فكنت بعد أداء دوري أُغيِّر ملابسي وأقوم بما يمكن القيام به ، والغي ما يمكن إلغاؤه من غير أن يشعر أحد بما حدث ! .

★ ★ ★

ولما نقلت إلى ( **عجلون** ) عام ١٩٣٢ م ، لم أنس واجبي نحو المسرح ، فأنشأت أنا والدكتور ( **يعقوب برونج** ) والمعلم ( **بشارة مزي** ) من **رام الله ـ فلسطين ـ** و ( **عيد المصري** ) من ( مادبا ) و ( **جميل مسعود** ) من ( **عنجرة** ) ـ الأردن ـ ( نادي عكاظ ) .

وكان من أهدافه :

أ ـ الرحلات العلمية .

ب ـ التمثيل .

جـ ـ تعليم الفنون اليدوية ، من حفر في الخشب ، وصنع الأطر .

د ـ وإلقاء الخطب .

هـ ـ والمحاضرات .

و ـ والمطالعة لهذا أنشئت في النادي مكتبة جيدة ، وكان الذي ينفق على هذا النادي **الدكتور ( يعقوب برونج )** من ريع مقالاته التي كان ينشرها في صحيفة ( هولندية ) في الشهر مرتين ! .

★ ★ ★

وقد أرغمني الاهتمام بالمسرح ، أن أضع مسرحيات :

أ ـ ذات فصل واحد ، مثل ( العاشقان )

مثلت ، مخطوطة .

ب ــ المتمردة ، ذات فصل واحد ، مثلت ، مطبوعة .

ج ــ سكرة ، ذات فصل واحد ، مثلت ، وحولت إلى مسلسل تليفزيوني .

د ــ صقر قريش ، ذات ثلاثة فصول ، مثلت ، مخطوطة .

هـ ــ أبو عبد الله الصغير ، ذات ثلاثة فصول ، مثلت ، مخطوطة .

و ــ الأرض أولا ، ذات خمسة فصول ، طبعت في مجلة العرفان ، وحولت مسلسلاً .

ومما يجب ذكره ، أن هذه الروايات مثلت ما بين أعوام ١٩٣٢ ــ ١٩٣٧ م .

* * *

ولما نقلت إلى ( عمان ) عام ١٩٣٧ م ، واصلت التمثيل وكان الممثلون يُختارون من بين الطلاب ، ولم يكن للأنثى حضور في كل هذه الروايات ، حتى رواية ( **العاشقان** ) مثل دور الفتاة فيها شاب ، فأحرج بسبب ذلك ، لأن رفاقه كانوا ينادونه المعشوقة ! .

حقاً ، إنه لم يكن هناك مسرح أو جمهور مسرحي بالمعنى الصحيح ، لكننا كنا نمثل هواة ، فيتقاطر الناس جموعاً غفيرة ، من القرى المجاورة ، لأن الروايات في ( مادبا ) ، وفي ( عجلون ) كانت تمثل في الهواء الطلق ، وكان التمثيل مجاناً ، لأن الغرض منه الدعاية للمدرسة .

وكان ــ غالباً ــ بعد كل رواية جدية فصل هزلي للترفيه .

وأذكر أننا لما مثلنا رواية ( **ابن وائل** ) في ( عجلون ) من أعمال الأردن ؛ جعلنا التمثيل في مضارب ربطنا حولها الخيل الأصائل ، وكان يقوم بدور الفداوي شاب زنجي ، فقال لي مستشرق حضر الرواية : « ما رأيت تمثيلاً طبيعياً أبدع من هذا ، شكلاً ومضموناً ! » .

* * *

وكنا إذا احتجنا إلى تمثال في الرواية ، كرواية ( **في سبيل التاج** ) ورواية ( **يوليوس قيصر** ) جعلنا الممثل يقوم مقام التمثال ، فكان الحضور يعجبون من صبر الممثلين ، وأذكر من هؤلاء الذين نصبوا تماثيل :

١ ــ **المرحوم عيد المصري** ــ من العزيزات ــ نصب تمثالا لـ ( يوليوس قيصر ) في ( عجلون ) من أعمال الأردن .

٢ ــ **وعيسى الغيشان** ــ من العزيزات ــ نصب تمثالا لـ ( برانكومير ) في ( السلط ) من أعمال الأردن .

* * *

قد يسأل سائل عن المصاعب التي لقيتها ، حقاً ، إن المصاعب كانت كثيرة وكلها بسبب ضيق العطن الفكري ، أو بسبب المنافسة ، أو بسبب تدخل الأهل ، الذين كانوا يطلبون مني أن أعين أبناءهم في أدوار الملوك والأمراء .

وقد استمر التمثيل في المدارس ، إلى أن وقعت **الحرب العالمية الثانية** عام ١٩٣٩ م .

فخمل المسرح ، وتوقف ما عدا بعض المسرحيات ، التي كان الهواة في الأردن يمثلونها .

إلى أن نشأ **المسرح الأردني** الرسمي سنة ١٩٦٤ م ، فأخذ الممثلون يمارسون نشاطهم على **مسرح دائرة الثقافة والفنون** ، والجامعة الأردنية . فأخذت المرأة تشارك في المسرح ، وهي خائفة من مواجهة الجمهور ، الذي لم يألف هذه البادرة . لأن الجمهور نظر إلى المرأة على المسرح ، بشيء غير قليل من الاستهجان ؛ وعدم الرضى ، لكن عامل التطور ، أخذ يطبّع الناس ويمرنهم على مواجهة الواقع ، إلى أن أخذ أهل الفتاة يرضون عن مشاركتها في الأعمال المسرحية ، **في الإذاعة** ، **وفي التليفزيون** ، **وفي المسرح** نفسه . وأخذوا يشجعون صاحبات المواهب على ممارسة التمثيل واحترافه ! .

* * *

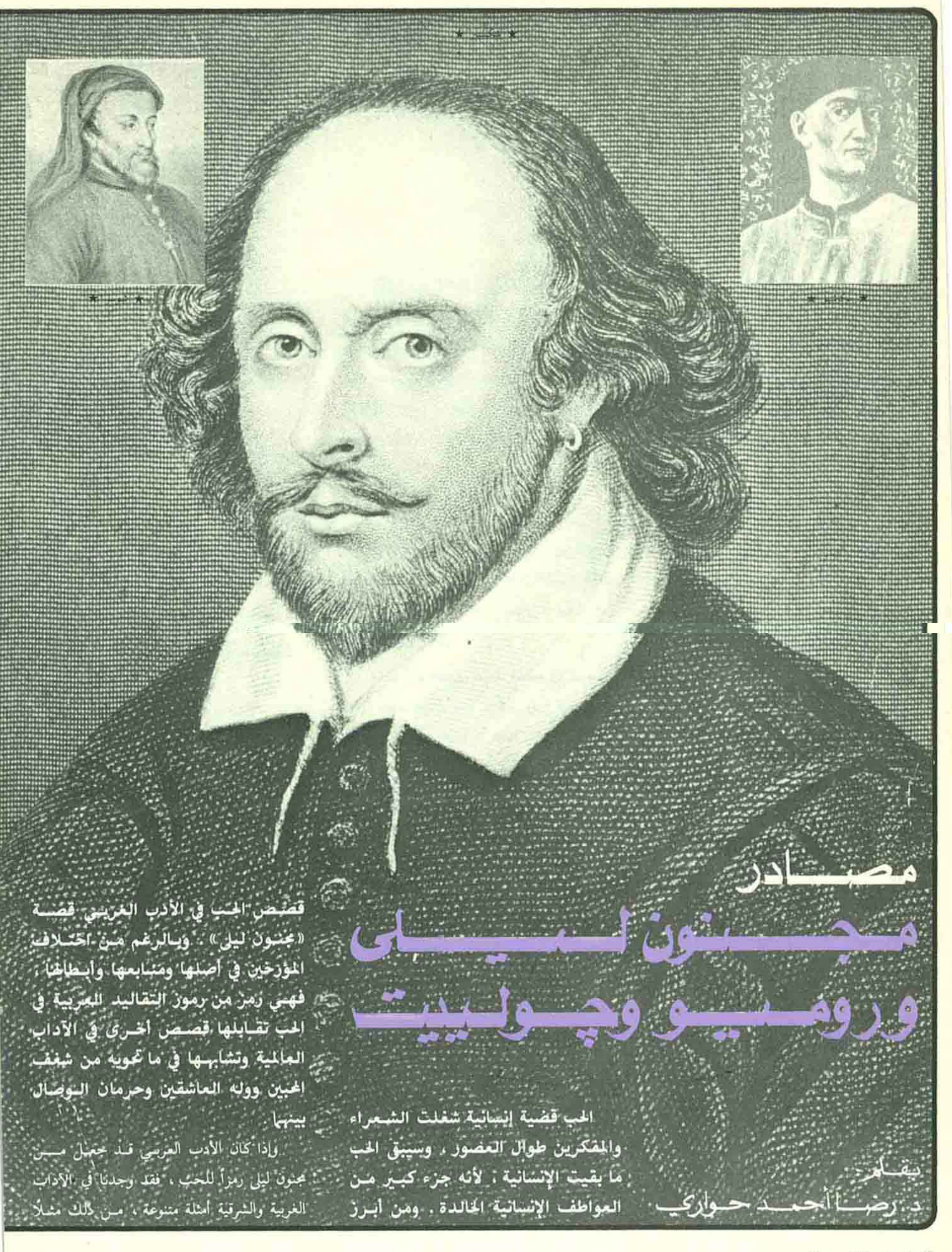
مع هذا فنستطيع أن نقول : « إن التفرغ للمسرح بين الفتيات نادر ، لأن التمثيل ــ في ديارنا ــ لم يضمن ــ إلى الآن ــ للممثل حياة راضية .

وعلى أي حال ، فإن اشتغال المرأة في المسرح ، ابتدأ في ضفة الأردن الغربية ، قبله في الضفة الشرقية ، وسبب ذلك أن الإرساليات التبشيرية بدأت أعمالها في الضفة الغربية قبل أن تباشرها في شرقي الأردن .

* * *

وعلى الرغم من كل المصاعب التي تواجه المسرح ، وذوي الفن ، فإن الاتجاه نحو المسرح في الأردن ، يبشر بالخير الكثير .





مصادر

# مجنون ليلى وروميو وچولييت


بقلم
د. رضا أحمد حواري


الحب قضية إنسانية شغلت الشعراء والمفكرين طوال العصور، وسيبقى الحب ما بقيت الإنسانية، لأنه جزء كبير من العواطف الإنسانية الخالدة. ومن أبرز قصص الحب في الأدب العربي قصة «مجنون ليلى». وبالرغم من اختلاف المؤرخين في أصلها ومنابعها وأبطالها، فهي رمز من رموز التقاليد العربية في الحب تقابلها قصص أخرى في الآداب العالمية وتشابهها في ما تحويه من شغف المحبين ووله العاشقين وحرمان الوصال بينهما.

وإذا كان الأدب العربي قد جعل من مجنون ليلى رمزاً للحب، فقد وجدنا في الآداب الغربية والشرقية أمثلة متنوعة، من ذلك مثلاً

**قصــة روميــو وجوليـيت** في الأدب الإنجليزي. والـذي يهمنـا هنـا هـو أن نـنوّه بـبعض المصادر الهامة والقيّمة التي قد تكون بها **قصــة روميــو وجوليـيت** في الأدب الإنجليزي. والـذي يهمنـا هنـا هـو أن نـنوّه بـبعض المصادر الهامة والقيّمة التي قد تكون بها فائدة للباحثين في حقول تـأثر الآداب الإنسـانية بـبعضها البعض، كما أنها قد تريهم بعض معالم الطريق الطويل الـذي اتبعتـه قصـة «البـطلين اللذين يموتان مـن أجـل حبهما»، سـواء أكان ذلك في أدب الشرق أم في أدب الغرب، وبـدءً من ملاحظات **أفلاطون** في هذا الشأن، تلك الملاحظات الـتي يمـكن الاطـلاع عليهـا في كتابه الـ ( Symposium ).

وبإمكان القارئ أن يستشعر طول الـطريق الذي قطعته رحلة ضحيتي حبهما عند العرب إلى أن رست في الغرب بشكل أو بآخر (وهـو أمـر يحتاج إلى الإثبات بدليل قاطع)، إذا ما تذكرنا أن نقطة البدء، كما أسلفت أعلاه، سحيقة في القدم، وأنـنا إذا جئنا إلى القصة العربية لمجنون ليلى عرّجنا عليها في **كتـاب الأغـاني** دون أن نـنسى أنها في عذريتها تـتشابه في مـظاهر معينـة مع ما لـدى **الإغـريق**، ومـع **قـصص الحب العذري عند العرب**، كما هـي الحال مثـلاً في قصة «**وضاح وأم البنين**» الـتي يـرد لهـا ذكر في كتاب **الأعـلام وفي كتـاب الأغـاني** أيضاً.

وإلى جانب أشكال قصة ليلى والمجنون في الأدب العربـي هنـاك أشـكال أخــرى لنفس القصـة في الأدب الفـارسي وفي الأدب الـتركي أيضاً، وكلها نشأت وأسـاسها الأصـل العربي وعنه ترجمت للفارسية أو التركية. ومن المـمكن أن تكون هذه القصـص قد ترجمت بـدورها إلى اللغات الأوروبيـة، غـير أن تـرجمات القصـة العربية وأشكالها الـتي آلـت إليهـا في الأدبـين الفارسي والـتركي، أصـولا وتـرجمات، سـواء أكان ذلك قبل عصر النهضة أم في ما تلاه مـن عصور، ربما تحوي البرهان على تأثير قصـة ليلى ومجنون في أدب الغرب نتيجـة لاطلاع الغـرب عليها بشكل أو بآخر. وما لم يجر إثبات هـذه النقطة ينبغي الحذر من إطلاق الحكم بأن أصل روميــو وجوليـيت عربـي أو شرقي، وأن الشرق هو الذي أثر في الغرب، وبشكل أكيـد، وأن قصة ليلى ومجنون هـي الأصل وما عـداها نسـخ منها أو صور عنها. فحيث لا نملك إثباتاً قاطعاً حـول أثـر القصـص العربيـة في أدب الغــرب ينبغي الحديث عن تشابهات لا تأثيرات مباشرة أو عن توارد في خـواطر الأديـب الإنسـان أنـى كان، أو عن إمكان وقوع الحـوادث نفسـها في حياة الإنسان سواء أكان شرقياً أم غربياً.

## في الأدب الفارسي

على أية حال، فإن اللغة الفارسية المعروفة بطواعيتها للشعر وجدت في قصة «ليلى ومجنون» قصة حب مناسبة كان من نتيجتهـا أن نسـجت عدة قصـص رائعة حول هذا الموضوع في الأدب الفارسي، حتى ليمكن القول إن هنالك أكثر من أربعين قصة حول هذا الموضوع بالذات. وأهـم من كتب في هذا الصدد بـالفارسية (**نـظامي**) المتوفى حوالي عام (١٢٠٤م) و (**الدهلاوي**) المتوفى عام ١٣٢٥م، و (**جامي**) الذي عـاش من ١٤١٤ ـ ١٤٩٣م، و (هاتفي) المتوفى عـام ١٥٢١م. وتعتبر قصة «ليلى ومجنون» التي كتبها (نظامي) أقدم قصة تكتب حول هذا المـوضـوع في الأدب الفارسي.

وأهمية (نظامي) هنا تكمن في أن كثيراً مـن كتّـاب الأدب التركي الكلاسيكي اعتبروا قصتـه عن ليلى ومجـنون مصـدرهم فـاقتبسوا منها على نطاق واسع. ويمكن القـول إن (نـظامي) كان بشكل عام يعـرف كل شيء عـن هـذه القصـة بالعربية. وفي موت مجنون بجوار قـبر ليلى الـذي كان يعوده بين الحـين والآخر (طبقـاً لـرواية نظامي) ما يذكرنا بقصة أخرى عـربية مشـابهة لهـا في نهـايتها، ألا وهـي **قصـة** «وضـاح وأم البنين»[1] التي أشرت إليها أعـلاه، والـتي كنت قد اطلعت عليها في المكتبة الملـكية في باريس في مخطوطة لـديوان الصـبابة الأرقـام (١٤٦١) و (١٤٦٢).

## في الأدب التركي

وأمّا أهمية (جامي) الخاصة في هذا المضمار فهـي أنه ضمّن كتـابه عـن ليلى والمجنـون جميع القصـص العربيـة التي نسـجت حـول قصتهـا. أمّا معظم الذين كتبـوا عـن «ليلى ومجنـون» في الأدب التركي فقد تأثروا بهؤلاء الأدبـاء الفـرس الأربعة واستوحوا الموضوع منهـم، وإن كان كل منهم قد احتفـظ بشخصيته الفـردية المتميـزة. فهناك حوالي ثلاثين قصة ألـفت بـالتركية حـول قصة «ليلى ومجنون» منذ القرن الخـامس عشر، إلا أنه لم يبق منهـا الآن سـوى (٢٠) **قصـة**، أقدمها في **الأدب العثماني** قصة (**شـاهـدي**) (١٤٧٩م) وأقدمها في **الأدب الشاقاني** قصة (**علي شـيرنوائي**) الـذي عـاش مـن (١٤٤١ ـ ١٥٠١م).

## تأثير الأدب الأندلسي

وإذا انتقلت مصادرنا إلى الأندلس فـلا بـد من أن نعرج على «**طوق الحمامة**» **لابن حزم** وعلى أثــره في أعمال ( Boccaccio ) وخـاصة كتــابيه ( Deccameron ) و ( Filostrato ). ولا يشك أحـد في تـأثير **بـوكاشيو** في شـعر ( Chaucer ) الملقب بأبـي الشـعر الإنجليزي، وخاصة في ما يعـرف في شعره بـاسم «**حـب البلاط**» ( Courtly Love ) وفي ما يعرف أيضاً بقصة (**تشـوسر**) الـذائعة الصيـت ( Troilus and Criseyde ) وهـي القصيـدة الـتي تـوصلنا إلى **شكسبير**، إذ لا نـنسى أن شكسبير لم ينـج من تأثيرها عليـه، فـكتب مسرحيتـه الشـهيرة بنفس العنـوان ( Troilus and Cressida ).

وإذا كانـت جملة التـأثيرات في مسرحيـة (شكسبير) المستقاة مـن قصـيدة (تشـوسر) لا جدال فيها، فإنه لا جدال في أن (شكسبير) لم يتورع يوماً ولم يـتردد في الأخـذ بـإسهاب مـما يريد من أية مصادر كانـت تقع عليهـا يـده، مقتبساً منها أحياناً ما يريد كلمة كلمـة، سـواء أكان ذلك مــن (**بلـوتارخ**) أو مــن

(**هولنشد**) أو غيرهما من المصادر، وما وصف **كليوباترة** على ظهر زورقها في آسيا الصغرى، وهي في انتظار (**أنطوني**)، (ذلك الوصف الذي هو عبارة عن مجرد ترتيب لكلمات النص النثري الذي وقع عليه في كتاب بلوتارخ ثم حوله إلى شعر جميل)، لأمر معروف وفيه دليل كاف على عادة (شكسبير) في النقل عن غيره وهي عادة يتبناها في أكثر مسرحياته، حين تتاح له فرصة الاطلاع على مصدر يخدم أغراضه.

والمصدر المباشر الذي التهمه (شكسبير) ليصبح جزءاً جوهرياً من مسرحيته «روميو وجوليت»، هو القصيدة المعروفة بعنوان (The Tragicall Historye of Romeus and Juliet, written first in Italian by Bandello, and now (1562) in English by Ar. Br.).

إن (Ar. Br.) مؤلف هذه القصيدة، هو (Arthur Brooke)، وقصيدته تبلغ ما يزيد عن ثلاثة آلاف بيت. ويبدو أن (شكسبير) كان يحفظها عن ظهر قلب، لأن مسرحيته «روميو وجوليت» تتبع نص قصيدة (**بروك**) ليس فقط فيما يتعلق بالأحداث بل أيضاً في الكلمة والتعبير في غالب الأحيان.

بيد أن تاريخ مأساة من هم أشباه «روميو وجوليت» متناه في القدم وهو أقدم من قصيدة (بروك) التي استند إليها (شكسبير) وأقدم من قصة (Bandello) النثرية التي استند إليها (بروك) بعد ظهورها عام ١٥٥٤م. إلا أن الجدير بالذكر هو أن (بروك) زاد على قصة (**باندلّو**) **بأن أضاف إليها** حوادث أخرى هامة من نسخة أخرى للقصة بالفرنسية لمؤلف يدعى (Boaistuau)، من بينها حادثة استعمال البطلة لجرعة الدواء التي تسهل لها الهروب من الزواج غير المرغوب فيه والمفروض عليها. ومن المعروف أن هذه الحادثة بالذات موغلة في القدم، فهي، كما نعلم، موجودة عند المؤلف اليوناني (Xenophon of Ephesus). كما أن اسمي العائلتين اللتين ينتمي إليهما «روميو وجوليت» يردان في كتاب (**دانتي**) المعروف باسم (Purgatorio).

**ومهما يكن من أمر فإن قصة «روميو وجوليت» بكل خطوطها الأساسية كانت قد وردت لأول مرة في قصة عنوانها (Il Novello) كانت بدورها قد ظهرت بتاريخ ١٤٧٦م، للكاتب (Masuccio Salerintano)، الذي يدين بدين كبير لبوكاشيو.**

وبعد (٥٠) عاماً ظهرت القصة بشكل جديد بعد أن أعاد كتابتها (Luigi da Porto). ويبدو أن هذا الأخير هو الذي ابتدع أسماء معظم الشخصيات الرئيسية، قبل أن تنتقل القصة إلى كاتب يدعى (Sevin) وهو أول كاتب ألبس القصة لباساً فرنسياً في عام ١٥٤٢م. وقد تأثر هذا الكاتب بدوره ببوكاشيو، إذ إنه تبنى بعض تفصيلات قصته من كتاب بوكاشيو المسمى (Filostrato)، وهو الكتاب الذي كان بدوره مصدر قصيدة (تشوسر) الشهيرة (Troilus and Criseyde). ونحن هنا في غنى عن التذكير بأن هناك مرحلة في حياة (تشوسر) قائمة بذاتها تدعى بالمرحلة الإيطالية، وهي مرحلة تشير إلى تأثير إيطاليا وأدبها في حياة (تشوسر) وشعره.

وليس من شك في أن (شكسبير) يعرف قصيدة (تشوسر) هذه، وليس من شك أيضاً في أن (بروك) اقتبس منها. وهكذا فإن أعظم قصيدتي حب في اللغة الإنجليزية اتحدتا والتحمتا مضاعفاً في مسرحية «روميو وجوليت».

على أية حال، فبعد خمس سنوات من ظهور قصيدة (بروك) ظهرت ترجمة للقصة من الفرنسية، فقد ترجم (William Painter) قصيدة (Boaistuau) نثراً إلى الإنجليزية وضمنها كتابه المسمى (Palace of Pleasure) عام ١٥٦٧م. ومن المحتمل أن شكسبير قرأ كتاب (Painter)، كما أن من المحتمل أنه استعمل أيضاً مسرحية ضائعة ومفقودة حتى الآن حول هذا الموضوع، وهو أمر يذكره (بروك) في مقدمة قصيدته، مع أنه لا يذكر ما إذا كانت هذه المسرحية بالإنجليزية أم باللاتينية.

وهكذا نرى باختصار الحجم والتعقيد اللذين عليهما مصادر القصص حول مأساة «روميو وجوليت»، وما كانت، وما زالت عليه، أسطورة هذين المحبين من مدينة «فيرونا الجميلة»، وهي الأسطورة التي كانت حين تلقفها شكسبير من أعظم القصص الأوروبية انتشاراً وشهرة. وغني عن القول إن ما أضافه (شكسبير) إلى مسرحيته وما يميزها عن القصص قبلها هو أنه جعلها عنيفة الدرامية، بحيث يستغرق زمنها بضعة أيام فقط، مما يمثل محاولة منه لجعل القارئ يشعر بحتمية المأساة التي لا ترد. ومن أجل دراسة شاملة لمصادر هذه المسرحية يمكن الاستعانة بالإضافة إلى ما سبق بالكتاب التالي: Olin H. Moore, **The Legend of Romeo and Juliet**, (Columbus, Ohio, 1950).

وكذلك يمكن الاستفادة من مقال للكاتب H. B. Charlton في سلسلة **Proceedings of the British Academy**, (1939), PP 151 FF.

وكذلك من الملاحظات التي يوردها G. A. Bonnard في مجلة **Review of English Studies**, New Series, Vol. 11 (1951), PP 319 FF.

**ومن هذه الدراسة الموجزة تتبدى لنا أهمية المصادر التي يجب أن تنبني عليها أية دراسة مقارنة لأصول قصتي «ليلى ومجنون» و «روميو وجوليت» في نطاق تأثر الآداب الإنسانية ببعضها البعض، كما تتبدى لنا أيضاً سعة الحقل واللغات التي بها مصادره، تلك المصادر والأصول التي لا بد وأن يكمن فيها الدليل القاطع على ارتحال «ليلى ومجنون» إلى الغرب، وقبل حصولنا على هذا الدليل لا بد من التحذير من إطلاق الحكم بأن أرض «روميو وجوليت» مدينة حتماً لأرض الصباح.**

الهوامش

(١) انظر البحث الذي نشرته حول هذه القصة في مجلة «**المنهل**» (الجزء الأول والثاني) المجلد ٣٣، فبراير – مارس (شباط – آذار) ومارس – أبريل (آذار – نيسان) ١٩٧٢م. تحت عنوان: «الكاتب الفرنسي ستندال والشاعر الإنجليزي جيمس تومسون وديوان الصبابة لابن أبي حجلة».

# قاضي الشعراء
# زهير بن أبي سُلمى

بقلم: د. ڤيكتور الكك

ولد زهير بن أبي سُلمى في حدود السنة الثلاثين والخمسمائة للميلاد في مضارب **قبيلة غطفان**، وكان والده قد هاجر إليها وأصهر إلى إحدى أسرها، لأذيّة لحقته من **قبيلته مزينة**. فنشأ زهير في غطفان وتزوج منها، ومدح ساداتها، مما جعل بعض الرواة والنسّابين يشكون في مزنيَّته.



وفي غطفان رزق زهير بابنين شاعرين ذكرا في مجاميع الأدب، هما: **كعب وبُجَير** اللذان دخلا في الإسلام دون والدهما الذي تُرجَّح وفاته، على الرغم من عمره، قبيل الدعوة الإسلامية.

نشأ زهير في أسرة تقرض الشعر وتكلف به: **والده أبو سُلمى ربيعة، أوس بن حجر زوج أمّه** الذي روى له شاعرنا، خاله **بشامة بن الغدير الغطفاني، اختاه سلمى والخنساء**. جميع هؤلاء نثروا حوله جواً من الشعر ملائماً وحافزاً.

ثم تفرَّعت من بيته الخاص دوحة شعر ثانية كان قوامها كعب وبجير ابناه، **وعقبة بن كعب** المعروف **بالمضرب** (حفيده)، **والعوام بن عقبة بن كعب بن زهير ابن حفيده!..**

## شخصية الحكيم: قاضي الشعراء

اشتهر زهير بالرصانة والتفكير المنطقي الهادئ شأن «المصلحين» الاجتماعيين الموزونين. فكانت رويَّته «تزن الجبال رزانة» وضربت الأمثال برجاحة عقله وحسن تصرُّفه في القول والعمل معاً. فنسب إليه الرواة والنقاد القصائد الحوليَّات، زاعمين أنه **كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويثقّفها في أربعة، ويعرضها على أهل الشعر في أربعة أخرى**. وكان زهير، لما سبق ذكره من رويّة وبعد نظر، لا يمدح أحداً إلا بما فيه. فالكذب والمبالغة اللذان نجدهما عند **النابغة الذبياني**، وفي أشعار العباسيين بخاصة، لم يَصِما شعره بعيب. وإذا جنحت عاطفته أحياناً فاندفع، وقف عقله يقودها، وقوله في «**هرم بن سنان**» شاهد بذلك حيث أنشد:

**لو نال حيٌّ من الدنيا بمنزلةٍ**
**وسطَ السماءِ لنالت كفُّه الأفقا!**

يروي «**ابن رشيق القيرواني**» أن الأقدمين لقبوه «**قاضي**

به في حياته الطويلة ، فينصح بالمصانعة قائلاً :

**ومن لا يصانعْ في أمور كثيرة**
**يُضرَّسْ بأنيابٍ ويوطأ بمنسم**

والمصانعة عبارة عن حسن التصرُّف ، ولين الجانب ، والمداراة للسلوك بين أفراد المجتمع الإنساني . وهي ، إن لم تجنح إلى الخبث والرياء ، من الفضائل الكبرى التي بها تستقيم علاقات الناس . فضلاً عن أن الإنسان يبلغ بها أحياناً ما لا يبلغه بفظاظة الطباع والتفرُّد في الرأي .

إلا أن زهيراً لا يلبث أن يعرض لحكمة جاهلية المنبت تقوم على رابطة الدم ، وهي دعوته إلى الكرم في ذوي القربى :

**ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلهِ**
**على قومهِ يُستغن عنه ويُذمَمِ**

لكنه لا يوصد باب المعروف دون البعداء ، مشترطاً فيه أن يكون في مستحقيه :

**ومن يجعلِ المعروفَ في غيرِ أهلهِ**
**يكن حمده ذماً عليه ويندم!**

ويتضح صدى ذلك في قول **المتنبي :**

**إذا أنت أكرمت الكريمَ ملكتَهُ**
**وإن أنت أكرمت اللئيمَ تمرّدا**

والناس ، في نظر زهير ، لا يحترمون إلا من كان أهلاً للاحترام . لأنّ التوقير لا يُفرَضُ على الناس فرضاً ، إذا لم يكن ثمة ما يبرّره :

**ومن يغتربْ يحسبْ عدوًّا صديقه**
**ومن لا يكرِّم نفسه لا يكرَّم**

إلا أن صاحبنا يميل بعد ذلك ، مع الجاهلية حيث تميل قائلاً :

**ومن لا يَذد عن حوضهِ بسلاحهِ**
**يهدَّم ، ومن لا يظلم الناس يُظلم**

فنستغرب منه هذا القول ، ولا سيما أنه ، في نظرنا ، مثال للرجل العاقل الموزون .لكننا ندرك أن الإنسان ابن زمانه ومكانه . فمهما سما بأفكاره ، لا بدّ له من أن يتأثر بمحيطه ، والجاهلية تقدّس القوة لأنها « العدالة » التي يلجأ إليها المرء لحفظ كيانه وإثبات حقه .

ويختم زهير معلقته داعياً إلى فضيلة **الاقتصاد في الكلام** ، لأن سلامة الإنسان في حفظ اللسان ، كما جاء عن السلف ، فيقول :

**ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ**
**وإن خالها تخفى على الناس تُعلم**
**وكائن ترى من صامتٍ لك معجبٍ**
**زيادتُه أو نقصه في التكلُّم**
**لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده**
**فلم يبق إلا صورةُ اللحم والدم**
**وان سفاه الشيخ لا حِلمَ بعده**
**وانَّ الفتى بعد السفاهة يحلم**

والحقيقة أنَّ الإنسان كالصندوق المقفل ، لا تُعرَف حقيقته إلا إذا فتح فاه متكلّماً . وكم من مخلوق مخبره غير مظهره ، كالطبل المنفوخ الذي جاء ذكره في «**كليلة ودمنة**» . فإذا لم يكن للإنسان من الإمكانات العقلية ما يؤهله للكلام فليروّض نفسه على السكوت معتبراً بقول الشاعر :

**الصمت زين والسكوت سلامة**
**فإذا نطقتَ فلا تكن مكثارا**

هذا مجمل القول في آراء قاضي الشعراء . وربما لاحظت من سياق بحثنا أنَّ آراءه الحكمية غير مستقلة ببابها ، وإنما وردت في آخر معلقته ، ولم تؤلف قصيدة كاملة مستقلة مثل « مجمهرة » **عديّ بن زيد .**

ثم إنها فردية النزعة ترشد المرء إلى العيش في قبيلته ، فهي دستور عملي للحياة اليوميّة . وأسلوبها التعبيري دليل على ذلك إذ يبدأ كل بيت بـ « ومن » . وبالتالي فهي قبلية المرمي يهمها حفظ كيان القبيلة واستمرار بقائها . تمدح العزم والقوة وتذم الضعف والاستسلام ، وذلك ناموس الجاهلية . لكنها تنهار من الحميّة الجاهلية بدعوتها إلى السلم والألفة . وهذه قشرة إنسانية يحمد عليها صاحبنا . ومن هذه الخصائص جميعاً يتبيّن لنا أنّ المعاني التي ضمنها زهير حكمه ـــ على حسنها ونفاذها بوجه عام ـــ تنهل من معين « **الفلسفة الجاهلية** » العملية ، وتدور في فلك المعاني المكرورة والحقائق البديهية .




**يعرف تايلور[1] الثقافة بأنها « الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والأخلاق والفنون والقانون والتقاليد والإمكانات والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع »** .

ويعرف **سرحان**[2] الثقافة بأنها « طريقة الحياة في المجتمع بجوانبها المادية كالآلات والإنشاءات والأزياء وغيرها ، والمعنوية كاللغة والأدب والفن والدين وغيره ، وهي من صنع الإنسان في سعيه للتكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفنية ، كما أنها تتمثل في قيم الحياة واتجاهاتها ومعاييرها الحاكمة وفي طرق التفكير وأنماط الفكر ، وفي المعتقدات والتوقعات والعلاقات التي تنظم تعامل الناس في حياتهم وفي أنماط السلوك ومصطلحاته بين الناس في المجتمع ونظمه وأجهزته ومؤسساته . والثقافة ، تتناقلها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي لا عن طريق الوراثة البيولوجية ، وهي ما يتعلمه الخلف من السلف عن طريق الاتصال اللغوي والخبرة بشؤون الحياة والممارسة لها وعن طريق الإشارة والرموز » .

**ولو أمعنا النظر في ثقافتنا العربية السعودية لوجدنا أنها تنطوي على العناصر التالية :**

## أولا : الشريعة الإسلامية

الشريعة الإسلامية مستمدة من تعاليم القرآن الكريم لذلك فالأفراد يجب أن يحتكموا إلى ذلك الكتاب في القرآن نقرأ :

**﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾** (سورة المائدة ، الآيتان ٤٤ ــ ٤٥) .

ونستنتج من ذلك أن السلطة المطلقة هي لله سبحانه وتعالى ، فالناس كون هذه السلطة من الله سبحانه وتعالى ، فالإسلام لم يخلق تفريقاً بين الأمور الدنيوية والدينية ، فالحكومة والحكم يجب أن يكون مشبعاً بالعدل ورفع المظلمة والأفراد يجب أن يطيعوا هذه المسؤولية وتلك السلطة ويكونون موالين للحاكم ، ونقرأ في القرآن الكريم ما يلي :

**﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً . يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾** (سورة النساء ، الآيتان ٥٨ ــ ٥٩) .

**وهناك خمسة أبواب أو فروع للشريعة الإسلامية وهي :**

١ ــ **المعتقدات** : وتشمل ستة أشياء يجب أن يؤمن بها المسلم هي : (أ) الله ، (ب) ملائكته ، (ج) كتبه ، (د) رسله ، (هـ) اليوم الآخر ، (و) القدر .

٢ ــ **العبادات** : وتقسم العبادات إلى خمسة بنود من الأعمال وهي : (أ) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، (ب) الصلاة ، (ج) الزكاة ، (د) صوم رمضان ، (هـ) حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً .

٣ ــ **المعاملات** : والمعاملات تشمل الواجبات التي عزم بها الأفراد فيما بينهم ، وهي بالإمكان أن تقسم إلى ثلاثة أقسام وهي : (أ) الخصومات ، (ب) علاقات الزواج والرحم ، (ج) الكفالات والضمانات ، ومعظم فروع وأقسام القوانين المدنية والتي تتصل بالمقايضة والبيع والوكالة والسرقة والزواج والطلاق والدعاوى والشركات ، إلخ ، تقع تحت هذه الأقسام الثلاثة[3] .

٤ ــ **الأخلاقيات والفضائل** : وتشمل جميع الأفكار والاعتبارات الأخلاقية والتي تضمنت في القرآن الكريم ومن تعاليم الرسول العظيم مثل الإخلاص لله والثقة به عز وجل ، التواضع ، الوفاء بالعهد ، مزج الحلم بالعلم ومخالطة الناس من أجل العلم ، جعل القول مرتبطاً بالعمل ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الرضا والقناعة ، التسامح ، الصبر ، والتعليمات والقوانين الأخلاقية التي تتعلق بالسلام والتحية ، طلب الإذن عند الدخول إلى منزل ، المصافحة ، القيام ، القعود ، النوم والمشي ، العطاس والتثاؤب ، الضحك ، التسمية[4] . . إلخ .

٥ ــ **العقاب** : ويتضمن العقاب التالي :

(أ) قصاص في حالة قتل الفرد أو أية إصابة جسمية بليغة .

(ب) قصاص السرقة وذلك بقطع اليد .

(ج) جزاء للزاني وذلك بالرجم للمحصن ، ومئة جلدة لغير المتزوج .

(د) جزاء للقاذف وذلك بالجلد ثمانين جلدة .

(هـ) جزاء للمرتد بالقتل .

(و) جزاء السكر وذلك بالجلد ثمانين جلدة .

## ثانياً : اللغة العربية

ليس من السهل أن يقرر العلماء بشكل

جازم كيف نشأت اللغة . فاللغة ظاهرة اجتماعية إنسانية . كانت اللغة في بداية الأمر للتعبير عن الانفعالات المختلفة والاستصراخ والاستدعاء والاستدفاع . في ذلك الدور القديم كان الإنسان والحيوان يشتركان في الأصوات التي كانا يحدثانها في انفعالاتهما المختلفة . ثم بدأ الإنسان يبيّن لما حدثت عنده الألفاظ وتألقت في فمه الكلمات واستقامت له الجمل . فأصبحت اللغة عنده واسطة للتخاطب ووسيلة للتفاهم .

**إن اللغة العربية المتداولة اليوم التي يتكلم بها الوطن العربي وسكان المملكة العربية السعودية إنما هي اللهجة الحجازية التي نزل بها القرآن الكريم . والإسلام هو الذي أعطى كلمة « عربي » مفهومها الحالي .**

وهجة الحجاز أو لهجة قريش كما يسميها البعض هي إحدى اللهجات العربية الكثيرة التي كان مولدها جميعاً في الجزيرة العربية ، ونظراً لأن الحجاز كانت مركزاً تجارياً هاماً يربط بين عرب الشمال وعرب الجنوب في رحلتي الشتاء والصيف فقد كانت جميع القبائل العربية على معرفة بهذه اللهجة ، وأصبحت منتشرة بينهم نظراً لحاجتهم إليها ، ولا شك أن الفضل في نمو لهجة الحجاز السريع وعدم انتسابها إلى عدة لغات كما حصل للغة **السنسكريتية** أو اللغة **اللاتينية** اللتين انقسمتا إلى عدة لغات إنما يرجع إلى القرآن الكريم ، فلولا الإسلام ولولا القرآن لأصبحت اللغة العربية الآن عدة لغات ، ولكن الإسلام حفظ اللغة العربية من الانقسام ، إذ جعل المسلمين يسجلون أفكارهم وبحوثهم بلغة القرآن وتركوا لهجاتهم المحلية للحديث غير المكتوب فقط .

## ثالثاً : الأدب والفن والشعر

لقد ولد **الأدب السعودي** في مطلع القرن الرابع عشر الهجري ـ أوائل القرن العشرين الميلادي ـ وقد تضافرت إلى دفعه إلى عالم الحياة والحركة عوامل كثيرة منها البعيد الذي يرتبط بدعوة « محمد بن عبد الوهاب » ، ومنها المباشر الذي يتصل بولادة « **المملكة العربية السعودية** » وحدة سياسية ، ومنها ما يتعلّق بالتطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، التي وجدت في عهد المملكة الناشئة . ولا نستطيع أن نقول إن عاملاً واحداً معيّناً كان سبباً في ولادة الأدب السعودي . وهناك ما يقرب من مائة وستين شاعراً وشاعرة ، ومثل هذا العدد من الناشرين والناشرات . هذا الإنتاج موزع في مواطن عدة ، منه ما صدر في الصحف الفردية أو في صحف المؤسسات دون أن يظهر في كتاب مستقل ، ومنه ما كان على شكل أحاديث إذاعية أو تليفزيونية أو محاضرات ألقيت في نواد سعودية أو في معاهد أو جامعات في قلب المملكة ، ومنه ما طبع ضمن مجموعات خاصة بأدباء الحجاز أو أدباء نجد أو أدباء هجر ،

**وقد تضمن الشعر السعودي موضوعات كالمديح والغزل والقضايا الاجتماعية .** ويشغل **الغزل** من الشعر السعودي مكاناً واسعاً ، أما ديوان **المديح** فهو أكبر دواوين الشعر وأضخمها أو قد يعدل كثرة ما قيل في الغزل ، أما شعر **الرثاء** في المملكة فلا يعدل شعر المديح أو الغزل من حيث كميته وغزارته . وإذا حاولنا تصنيف الذين بكاهم الشعر السعودي وجدناهم عدة فئات : الأئمة والملوك ، وأفراد الأسرة الحاكمة ، والوزراء والزعماء والملوك المسلمون وثانيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناؤه وذريته ورجال الدعوة السلفية وثالثها أسرة الشاعر وقد يرثي الشاعر نفسه وهناك رثاء للبلدان المنكوبة وللأوطان والشهداء[٥] .

**ولقد تعددت العوامل التي ارتقت بالأدب السعودي المعاصر في عهد المملكة العربية السعودية الحديثة منذ أسسها المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بتوحيد أقاليمها الشاسعة سنة ١٣٥١ هـ ، فرفعت مستواه الفكري والفني ومرتبته من نظرة في البلاد العربية الأخرى شكلاً ومضموناً ، ويمكن تحديد تلك العوامل في الآتي :**

التعليم ـ انتشار المكتبات ـ المطابع وحركة النشر ـ نشأة الصحافة والإذاعة ـ اتصال الأدب السعودي بالأدب الحديث في الأقطار العربية الأخرى .

## رابعاً : العادات

( أ ) **عادات الأعياد** : ولقد جعل الله للمسلمين عيدين يفرحون بهما بعد مشقة عظيمة قاموا بها ، فالعيد الأول هو **عيد الفطر** الذي يأتي بعد صومهم شهر رمضان المبارك ، والعيد الثاني هو **عيد الأضحى المبارك** الذي يأتي بعد يوم الوقفة العظيم يوم عرفة . وفي يوم العيد كان الأهالي في السابق يتناولون طعام الإفطار عند أمير القبيلة أو أمير المدينة وذلك بعد أداء صلاة العيد في مساجد العيد ، وهذه هي الميزة الفريدة التي يتمتع بها مجتمع المملكة ، ففي وقت الصلاة نجد جموع غفيرة من المواطنين يؤدون الصلاة جماعة وبعد ذلك يهنئون بعضهم البعض بالعيد السعيد .

وفي منتصف اليوم الأول يستقبل الأهالي المهنئون من الأقارب والأصدقاء وقد يجتمع أفراد العائلة جميعها يتناولون الطعام ويتناقشون وينقضي اليوم الأول كما أسلفنا بالاستقبال وتبادل التهاني .

أما بقية أيام العيد فتقام خلالها الألعاب الشعبية المتميزة مثل العرضات النجدية ـ السامري ، المزمار ، والعديد من الألعاب الأخرى . أما في مساء أيام العيد ولياليها تقام المساجلات الشعرية والنوادر والطرائف . ونفس الشيء الذي يقال عن عيد الفطر يقال أيضاً عن عيد الأضحى ، اللهم إلا في عيد الأضحى ينشغل الناس في صباح اليوم الباكر في ذبح أضحيتهم ويقومون بتوزيع اللحوم على الفقراء وأيضاً بتوزيعها على أصدقائهم وجيرانهم والمقربين من منازلهم وتقام أيضاً الألعاب الشعبية المتعددة .

( ب ) **عادات الزواج** : من هذه العادات ما هو متعارف عليه عند قبائل ومناطق معيّنة وغير معروف أو متعارف عليه لدى قبائل أخرى ومن هذه العادات ما هي عادات إيجابية ومتمشية مع المجتمع والأخرى سلبية . ومن هذه العادات المتعارف عليها في جميع أنحاء المملكة

العربية السعودية هي عدم رؤية الزوجة قبل ليلة الزفاف ( الدخلة ) وهي عادة أعتقد أنها سلبية لأن الإسلام لا يرفض أن يرى الخطيب خطيبته . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » أي تتم الموافقة والانسجام بينكما . ومن العادات السلبية عند بعض المناطق في المملكة العربية السعودية هي تزويج الفتاة من غير رضاها وبدون مشورتها وهذا ما يرفضه الإسلام .

كما أن من بعض العادات السلبية في الزواج هو قيام الحفلات والذبائح في يوم الزفاف والأيام التي تليها والتي عادة لا تؤكل بل ترمى كفضلات .

كما أن المهر كان في القديم لا يتجاوز بضع دراهم ثم ازداد إلى أن صار في وقتنا الحاضر يكلف مبالغ طائلة لا يقدر عليها الشاب في بداية حياته العملية . وفي بعض المدن قد نسي بعض الناس أفراحهم التي بدأت تتحول من بيوتهم إلى محلات خاصة وفنادق وذهاب إلى بلاد أخرى يقضون فيها بقية أيام الزواج وهو ما يقال له **شهر العسل** وهذا مما أفقد الزواج طابعه الخاص وقلّت اجتماعات الأقارب والأصدقاء في هذه المناسبات .

**وهناك بعض النقاط التي تساعد القارئ على فهم تقاليد الزواج في بلادنا ( المملكة العربية السعودية ) وهي كما يلي :**

( أ ) القدرة على الزواج حيث إن التكاليف مرتفعة أي ( مهر العروس ) . وهنا لا نستطيع الحكم والقول على أن المهر هو أحد تقاليد الزواج ولكن هو أساس الزواج .

( ب ) البحث عن العائلة المناسبة .

( ج ) تتقدم والدة العريس إلى أهل العروس بهذا الطلب لاستكشاف الموافقة الداخلية من عدمها .

( د ) بعد موافقة والدة العروس يتقدم والد العريس إلى والد العروس ليطلب ابنته .

( هـ ) بحث أهل العروس عن أصل العريس وأخلاقه ومركزه .

( و ) بعد موافقة أهل العروس تجتمع العائلتان لتحديد موعد الخطبة وموعد الزفاف وكذلك مقدار المهر .

( ز ) بعد تحديد موعد الزفاف يتم دفع المهر قبل الزفاف بمدة تتراوح مدة أسبوع إلى أسبوعين حتى يتمكن أهل العروس من تجهيز العروس وشراء حاجياتها .

( ح ) قبل موعد الزفاف بمدة لا تقل عن أسبوع يتم توزيع بطاقات الدعوة للفرح للأقارب والأصدقاء والأهل .

( ط ) في ليلة الزفاف وقبل الدخول ( أي دخول العريس مع العروس ) يتم ( عادة ) عقد القران بحضور مأذون الأنكحة الشرعي وأثناء ذلك تقدم الوليمة أو بعد ذلك بساعات ( وهذا يختلف من منطقة إلى أخرى ومن عائلة إلى أخرى ) .

( ي ) بعد تناول الوليمة يقدم الشاي والقهوة ويقوم بعض المدعوين بإظهار فرحهم بدق الطبول والرقص على أنغامها .

( ق ) في صباح اليوم التالي يأتي أصدقاء العريس وإخوانه لتهنئته ، وكذلك تأتي قريبات وأقرباء العريس لتهنئة العريسين .

( ج ) **عادات المآتم** : بعد أن يصلى على الميت يحمل إلى مقره الأخير على نعشه المحدودب الذي له أربع أيادي يحمله بالتناوب أربعة رجال ، ويشيعونه بخشوع على وفق ما جاء في الشرع ، فإذا بلغوا القبر الذي حفر له وضعوه فيه ثم يهيلون عليه التراب بعد أن يسقف عليه بعض الحشائش وسد الفتحات باللبن .

والمجتمع السعودي يتميّز بمجموعة من القيم والعادات النبيلة كمجتمع يقوّم سلوك أفراده على قيم الخير والتوادد والتعاطف والتكافل . . هذه القيم التي يدعو إليها الإسلام .

## خامساً : الرأي العام

**الرأي العام هو عبارة عن الاتجاه العام الذي يشترك فيه عدد كبير من أفراد مجتمع معيّن وذلك نحو موضوع أو مشكلة هامة تثير اهتمام أفراد المجتمع .**

ويشترط موافقة الرأي العام في المملكة العربية السعودية للشريعة الإسلامية حتى يصبح رأياً عاماً مقبولا في المجتمع .

ففي الداخل نجد الرأي العام لدى الأفراد أنهم راضون وراغبون في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على كافة شؤون حياتهم ، وكذلك نظرتهم للمشاكل الدولية تدخل في إطار الشريعة الإسلامية ، وعلى الصعيد الخارجي يسود رأي عام سعودي لدى المواطنين بالاهتمام بمشاكل المسلمين في العالم ومساعدتهم مادياً ومعنوياً على مستوى الدولة أو الأفراد وكذلك الأمر بالنسبة لمشاكل إخوانه العرب وهمومهم .

## سادساً : العرف

هو عادة تعارف الناس على اتباعها معتقدين في قوتها الملزمة ، إذ هم يضعونها بأنفسهم ويتبعونها بأنفسهم ويتبعونها على نسق متواتر حتى تصبح عامة على نحو يعتقدون معه أنها ملزمة لهم في التعامل ، والعرف ينشأ مع عادات درج عليها الناس من تلقاء أنفسهم وأجمعوا على الاعتقاد في لزومها وفي وجوب الخضوع لها فهو ليس من وضع فرد واحد وإنما هو من وضع المجتمع نفسه ويخضع له كل الأفراد سواء في ذلك من ساهموا في تكوينه أو لم يساهموا فيه(٦) .

### الهوامش

( ١ ) Francis J. Brown; **Educational Sociology** Wnd Ed., N. Y., Prentice-Hall Inc. 1955, P. 69.

( ٢ ) منير المرسي سرحان ، **في اجتماعيات التربية** ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م ، ص ١٣٣ .

( ٣ ) أحمد غلوش ، **الدين الإسلامي** ، المجلد الثاني جامعة الأزهر : القاهرة ، ١٩٦٩ م .

( ٤ ) نفس المرجع السابق .

( ٥ ) محمد حسين ، **حصوننا مهددة من داخلها** ، (مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ) ١٩٦٧ م .

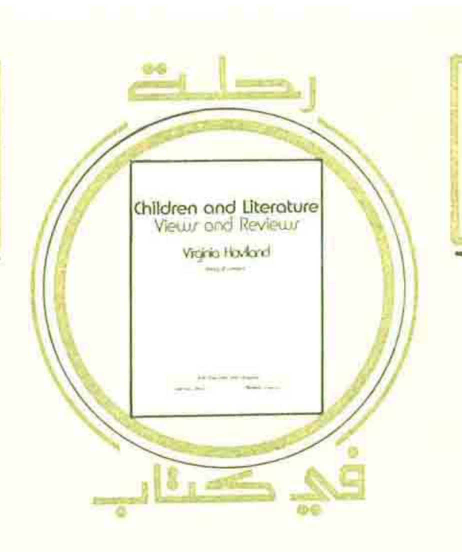
( ٦ ) أحمد عبد الغفور عطار ، **وفاء اللغة العربية بحاجات هذا العصر وكل عصر** ، مكة المكرمة ، ١٩٧٩ م .

( ٧ ) بكري شيخ أمين ، **الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية** (دار صادر : بيروت ) ، ١٩٧٢ م .

( ٨ ) عبد العزيز النعيم ، **أصول القانون والأحكام الشرعية** (دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ) ، ١٩٧٧ م .

بقلم :
فرجينيا هافيلاند
عرض وتحليل :
محمود علي

رحلة في كتاب




# أدب الأطفال

**الطفل والأدب .. أو أدب الأطفال يمكن أن نصفه بأنه « الكتاب البانوراما » في موضوعه . فهو لا يعالج موضوع أدب الطفل من وجهة نظر مؤلفته « فيرجينيا هافيلاند » .. فقط .. بل من خلال وجهات نظر متعددة ومن أكثر من زاوية .**

فيه التاريخ والنقد والحوار .. والرأي .. والرأي الآخر . فضلت صاحبته أن تتوارى عن الأنظار بعد تقديم الكتاب ، ولم تحتل فيه إلا ركناً صغيراً كغيرها من الكتَّاب الذين اختارت لهم .

**الكتاب إذن مجموعة من المقالات التي نشرت في أماكن وأزمنة متفرقة أو كتبت خصيصاً للكتاب . ما إن تنتهي من تصفحه حتى يكون قارئه قد ألمَّ بالموضوع من كل أطرافه .**
ومع ذلك فإن طريقة اختيار المادة وتنسيقها ، تشعرك بأن صاحبته قد أجهدت نفسها غاية الجهد في جمع مادتها لتقدم هذه « البانوراما » العريضة التي تمتد في الزمان والمكان .

**والكتاب في اثني عشر فصلاً ، الفصول الخمسة الأولى تتناول تاريخ أدب الأطفال وقضاياه الرئيسية مثل : ماذا يقرأ الأطفال ؟ أو ما لا يجب أن يقرأوا . وما الذي يضفي عليه صفة الكلاسيكية ؟ ومتى .. ولماذا يكتب الكاتب للطفل ؟** ثم رسوم الأطفال .. خصائصها وأهميتها . وفي ثلاثة فصول أخرى ( **من السادس إلى التاسع** ) يتناول الكتاب علاقة الأدب الشعبي و ( حواديت ) والخيال .. حتى الخيال العلمي .. والتاريخ والرواية .. بأدب الأطفال . أما **الفصل العاشر** فيقدم مجموعة من


★ مدينة ( ديزني لاند ) ★

الدراسات عن أدب الأطفال في ثمان دول أجنبية . **أما آخر فصلين فيتناولان أهمية النقد في هذا المجال ، وأهم جوائز أدب الطفل في العالم .**

## بدايات أدب الأطفال

في القسم التاريخي من الكتاب الذي يتناول بدايات ظهور أدب الأطفال ، نعلم أن تاريخ هذا اللون من الأدب الموجه للطفل أساساً وبدون هدف تربوي لا يزيد عن قرن من الزمان إلا بقليل . فالطفل قبل منتصف القرن التاسع عشر لم يكن أمامه ما يقرأه بصفة خاصة حتى ظهور كتاب « **أليس في بلاد العجائب** » سنة ١٨٦٥ م ، الذي يعتبر بمثابة « **البركان الروحي** » في نشر كتب الأطفال . ويعتبر الناشر « **جون نيوبيري** » ، الذي افتتح محلاً لبيع الكتب في لندن سنة ١٧٤٠ م ، أول من وضع اللبنة الأولى في خلق ما عرف بعد ذلك بهذا الاسم .

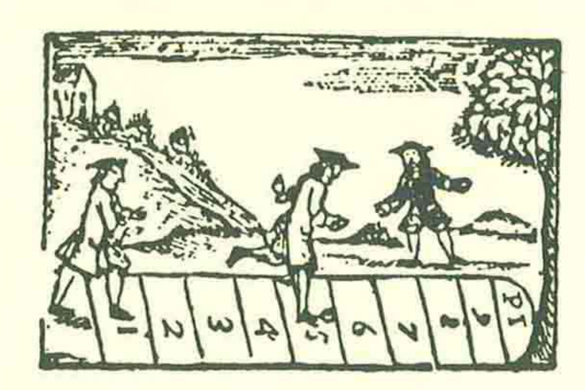
ففي عام ١٧٤٤ م ، أصدر أول كتاب له موجه للطفل باسم « **كتاب الجيب الصغير الجميل** » .

لقد أدرك الرجل بذكاء ما يجذب الطفل . كما أدرك أهميته كمشروع تجاري ، والطريف أنه منذ عام ١٩٣٧م تخصص جمعية المكتبات الأميريكية جائزة تحمل اسمه . كان « **نيوبيري** » يرى أن يترك الأطفال يقرأون ما يريدون . **لكن . . ما الكتب التي يقرأونها ؟** . ترد الكاتبة « **سارا تريمر** » في أوائل القرن التاسع عشر على السؤال : « **يجب أن يقرأ كتب الدين والتاريخ التي تحوي المعلومات والتسلية . أما قراءة الروايات فهي ممنوعة تماماً . . إذ لا يجب قراءتها إلا بعد أن يعرفوا حقائق الحياة** » . ومن المناقشات التي أثارت جدلا لأكثر من جيل وحتى الآن في هذا الموضوع كما سنرى من فصول أخرى من الكتاب . . **موضوع قصص الجنيات** . تقول نفس الكاتبة سنة ١٨٠٢ م ، في مجلتها « **حارسة التربية** » . . « **إن الصور المرعبة التي تقدمها أمثال هذه الكتب إلى خيال الطفل تترك أثراً عميقاً وتخدش عقولهم المرهفة بإثارة مخاوف لا أساس لها . . فضلاً عن أنها لا تضيف أي مغزى أخلاقي** » . والفصل السادس يقدم أكثر من وجهة نظر في هذا الموضوع .

## أدب الأطفال في أميريكا

وفي مقالة حول تاريخ أدب الأطفال في **أميريكا** ، تقول كاتبته « **كارولين هوينز** » في مقدمته : « **من الصعب أن نتخيل عالماً بلا كتب للأطفال . لقد وجدت قصص و (حواديت) الأطفال منذ أن بدأ الإنسان يتكلم** » . وتعترف بأن كتب الأطفال في الولايات المتحدة كانت مجرد إعادة طبع للكتب الإنجليزية كما هي أو بتعديل طفيف . . حتى نهاية القرن الماضي . وحيث كان الأطفال يستمعون من خلالها إلى طيور وزهور وألعاب وعادات لا يعرفونها .

*The little p Play.*




HOP-SCOTCH.

FIRST make with Chalk an oblong Square,
With wide Partitions here and there;
Then to the firſt a *Tile* convey;
Hop in—then kick the *Tile* away.

RULE *of* LIFE.

Strive with good Senſe to ſtock your Mind,
And to that Senſe be Virtue join'd.

*Who*

★ صفحة من أول كتاب إنجليزي للطفل «كتاب الجيب ... الصغير الجميل» ★

وجاء التغيير على يد «**صمويل جودريتش**» الذي نشر «**حكايات بيتر بيرلي**» الأميركية عام ١٨٢٧ م. وكتب خلال ثلاثين عاماً أكثر من مائة مؤلف لأطفال المدارس عن التاريخ الأميركي. ثم جاء من بعده «**جاكوب أبوت**» سنة ١٨٣٢ م، ليطبع أول كتبه «**الشاب المسيحي**»، وظل يكتب للأطفال حتى وفاته عام ١٨٧٩ م. وفي الفترة ما بين ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠ م، ظهر التأثير الألماني من خلال ترجمات «**حكايات جريم**».

وتتساءل الكاتبة «**أليس جوردان**».. **ما الذي يضفي على كتاب ما صفة الكلاسيكية**؟ أي كتاب لكل عصر. في إجابتها عن السؤال تستشهد بما أورده المؤلف «**جلبرت موراي**» عند حديثه عن الكلاسيكيات الإغريقية.. وهي توافقه على تعريفه هذا.

ماذا يقول «**موراي**».. يقول: «**إن أهم صفة تتميز بها روائع الأعمال الأدبية هي تكثيف الخيال. هذه الميزة تخلق جواً يجعلنا نشعر على الصفحات الأولى من الكتاب بأننا انتقلنا معه إلى عالم يختلف عن عالمنا.. ومع ذلك نهتم به. إن أهم ما يميّز العمل الفني الخلاق يتحدد في سؤالين**: إلى أي **مدى استطاع أن ينقلنا معه إلى عالمه الجديد؟ وما نوعية هذا العالم**؟».

وتطبق الكاتبة هذا التعريف على سبيل المثال على أربعة كتب هي: **روبنسون كروزو ـ رحلات جليفر ـ رحلة الحاج ـ دون كيشوت**. ثم تقول إن عامل «**الشكل**» له دور في رواج مثل هذا اللون من الكتب، أما رسوماتها فأحياناً ترتفع إن لم تتساو مع النص.

وفي محاولة لتفسير ظاهرة الاهتمام بأدب الأطفال تقول الكاتبة «**اليزابيث نيسبت**»: «إن ظهور كتاب «**مغامرات أليس في بلاد العجائب**» سنة ١٨٦٠ م، كان يعني انتهاء عصر.. وبداية عصر جديد. انتهاء عصر العقل وبداية العصر الرومانتيكي. **لقد كان عصر العقل كارثة على كتب الأطفال**، لأن ما ظهر منها خلال تلك الفترة اتسم بالعقلانية. فلا بد لكتاب الطفل من أن يكون له مغزى.. أن يلقي درساً ما عليه».

في العصر الرومانتيكي بدأ الاهتمام بالطفل باعتباره كائناً مستقلاً... وليس مجرد لعبة.. وزاد الاهتمام بالخيال والجمال والأدب الشعبي حيث ظهرت بالإنجليزية «**حواديت جريم**»، فيما بين ١٨٢٣ ـ ١٨٢٦ م، و«**أقاصيص هانز كريستان اندرسون**» سنة ١٨٤٦ م. وأصبحت الكتابة للطفل تجذب إليها الروائيين دون خجل من أمثال «**جورج**



★ المغامرات المرحة لروبين هود رسم ـ هوارد بايل ★

**ماكدونالد**» برواياته «**الأميرة والعفريت**»، و«**الأميرة وكورداي**» و«**على متن رياح الخيال**»... و«**دنيا مولدك**» في «**مغامرات بروني**» ومسز «**مولسورث**» في «**ساعة الديك**» إلى جانب الكتب المصورة لـ«**والتر كرين**»، و«**كيت جرنيوي**»، و«**راندولف كالديكوت**». يقول الكاتب «**هيوارد بايل**»:

«كان طموحي في الماضي أن أكتب عملاً أدبياً للكبار متميزاً، إلا

أنني سعيد الآن لأن قرائي من الأطفال .. ذلك أن الإنسان الناضج ينسى ما يقرأ في كبره .. بعكس قراءاته في فترة الطفولة التي تبقى في ذاكرته وتحتل ركناً » .

## العصر الذهبي لأدب الأطفال

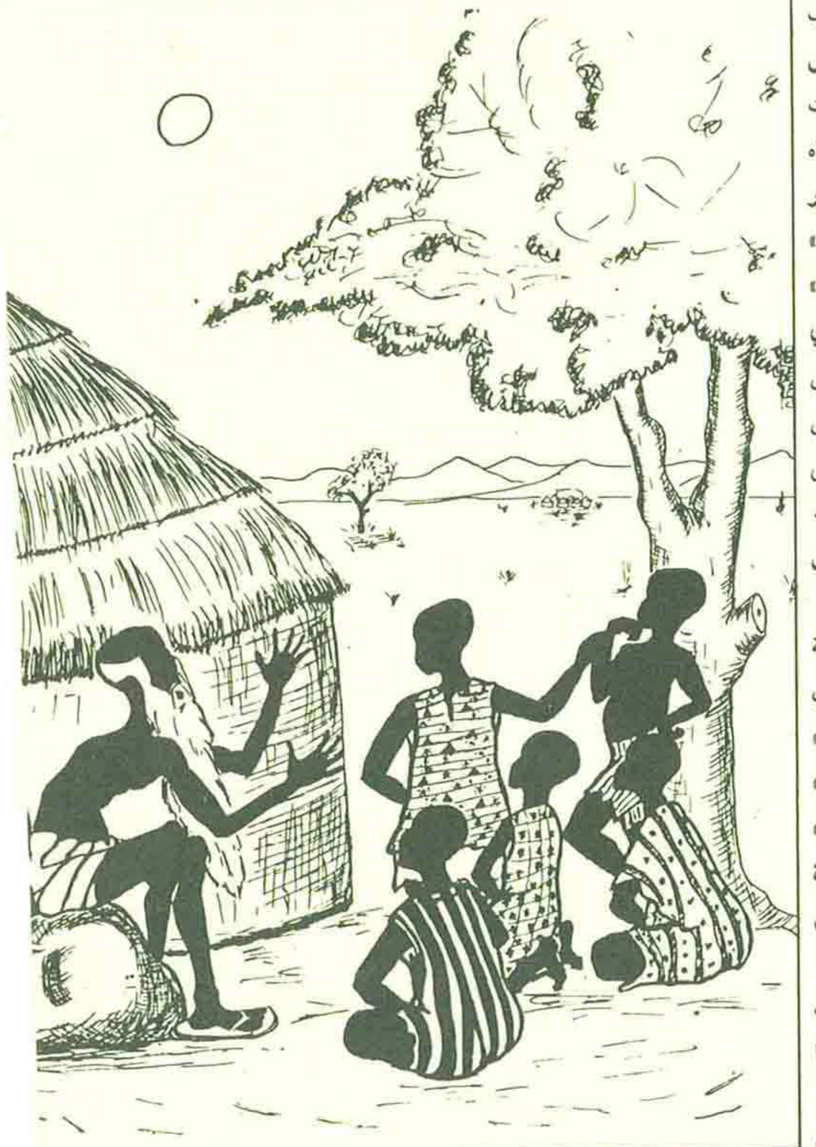
ثم يأتي دور مؤلفة الكتاب « **فيرجينيا هافيلاند** » لتؤرخ للعصر الذهبي الثاني لأدب الأطفال بحكم عملها **بمكتبة الكونجرس** وكمدرّسة لأدب الطفل وناقدة لمجلة « **هورن بوك** » . وتقصد بها الفترة فيما بعد الحرب العالمية الأولى حتى السبعينات التي تميزت كما تقول بالوفرة لأسباب ترجعها إلى زيادة **المخصصات الفيدرالية المالية للمدارس والمكتبات** وزيادة مهرجانات وأسابيع الكتب وجوائزها التي أثارت الاهتمام بهذا اللون الأدبي الأمر الذي حدا بكثير من الكتّاب إلى الاتجاه للكتابة للطفل أمثال « **والتر ادموند** » و « **راشيل فيلد** » و « **اشير فوربس** » و « **جون مانسفيلد** » و « **كارل ساندبرج** » و « **اليزابيث إنراتب** » و « **رومر جودوين** » و « **باولا فوكس** » و « **بتركس بوتر** » و « **لورا انجالس وايلد** » و « **مندرت دي جونج** » و « **موريس سنداك** » . هذا فضلاً عن الرعاية الأدبية التي حظيت بها الكتب الأميريكية في المحافل والمهرجانات الدولية مثل روايتي « **جزيرة الدولفين الأزرق** » و « **دراجة المدرسة** » اللتين حازتا على جوائز في ألمانيا . وروايات « **الأسد السعيد** » و « **سويمي** » و « **د . رولتيل** » في إيطاليا .. ثم فوز « **مانيور دي جونج** » و « **موريس سنداك** » بجائزة **هانز أندرسون** .

وتعترف كاتبة المقال ومؤلفة الكتاب بأن أميريكا تتخلف في الرواية التاريخية عن نظيراتها في إنجلترا والتي كاد أن يتخصص بعض كتّابها في عصور معينة مثل « **روز ماري ستوكليف** » و « **هنري بتريس** » و « **هستر بيرستون** » و « **رونالد ويلش** » و « **ليدن جارفيلد** » وغيرهم في حين لا يظهر في الميدان الأميريكي سوى « **ايستر فوربس** » في روايتها « **جوني تريمين** » و « **اليزابيث سبير** » في رواية « **بحيرة الساحرة** » و « **سكوت أوريل** » .. في « **جزيرة الدولفين الأزرق** » .

وفي مجال الرواية الشعبية أو الفولكلورية والخيال نجد من الكتّاب الإنجليز المعاصرين : « **لوس بوستن** » و « **رومر جودوين** » و « **فيليبا بيرس** » و « **ألان جارنر** » و « **بولين كالدك** » . ومن الأميريكيين أ . هوايت « نفير البجعة » و « **روبرت لاوسن** » في « **أرنب الجبل** » و « **هيو لوفتنج** » في « **د . دولتيل** » ثم « **مارلين انجل** » و « **لويد الكسندر برايدن** » .

ومن بين الذين تميزت أعمالهم باستخدام الأسطورة : « **آلان جارنر** » و « **اليانور فارجيون** » و « **والتر دي لامير** » . وفي إنجلترا .. « **بربارا ليوني بيكارد** » و « **جون ايكين** » . كما تميزت فترة ما بين الأعوام ١٩٥٧ ــ ١٩٦٦ م ، بالكتب المصورة .. والرواية الواقعية التي تتناول حياتنا المعاصرة كما في روايتي « **كويني بيفي** » لمؤلفها

★ رسم من كتاب قصص إفريقية من فولتا العليا ــ رسم « فريدريك جريرما » ★



«روبرت ميرك» و «الجاسوس هاريت» لـ «باولا فوكس».

وتختم المؤلفة مقالها بعد هذا الحشد من استعراض كتّاب الأطفال قائلة:

**«يجب الاعتراف بأن الأطفال غير متشابهين.. وبالتالي فإن رغباتهم ليست واحدة.. الأمر الذي يجعلنا لا نستطيع وضع تعميمات أو مواصفات لمشكلات أدب الأطفال. إن كل ما نطلبه منهم هو الأمانة والحب.. وإظهار قدر من الأمل والإيمان في حل مشاكلنا المعاصرة».**

## ماذا يقرأ الأطفال؟

وفي فصل بعنوان «**اهتمامات الأطفال في القراءة**» يطرح سؤال هو: **ما الذي يجب على الأطفال أن يقرأوه؟**. تعددت الآراء. البعض يرى أن يقرر الكبار لهم ما يجب عليهم قراءته.. في حين يرى كاتب آخر مثل **بيتر ديكنسون** أن يترك له الحرية في قراءة كل ما يقع بين يديه من كتب «**ليتعلم كيف يقارن بينها.. وبهذا نرفع مستواه النقدي في الحكم على الأشياء**». ويرد آخر بأن الطفل إذا كان يعرف ما يجب قراءته.. فليس كل الأطفال كذلك وعلى الكبار أن يقوموا عنهم بهذه المهمة.

وأخيراً يتناول الفصل كيفية تناول **الأعمال الكلاسيكية، هل يمكن إعدادها من جديد والاختصار فيها.. أم تقدم للطفل على ما هي؟**.

في حوار مع الكاتبة «**فرنسيس كلارك سايرز**» إثر هجومها على أعمال «**والت ديزني**» في هذا المجال.. نعرف وجهة نظرها في الموضوع:

س - **لقد أثار نقدك لـ «والت ديزني» عاصفة من الاحتجاج بين الآباء والمعلمين لأنهم يرون أن ما تقدمه شركة «ديزني» من كتب توزع أكثر من ٢٥ مليون نسخة هو إنتاج أدبي وثقافي طيب لجيل هذا القرن؟**



★ والت ديزني ★

ج - الكميات التي يطبعها مستر «**ديزني**» ليس لها علاقة بما يقدمه من إنتاج أدبي للطفل، فمثل هذا الحكم مبني على «**الكم**».. لا.. «**الكيف**». إنها نفس المشكلة القديمة التي ابتليت بها الثقافة الأميريكية!. إنني أفضل لأولادي اللعب في الشارع على أن يحصلوا على ثقافة مشوهة كالتي يقدمها مستر «**ديزني**».

س - **لنناقش على وجه التحديد ما يقدمه «ديزني» في استخدامه للقصص الخيالية وإعادة تفسيرها.. بمنظور الكيف.. ما اعتراضاتك؟**

ج - إن كل ما يقدمه في هذا المجال مرفوض. لنأخذ أولا **الفولكلور**. إن أكبر أخطائه أنه يهدم التناسب في هذه القصص. الفولكلور شكل عالي وأدب رمزي يعبّر عن الناس. إنه شيء نابع منهم وليس مفروضاً عليهم. هذه الأساطير لها بناء محدد. نتعلم منها دورنا في الحياة من خلال مآسيها والصراع بين الخير والشر.. بين الضعف والقوة. نتعلم منها أيضاً أن الإنسان الطيب.. الكريم.. المحب.. سوف يفوز بالأميرة في النهاية. والانتصار هنا معناه انتصار كل ما هو خير في النفس البشرية. الفولكلور عند «**ديزني**» يشوه كل هذه الفضائل. إنه يحولها إلى أشياء غريبة. كل شيء عنده يصبح جميلاً براقاً. في قصته «**سنو هوايت**» مثلاً يخلق عالماً شاعرياً تصبح فيه كل الحيوانات الصغيرة رقيقة وذكية.. أما الأشرار فموصومون بالمبالغة لدرجة تفقد عند كثير من الأطفال الهدف الأساسي منها.

إن الفرق هنا يكمن بين شيء تسمعه وآخر تراه. عندما يقرأ الطفل عن ساحرة فهو يدرك على الفور أنها شريرة بالضرورة.. أما عندما يراها مجسمة أمام عينيه فإن التأثير يصبح أكبر. المسألة أشبه بعازف الموسيقى الذي قد يشوه اللحن ما إن يرتفع بنغمته المفروض أنها نغمة هادئة فيخرج بها عن اللحن الأساسي دون اعتبار لمزاج وهدف المؤلف.

س - **بمناسبة الحديث عن الهدف ورسالة المؤلف، فإننا نجد في كتبه أن الخير ينتصر دائماً، وبالتالي فإن الرسالة الأخلاقية موجودة. أليس كذلك؟**

ج - إنه يفعل هذا بشكل سافر وصريح. في رواية «**نبشسيو**»

التي تعتبر عملاً كلاسيكياً في أدب الأطفال نجده يضع لافتات على كل شيء دون أن يترك مجالا لخيال الطفل .

**س ـ معنى هذا أنه يحد من قدرة التفكير لدى الطفل .. على عكس قراءتها في الأصل ؟**

ج ـ تماماً .. إنه يتناول روائع قصص الأطفال ويجسمها في مبالغة ، أو يختصر منها في إخلال ، بحيث يبدو كل شيء واضحاً وبسيطاً . كل الأحداث عنده تجري بسرعة لاهثة والتعبير عنها بلهجة عادية جداً .. ولا مجال للطفل في أن يفكر أو يتخيل .

**س ـ إن أعمال « ديزني » مشروعات حرة فردية في مجال منافسة . هل تشعرين رغم هذا بتحمله أية مسؤولية أو إلزام لأن يتقيد بالأصل ؟**

ج ـ إن كل من يخاطب الطفل عليه مسؤولية .. مسؤولية أن يوفر له إنتاجاً أفضل . وكل ما أطلبه هو الإخلاص فيما يقدمونه للطفل .. عليهم مثلاً أن يقدموا وجهة نظرهم الخاصة بدلا من تشويه وانتهاك وجهة نظر الآخرين .

**س ـ خلال الخمسين سنة الأخيرة تغيرت اللغة واللهجة الأميريكية جداً .. فهل معنى هذا تشويه لها ؟ ولم لا نقول إنها أصبحت أكثر ملاءمة وعصرية ؟**

ج ـ كثيراً ما أسمع أناساً يتساءلون .. ما الشيء الموقر في الأعمال الكلاسيكية حتى لا نستطيع تغييره ليناسب طفل اليوم . وأقول .. لا شيء ثابت . إن ما يضفي على العمل صفة الكلاسيكية هو ما أضفاه الأطفال عليه من جيل إلى جيل .. **أي القارئ** .

أما عن اللغة أقول .. إن ما يعيب طالب اليوم هو جهله بالماضي . فهو يعيش في فراغ منذ مولده وحتى مماته دون أن يعرف شيئاً عن تاريخ بلاده رغم أن الكثير من الأطفال يتوقون إلى معرفة القديم .. إنهم يسألون أمهاتهم أو جداتهم أن يحكوا لهم عن أيام زمان ! . هناك رغبة ملحة في معرفة الماضي .. وبنفس لغته . بنفس لغة « **هيوا ردبايل** » في قصصه عن **الملك أرثر و روبن هود** . وليس من الصواب إذن أن ندين شيئاً لمجرد كونه قديماً .

## الكتابة للطفل

وفي الفصل الرابع يحاول أكثر من كاتب الإجابة عن أكثر من سؤال يرتبط بالكتابة للطفل مثل : **كيف يكتب للأطفال ؟ هل تختلف الكتابة لهم عن الكتابة للكبار ؟ ولماذا يكتب لهم ؟ ومن الذي يجب أن يكتب لهم ؟** . في مقالة للمؤلف « **جوان ايكين** » تتساءل قائلة إن أعظم من كتبوا للأطفال نشأوا في ظروف تعسة وغير مواتية من أمثال « **شارلز ديكنز** » و « **ولويس كارول** » و « **روبرت ستيفنسن** » و « **هانز كريستان اندرسون** » و « **كبلنج** » و « **ماسفيلد** » و « **شارلوت يونج** » . فهل لا بد للكاتب أن تكون هذه نشأته لكي يجيد فن حوار الطفل ؟ وتجيب إن أهم صفات الكاتب في هذا **المجال القدرة على التخيل وإحساس مرهف بالعدل والشفقة وحصيلة غنية من المفردات اللغوية** ، الشرط الثاني **ألا يتفرغ** للكتابة للطفل .. بل أن يمارس أعمالا أخرى .. لتزيد خبراته .. وثالثاً .. **أن يكتب لهم عن حب** دون نظر لأية اعتبارات أخرى . **وعن الشروط الواجب توافرها في كتابة الرواية التاريخية** تقول الكاتبة « **هستر بيرتون** » من خلال تجربتها الشخصية :

« إنني أحاول قبل كل شيء **دراسة الفترة التاريخية** التي تدور فيها أحداث القصة ، أن أعرف كل تفاصيلها .. ماذا كانت عليه أشكال البيوت والعربات والملابس وأغانيها ، أما الأمر الثاني .. ألا أضع على لسان إحدى الشخصيات التاريخية حواراً لا أملك الدليل عليه . ذلك أنني أرى أن من المنطقي أن يعيد الكاتب صياغة بعض المواقف أو الأحداث التاريخية مثل **حريق لندن** ، أو معركة « **الطرف الأغر** » ثم يضع فيها شخصيات روائية في حين لا يجب أن يحدث العكس .. أن يتناول شخصيات تاريخية حقيقية وينسج حولها مغامرة من خياله . في حين تقول الكاتبة الإنجليزية « **روزماري سوتكليف** » إنها اختارت كتابة الرواية التاريخية .. لأن التاريخ هو الناس .. لذا أحاول تعليمه لهم من خلال الرواية .. من خلال رؤيا الإنسان . ولأنني أشعر أن من الضروري أن يشعر أبناؤنا **باستمرارية التاريخ** من خلال جذورهم .

* * *

**لقد أصبح كتاب الطفل في عصرنا يتنقل من مكان إلى مكان بسرعة الصاروخ . وإذا كان كتاباً مثل « امرأة صغيرة » قد استغرق وصوله من بوسطن إلى لندن أربع سنوات فيما بين ١٨٦٨ ـ ١٨٧١ م ، فإن أي كتاب الآن يطبع في أكثر من عاصمة في وقت واحد . فالطفل في مكان هو المستقبل .. ولا بد من الاهتمام به .**

# الحميني

بقلم: علي محمد العمير

**ظهرت الموشحات الأندلسية في الأندلس، بعد الفتح الإسلامي وما تلاه من تناحر وفتن حتى استقر الوضع تماماً.. وحتى اندمج أهل الأندلس مع العرب الفاتحين إلى حد أنهم – أي أهل الأندلس – قد نسوا لغتهم تماماً – فضلاً عن ديانتهم – وأقبلوا على اللغة العربية وآدابها إقبالا منقطع النظير حتى أجادوا في ذلك وأفادوا.**

وهذه سنّة الحياة، وحتمية التاريخ.. حيث المغلوب لا بد أن يقلد الغالب ويحاكيه في جل شؤونه وثقافته ولغته.. فكيف إذا كان هذا الغالب – أقصد الفتح الإسلامي – لم يأت أصلاً لمجرد أن يغلب وأن يشعر بعزة الظفر ونشوة النصر.. وإنما جاء لينشر دين الله الحق.. وليحرر الشعوب من عبوديتها وربقتها.. ثم يترك لها الخيار بين الدخول في دين الله طوعاً.. أو البقاء على دينهم مع دفع الجزية.. وحتى الجزية لم يكن القصد منها مجرد قهر الشعوب أو هضمها.. وإنما كانت – أي الجزية – لحكمة وأسباب كثيرة.. ليس هنا مجال ذكرها.

مثل هذا الفاتح لا بد أن يؤثر تأثيراً كبيراً في الشعوب التي يحررها من ربقتها وعبوديتها أكثر من أي فاتح آخر يكون قصده مجرد الفتح في حد ذاته، لقهر الشعوب وإذلالها واستغلال ثرواتها.

فلا غرابة أن يبلغ تأثر أهل الأندلس بذلك الفاتح العربي المسلم ذلك الحد من التأثر الذي نسوا معه لغتهم وثقافتهم وتقاليد حياتهم، وقبل ذلك ديانتهم المسيحية نفسها.

**وكان للثقافة العربية النصيب الوافر من تأثر الأندلسيين بالعرب وتقليدهم ومحاكاتهم..** ولكن ذلك لا يمنع بقاء بعض الرواسب في نفوس القوم من بقايا عاداتهم وتقاليدهم وآدابهم وفنونهم.. حتى إنهم عندما أرادوا محاكاة الشعر العربي لم تسلم محاكاتهم من تلك الرواسب الباقية المتأصلة في نفوسهم من آدابهم وفنونهم وثقافاتهم القديمة، فجاءت محاكاتهم للشعر العربي الفصيح وعروضه وأوزانه، مزيجاً مما ثقفوه منه ومما هو متأصل في نفوسهم من آدابهم وفنونهم.. وبخاصة في مجال **الشعر الغنائي** بالذات الذي يتطلب مراعاة خاصة للإيقاعات الموسيقية.

وكان العرب في الأندلس – بعد استرخاء الفتح – قد مالوا إلى اللهو والترف فجلبوا المطربين والمطربات من المشرق.. من بغداد والمدينة المنورة وغيرهما.. فكان هذا أيضاً مصدراً جديداً من مصادر تأثر الأندلسيين بالفنون العربية أيضاً.. ولكن أهل الأندلس أهل ترف ونعيم وطرب وغناء.. فكان لا بد، وقد ثقفوا الفن العربي أن يمزجوه أيضاً بما هو متأصل في أعماقهم من فنونهم فنتج عن ذلك بطبيعة الحال ما يمكن أن نعتبره مزجاً بين الفن العربي المشرقي وبين الفن الأندلسي.

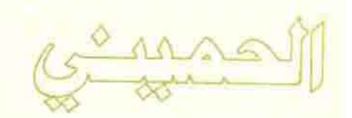
وكان لا بد لهذا المزج في الثقافة والفن أن ينتج ثقافة أو أدباً أو شعراً بطابع خاص مميز.. وبخاصة – مرة أخرى – في مجال الشعر الغنائي حيث لا بد أن يوجد الشعر المميز الذي يمكن أن يتناسب مع الإيقاعات الجديدة الممزوجة بين المشرق والمغرب.

ومن هنا – بحكم طبيعة الأشياء.. أو في تصوري على الأقل – نشأ ما يسمى **بالموشحات الأندلسية**، وهي ضرب من الشعر امتاز بلينه ورقته وسلاسته.. ثم بخروجه عن عروض **الخليل** وحتى عن قواعد **سيبويه** أحياناً.. بل وجدت فيه خرجات أعجمية خالصة!!.

وكان الترف واللهو قد بلغا أشدهما في شتى أنحاء الخلافة الإسلامية حينذاك فشاع الترف واللهو والطرب بصورة لم يسبق لها مثيل، وإن كانت لها جذور قديمة سواء في المشرق أو المغرب دون شك.

شاع اللهو والطرب إلى حد أن الخلفاء والأمراء والوزراء وسراة القوم – في المشرق والمغرب على السواء – يتهادون الشعر والأدب والطرب.. فالعربي في المغرب يستقدم **زرياب** أو غيره من المشرق.. والعربي في المشرق تأتيه القيان المجيدات للغناء والطرب من شتى الأنحاء بما في ذلك الأندلس بطبيعة الحال.

وكانت الموشحات الأندلسية بطابعها المميز ورقتها وسلاستها وجدتها أيضاً وامتيازها بنكهة خاصة متقاربة إلى حد بعيد مع الذوق العربي، وخاصة في مجال الغناء والطرب.. فكانت لا بد أن تنتشر انتشاراً كبيراً في المشرق والمغرب على السواء لأنها تلامس الذوق




المغربي ، وتساير منذ البداية ذوق المشرق .

ومن هنا ذهب فريق كبير من أدباء العربية ونقادها ــ فيما بعد ــ إلى أن هذه الموشحات الأندلسية ذات أصل عربي خالص . . ولم تنقصهم الأدلة والبراهين على ذلك ، إذ إن الموشحات ذات جذور عربية بالفعل . . بل إنها نشأت أصلاً متأثرة بالشعر العربي واللغة العربية والذوق العربي . . ولكن مع خليط أو مزج أو نكهة خاصة من الذوق الأندلسي أيضاً ولغته وثقافته وفنه ، لا شك في ذلك !! .

وذهب فريق آخر ، معظمه من **المستشرقين** الناقمين على العربية وآدابها وفنونها فقالوا إن الموشحات الأندلسية . . إنما هي أندلسية خالصة ذات إيقاع وأوزان استمدها أهل الأندلس من موسيقاهم وأدبهم .

ولكن هذا الفريق الآخر تعوزه الحجة ، وينقصه المنطق ، ويدفعه الهوى والغرض . . فلم يجد من الحجج التي يمكن أن يحتج بها غير وجود بعض تلك الخرجات الأعجمية الأندلسية الموجودة في بعض تلك الموشحات . . وهي حجة واهنة . . ذلك أن وجود الخرجات الأعجمية أو اختلاف الأوزان لا ينفي الجذور العربية للموشحات ، وأقرب دليل على ذلك ــ وإن كنا لا نحتاج إلى أدلة لدحض مثل هذه الفرية ــ أن الموشحات قد قيلت باللغة العربية أصلاً . . وفي هذا وحده ما يكفي لإثبات جذرها العربي ، فضلاً عما أشرنا إليه في صدر هذا المقال . . وفضلاً عما لم نذكره لضيق المجال . . أو حتى لعدم الحاجة إلى ذكره .

وأخيراً برز تيار جديد من بين أدباء العربية ، يتزعمه في المقدمة الأديب اليمني الشهير **الأستاذ أحمد محمد الشامي** ، وتبعه آخرون لعل أحدثهم على الإطلاق الأديب الجازاني الشاب **الأستاذ عبد الرحمن الرفاعي** .

يقول هؤلاء الأدباء ، ويؤكدون أقوالهم بكثير من الأدلة والنصوص والحجج والبراهين ، إن **الموشحات الأندلسية إنما هي في الأصل مستمدة من الشعر الحميني اليمني المشهور** .

وقد وصل الأمر ــ في هذا الصدد ــ إلى أن الأستاذ عبد الرحمن الرفاعي قد أفرد كتاباً بأكمله يقع في ٢٢٤ صفحة من القطع المتوسط، صدر أخيراً عن **النادي الأدبي بجيزان** وعنوانه ( **الحميني الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي** ) .

أفرد كتابه هذا بأكمله لحشد من النصوص القديمة والحديثة . . أراد أن يثبت بها أن الشعر ( الحميني ) اليمني هو الأصل الحقيقي للموشحات الأندلسية متابعاً في ذلك آراء الأستاذ الشامي وفريقه في هذا الشأن . . بل توسع فيه كما لم يتوسعوا . . وتحمس كما لم يتحمسوا . . ربما لطبيعة الشباب . . وربما لحرارة المنطقة ــ وهذه دعابة ــ وربما ــ وهذا هو الأرجح ــ لغيرته الشديدة على عروبته ، وخاصة حين وجد من المستشرقين من يريد أن يسلخ منها جزءً مهماً عزيزاً من تراثها !! .

ولسنا هنا بصدد إيراد الحجج والبراهين التي يستند إليها الأستاذ الشامي أو الأستاذ الرفاعي . . ولو أردنا ذلك لما استطعنا لكثرتها . . وأما دعم هذه الحجج أو تفنيدها فهو يحتاج إلى مجلد بأكمله .

ولكن ــ مهما يكن من أمر ــ فإن من الثابت أن الموشحات الأندلسية ذات جذور عربية دون شك . . ولم يقل بغير هذا غير المغرضين سواء من المستشرقين أو من تأثر بهم وقلدهم في تعسفهم المنهجي ، وخاصة حين يكون الأمر متعلقاً بالعروبة والإسلام . . ذلك لأن **الاستشراق من أساسه لم يوجد إلا لمحاربة العروبة والإسلام وبث الشكوك في تراثهم وأمجادهم ليوهنوا من عزتنا وفخارنا . . وليجدوا السبيل ــ بعد ذلك ــ ممهداً لأغراضهم الاستعمارية البحتة !!** .

**ولكن لا بد من كلمة عارضة هنا ــ لمجرد الإنصاف ــ وهي أن رجال الاستشراق قد برز منهم عدد من المنصفين . . بل برز منهم من خدم اللغة العربية وآدابها خدمات جلى .**

ونعود الآن إلى مسألة كون الموشحة الأندلسية ، ثابتة الجذور العربية دون شك . . ولكن أن تكون هذه الجذور هي الشعر **( الحميني )** اليمني فذلك هو الجديد حقاً في مسألة عروبة الموشحات الإندلسية . . فقد كنا نكتفي بالقول إن الموشحات الأندلسية ذات أصل عربي لا شك فيه . . ولكننا لم نجد من يقول إن هذا الأصل العربي هو في بغداد أو نجد أو الحجاز أو غير ذلك من الأصقاع العربية !! .

أما وقد وجدنا الآن من أدبائنا من يقول **إن الموشحات الأندلسية ذات أصل عربي ، ومن اليمن بالذات . . وإن هذا الأصل العربي اليمني ما زال على قيد الحياة إلى الآن ممثلاً في الشعر ( الحميني ) في اليمن** . . فهذا مجال بحث جديد حقاً . . ولا يمكن ــ لأهمية الموضوع ــ أن نكتفي فيه بما قيل أو صدر حتى الآن سواء عن الأستاذ الشامي أو الأستاذ الرفاعي ، رغم توسعهما في القول . . بل لا بد أن يخضع هذا الأمر لمزيد من البحث والتقصي .

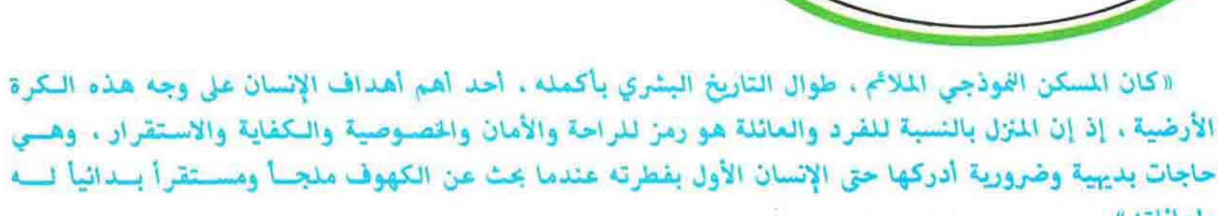
ولكن ما دامت قد انطلقت الشرارة الأولى . . فلا بد أن يتبعها المزيد . . ولا بد أن نقرأ بعد الكثير من الأبحاث المنهجية المتأنية في هذا الصدد . . فلعل وعسى !! .

موضوع خاص



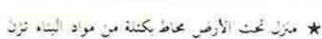


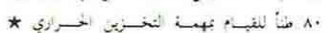




«كان المسكن النموذجي الملائم، طوال التاريخ البشري بأكمله، أحد أهم أهداف الإنسان على وجه هذه الكرة الأرضية، إذ إن المنزل بالنسبة للفرد والعائلة هو رمز للراحة والأمان والخصوصية والكفاية والاستقرار، وهي حاجات بديهية وضرورية أدركها حتى الإنسان الأول بفطرته عندما بحث عن الكهوف ملجأ ومستقراً بدائياً له ولعائلته».

بقلم: المهندس محمود غنيم





★ منزل تحت الأرض محاط بكتلة من مواد البناء تزن ٨٠ طناً للقيام بمهمة التخزين الحراري ★




وتتفاعل الطاقات البشرية على مدى العصور لتشييد مختلف أنواع البناء ، من الأكواخ البسيطة إلى الصروح العملاقة ، ومن الكهوف الأمازونية إلى الأهرامات المصرية فناطحات السحاب الأمريكية ، فكانت الصبغة المعمارية لشعب ما هي صورته الحضارية المرسومة بحبر الأرض الأبدي عبر التاريخ .

ويأتي القرن العشرون ليشهد عالمنا العربي وباقي الشعوب النامية نهضة عمرانية مباركة ، كرست أهدافها لإسكان أكبر عدد ممكن من الناس في المناطق الحضرية ، وتحديث الحياة بأسلوب العصر ورفاهيته ، وكان طابع العمران بصفة عامة هو البساطة والتكامل والمتانة والحماية ضد العوامل البيئية المحيطة بمختلف أشكالها والاقتصاد في تكلفة مواد البناء التي ترتفع أسعارها بسرعة متضاعفة عاماً بعد عام .

لكن الملاحظ ، خلال العقدين الأخيرين ، أن تركيز الاهتمام في المشاريع العمرانية قد انصب على الاقتصاد والتوفير في تكلفة مواد البناء ، سواء بصورة مباشرة كالتوفير في مواد البناء الأساسية ، أو غير مباشرة عن طريق إعداد البنيان بصورة علمية مدروسة الهدف منها استغلال موارد الطاقة الطبيعية والمجانية إلى أقصى درجة ، كالطاقة الشمسية ، وطاقة جوف الأرض الحرارية ، مما يقلل من الاتكال على استخدام موارد الطاقة التقليدية المكلفة إلى أدنى درجة ممكنة ، والحفاظ عليها لاستخدامات أخرى أو لمصلحة الأجيال القادمة .

وانطلاقاً من هذا الهدف ، نشطت في جميع أرجاء العالم حركات معمارية مبتكرة ، وأمكن إنشاء مبانٍ ومجمعات بل وقرىً نموذجية ومدن كاملة [illegible] قد تكون في غاية الغرابة والخروج على المألوف أحياناً ، ومنها ما يرجع إلى طراز المعمار القديم كالخيام والقباب ، بل إن كثيراً من المساكن الحديثة بدأت تنزل تحت الأرض ، أو تغوص في جوانب التلال مثل الكهوف الحجرية القديمة ، وأغرب من ذلك أن من يسكنون بها يعلنون رضاهم التام عن حياتهم الجديدة وإصرارهم على عدم العودة إلى منازلهم العادية القديمة التي أصبحت تبدو « غير عملية » بالنسبة لظروفهم الحالية .

## البيوت الشمسية السلبية

إنها المباني التي لا تستخدم أية عوامل صناعية سوى التصميم المعماري ذاته للحصول على أقصى طاقة شمسية ممكنة .

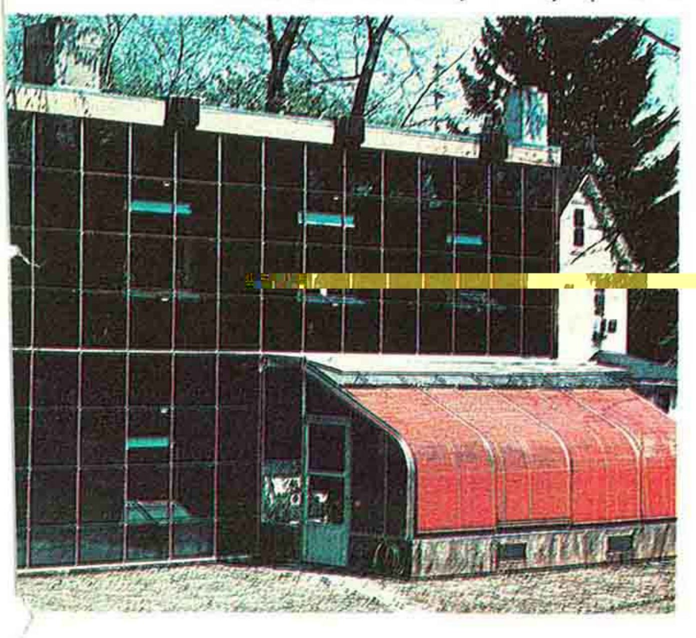
ولقد وجدت هندسة التصميم الشمسي السلبي منذ القدم حين اكتشف أحد المعماريين الأوائل في عصر ما قبل التاريخ فكرة أن من الأفضل عمل ثقوب في جدران مسكنه . وقد عرف **قدماء اليونان** أن


★ منزل منشأ بالطبقات المرفوعة ، ويبدو بعد رفع الطبقات مباشرة (أسفل) ثم بعد اكتمال المبنى ★





★ منزل شمسي سلبي بحائط زجاجي وبيت استنبات لتخزين الحرارة ★

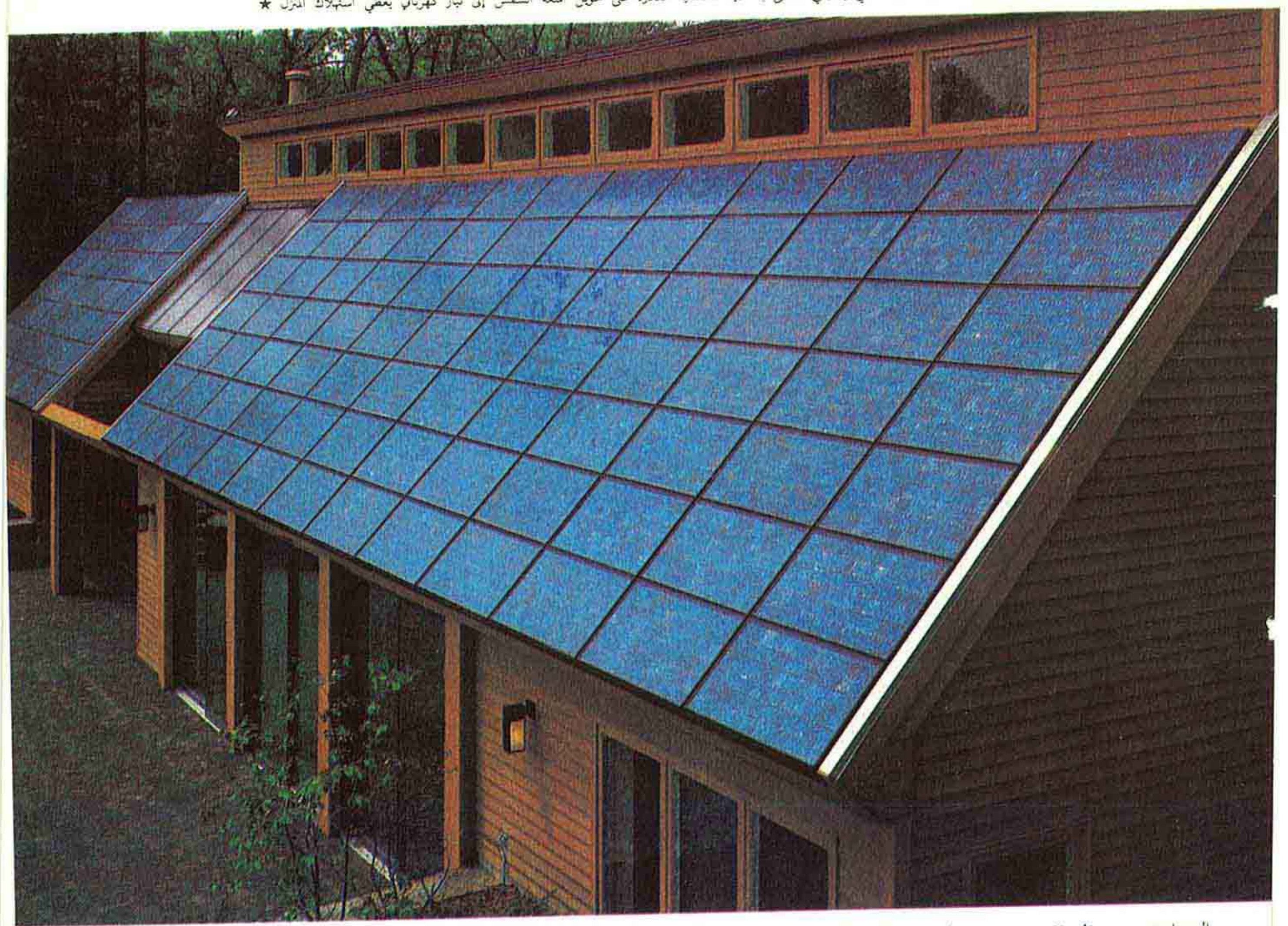


شرفات النوافذ تستطيع صد شمس الصيف لكنها تسمح بتسلل شمس الشتاء .

وفي أمريكا ، قام **هنود « الأنازاسي »** ببناء أكواخ اللبن ( الطين ) التي عملت بتخزين حرارة النهار لإطلاقها في الليل .

لكن موارد الطاقة الغزيرة ، لسوء الحظ ، وضعت حداً لهذا المنحنى

★ منزل شمسي إيجابي مغطى بالخلايا الشمسية القادرة على تحويل أشعة الشمس إلى تيار كهربائي يغطي استهلاك المنزل ★



التصاعدي من المعرفة ، ونسيت الحضارة الحديثة فن التدفئة بواسطة الشمس . وحتى عندما أجبرت مصادر الطاقة المتناقصة العلماء على إلقاء نظرة أخرى نحو الطاقة الشمسية ، فإن أغلب الاهتمام كان ينصب على **الأنظمة « الإيجابية »** ، وهي التي تستخدم طاقة ميكانيكية أو كهربائية لنقل الحرارة . **أما الأنظمة « السلبية »** فكانت تعتبر بلا كفاءة وغير متطورة . وبقي ذلك إلى أن بدأت المختبرات العلمية إجراء الدراسات التطبيقية المفصلة باستخدام الحاسبات الإلكترونية ، حتى اكتشف الناس ، أو أعادوا الاكتشاف ، بأن الطاقة الشمسية السلبية عملية فعلاً .

لكن تلك كانت مجرد البداية . وكان عليهم تالياً أن يعرفوا بالضبط كيفية عملها ، كيف انتقلت الحرارة من منطقة إلى أخرى ؟ وما هي الأنواع الأفضل ؟ وكيف يجدر بالضبط تصميم منزل ما للحصول على أفضل أداء وأقل تكاليف ؟ .

للعثور على أجوبة ، بدأ الباحثون برنامجاً لمراقبة أداء ١٥ منزلا شمسياً سلبياً ، وحصلوا بالنتيجة على معلومات تجريبية قيمة تبين مسارات تدفق الحرارة في المنازل وكميتها . وبالنتيجة ، فإن أي نظام سلبي لا بد أن يحتوي على عنصرين : مجمعات لتكديس حرارة الشمس وطريقة لتخزين الحرارة إلى حين الحاجة . وأبسط أنواع الأنظمة المسمى **« الكسب المباشر »** يستخدم نوافذ جنوبية الاتجاه كمجمعات ويعتمد على الجدران والأرضيات للتخزين ، والمباني الأكثر تطوراً تستخدم بيت استنبات زجاجي مستقل للقيام بدور المجمع الحراري .

## المنازل المعزولة تماماً

قد تبدو هذه المنازل تقليدية جداً ، لكن فواتيرها الكهربائية مختلفة جداً ، فهي تحتاج من الوقود في فصل الشتاء بأكمله بالقدر الذي يستهلكه منزل عادي خلال أسبوعين .

والسر يقبع تحت الجلد ! إنها طبقة سميكة من العازل الحراري المحشو داخل الجدران الخارجية قد تصل إلى ١٢ بوصة سمكاً أو تزيد ، مع تكثيف المواد العازلة بالأرضيات والأسقف والأساسات ، بالإضافة إلى تأمين حاجز للهواء وبخار الماء محكم الغلق واستعمال المداخل ذات الردهات ، مما يوفر عزلا فائقاً (يكاد يكون تاماً) للحرارة الشمسية أو الذاتية دخولا أو خروجاً .




★ منزل «شطيرة الخرسانة» مع قطاع يبين تركيب الجدران الداخلي ★

قضبان مسلحة
عازل بوليسترين
حائط خرساني مكتمل
شبك سلكي

**لقد أصبحت المنازل المعزولة مؤشراً إلى طريقة جديدة للبناء في جميع أرجاء العالم . فالبيوت تامة العزل ، أو البيوت منخفضة الطاقة أو المحافظة على الطاقة كما تدعى أيضاً ، تحقق التدفئة المنزلية بتقليل استهلاك الطاقة بدلا من زيادة التيار الكهربائي المطلوب** . والناس الذين أقاموا بداخلها يعتقدون أنها تعمل بصورة أفضل وتكلف أقل عند البنيان من المنازل ذات الأجهزة الشمسية المعقدة .

والواقع أن العزل الفائق ليس سوى شكل من التصميم الشمسي السلبي للمنازل ، بالمناظرة مع البيوت الشمسية « الإيجابية » التي تستخدم طاقة الشمس المباشرة للتسخين أو التبريد عن طريق المجمعات الشمسية .

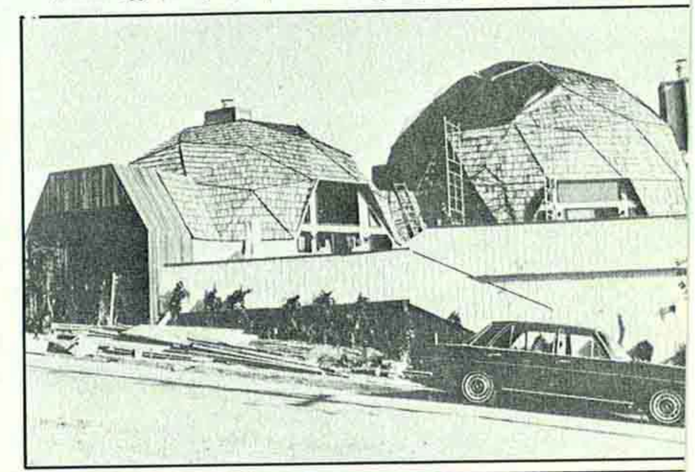
فبدلا عن ذلك ، يقوم العزل المتضاعف إلى حد كبير مع التسرب القليل جداً للهواء إلى إحكام حجز الطاقة الشمسية المكتسبة مهما كانت متواضعة بالإضافة إلى الحرارة الداخلية المنبعثة من الأجسام البشرية والأجهزة الكهربائية . والنتيجة ، توفير في الطاقة بما لا يقل عن ٧٥٪ تزيد على استهلاك منزل مزود بعازل عادي ، كما تتحقق عملية توفير مماثلة في فصل الصيف ، وذلك عن طريق الحفاظ على الهواء الساخن خارجاً ، مما يجعل تكاليف تكييف الهواء تقارب الصفر في بعض المناطق .

## كيف تبنى بيوت المستقبل ؟

تعتبر طريقة « **البناء بالطبقات المرفوعة** » من أكثر الوسائل

★ منزل على طراز القباب الأسطوانية مغطى بأديم الأرض ★

★ منزل مقبب مزدوج تدعي الشركة التي أنشأته أنه أعظم المنازل في العالم توفيراً للطاقة ★



الحديثة بساطة وإثارة للاهتمام بين الأوساط الهندسية ، والعملية بسيطة إلى درجة رائعة ، إذ يتم صب جميع الأرضيات الخرسانية ( الأسمنت المسلح ) بنفس الشكل وعلى مستوى الأرض ، واحداً فوق الآخر ، ثم يتم رفعها إلى مكانها بمعدل واحدة في كل مرة . وكانت الطريقة قد استخدمت لبعض الوقت في العمارات الضخمة عديدة الأدوار . ولكن باستخدام معدات بناء معقدة وباهظة التكاليف ، فإن العملية التي تبدو اقتصادية للمباني الضخمة تصبح غير عملية للمنازل الصغيرة . إلا أن هذا كان في الماضي ، إذ قام المهندسون أخيراً بتقليص حجم المعدات وتكاليفها وتصميم أجهزة تحكم جديدة بجعل الطريقة المعمارية المبتكرة عملية واقتصادية بالنسبة للمنازل الخاصة .




★ مشهد عام للقرية الفرنسية المنشأة في جانب التل ★

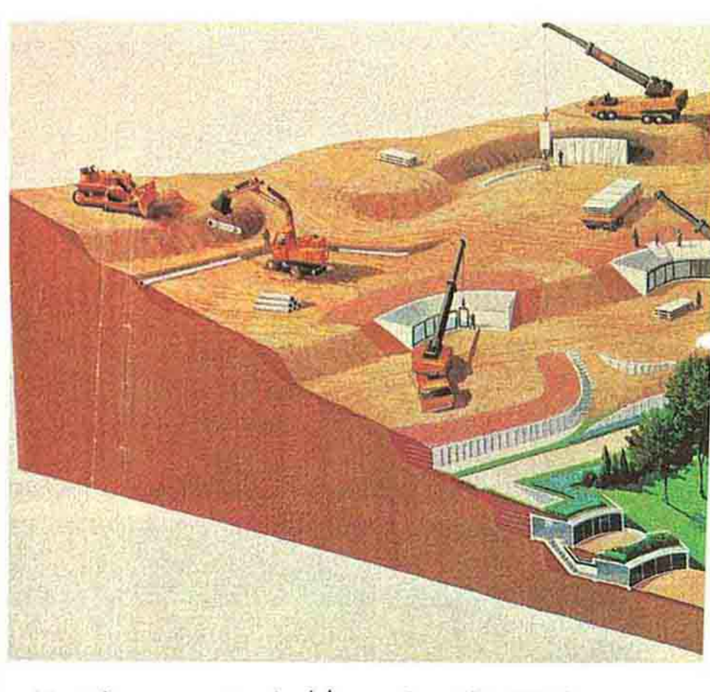
أما طريقة «**شطيرة الكونكريت**» فتجعل تكاليف الطاقة في المنازل المصممة بها تنخفض بنسبة ٥٠ إلى ٨٠ في المائة، وهي تتبع وضع طبقة سميكة من العازل الحراري بين طبقات رقيقة من رشاش الأسمنت (الخرسانة)، وقد ثبت أن بنيان الجدار (السندويتش) أرخص إنشاءً من البناء التقليدي، فلتكوين الجدار الحافظ للطاقة يتم حجز ألواح المادة العازلة (البوليسترين) بسمك ٦ بوصات داخل هيكل من قضبان الحديد المقوية. ومن أجل توفير المزيد من المتانة الإنشائية تمدد شبكة من الأسلاك المقوية فوق الوحدة البنائية، ثم يجري رش الجدار داخلاً وخارجاً بطبقة من الأسمنت عالي الكثافة.

ويلجأ الفنانون المعماريون إلى الابتكار والتحكم في الشكل الخارجي العام للبناء، باحثين عن كل ما هو جديد وغريب في الشكل من جهة، ويقدم حلولاً منطقية وجذرية للمشاكل الهندسية والاقتصادية القديمة من جهة ثانية. هذا، **وقد مرت عدة سنوات منذ بدأ اهتمام المهندسين ينصب على القباب والمنشآت المشدودة كالخيام بصفتها أشكال نموذجية للمعمار الحديث تمثل الجمال والأصالة والمتانة والبساطة وقلة التكاليف كلها في آن واحد.**

فالمهندس الذي يبحث في تصميمه الإنشائي عن كفاءة الطاقة بالمقام الأول قد يفضل أن يشيد المنزل على شكل «قبة»، نظراً لأن هذا الشكل المتناسق يحتوي أكبر قدر من الحجم الفراغي في مقابل أقل قدر من المساحة السطحية أكثر من أي شكل آخر هندسي، وهذا يعني أقل قدر من مواد البناء السطحية المكلفة.

★ منزل تحت الأرض والسطح العلوي موفر للزراعة والتنزه ★





وهناك المباني الجاهزة التي تنشأ في المصانع حسب المواصفات القياسية ، ثم تنقل بالقاطرات إلى مكان البناء المطلوب . وكما نعت هذا الزمان بكثير من الأسماء ، فهو عصر الفضاء تارة ، وعصر الذرة والإلكترون تارة أخرى ، يطيب للبعض أن يطلق عليه اسماً آخر وهو « **عصر الكتالوج** » حيث أصبحت جميع حاجات الفرد والعائلة من القميص إلى السيارة تنتقى اعتماداً على تلك الأوراق الملونة ذات الطباعة الفاخرة التي تصدرها الشركات التجارية إعلاناً عن منتجاتها . فكذلك توجد « منازل الكتالوجات » التي يمكنك اختيارها وطلبها مباشرة من الشركة الصانعة ، وهو أسلوب متبع الآن فعلاً في عدد من البلدان كالولايات المتحدة .

## منازل شمسية تحت الأرض

رغم ما تبدو عليه الفكرة من غرابة ، فالأرض والشمس هنا تعملان بتعاون لجعل هذه المنازل ممتازة الكفاءة في الطاقة . وإذا جال ببالك أن منزلاً تحت الأرض ليس أكثر من جحر عَفِن عديم النوافذ حيث لا يقدر على العيش به سوى قلة من الأشخاص غريبي الأطوار ممن يحبون العزلة ويفضلون الظلام ، فإن فكرة البيت تحت الأرض قد تبدو لك متناقضة تماماً ، أو ربما توحي للذهن بمنظر كهف مغطى بصفوف من المجمعات الشمسية .

صحيح ، أن بعض المنازل المبنية تحت الأرض مدفأة بأجهزة تسخين شمسية إيجابية ، وبعضها لا يتمتع بالكثير من ضوء الشمس الطبيعي ، إلا أن الغالبية العظمى من منازل المعيشة تحت الأرض المنشأة في يومنا هذا تمتاز بصفوف واسعة من النوافذ التي تفيض بضوء الشمس على ساحاتها الداخلية وتوفر كثيراً من الحرارة اللازمة .

والحقيقة أن التزود بالطاقة الشمسية والنزول تحت الأرض هما فكرتان متكاملتان ، لعدة أسباب . فأولا يجب أن تبنى المنازل تحت الأرض كمنشآت ضخمة قوية لتتحمل ضغط الأرض الهائل فوقها وما حولها . وهي تبنى عادة من الأسمنت المسلح بل الكثير منه في الواقع . وهذه الأطنان من مواد البناء ليست ضخمة إنشائياً فقط ، لكنها « قوية » حرارياً أيضاً . فعندما تشرق الشمس تمتص الجدران والأرضيات الحرارة ببطء ، وعندما تأخذ حرارة الهواء داخل المنزل بالبرود تبدأ تلك الجدران والأرضيات ببعث حرارتها شيئاً فشيئاً .

أما في المنازل الشمسية فوق الأرض ، فهذه العملية لوحدها تتطلب كميات ضخمة من مواد البناء والماء . ولكن بالنسبة للمنزل تحت الأرض ، فهذه الخاصية لا بد أن تكون متوفرة على أي حال .

والمنزل تحت الأرض أكثر سهولة في التدفئة من منزل فوق الأرض ، وهذا يعني أن معدات التسخين الشمسية يمكن أن تكون أصغر . وليست





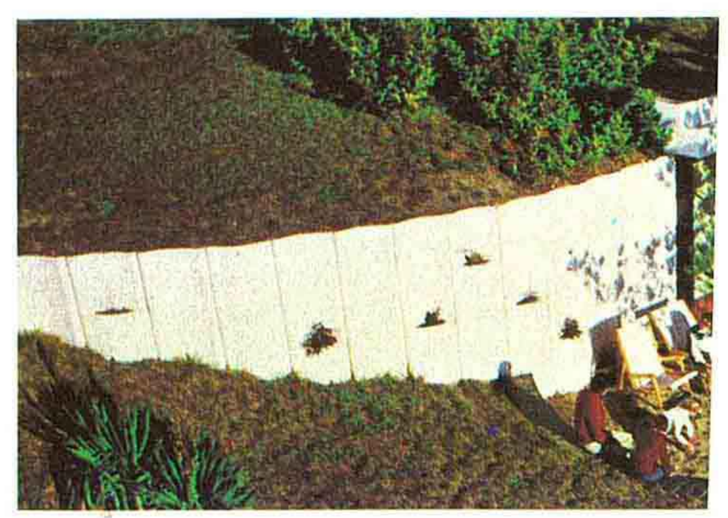

★ نظرة قريبة إلى بيوت القرية الهلالية المحفورة في جانب التل ★

★ مطار جدة بالمملكة العربية السعودية اعتمد تكنولوجيا المنشآت المشدودة كالخيام العملاقة ، التي تستخدم التصاميم الكمبيوترية ، والمشهد يبين المطار أثناء الإنشاء ★

المسألة أن الأرض تعمل كعازل ممتاز ، ولكنك عندما تستخدم الكثير منها تكون كذلك ، فالتراب يعمل كمنظم فعال لدرجة الحرارة .

أما في الصيف ، فإن من الأسهل بكثير تبريد المنزل تحت الأرض مما لو فوقها ، إذ بينما يكتسب منزل فوق الأرض الحرارة طوال النهار من الهواء المحيط الساخن ، فإن منزل تحت الأرض يفقد الحرارة لصالح الأرض ذاتها ، والحقيقة أن معظم البيوت السفلية لا تحتاج تكييفاً للهواء .

لكن جميع هذه المزايا للبناء تحت الأرض تتوجها فائدة أخرى فريدة ، وهي أن الأرض تعمل كأنها « خذّافة » حرارية موازنة عملاقة . بمعنى أن التربة على عمق ١٠ أقدام تصل إلى أدنى درجات الحرارة برودة ، ليس في منتصف موسم الشتاء كما هو الحال فوق الأرض عندما يكون الهواء الخارجي أشد برودة ، بل بعد ذلك الوقت بحوالي ثلاثة شهور ، أي ربما بالضبط عندما يبدأ الهواء في التحول إلى الدفء ، كما تصل إلى أقصى حرارتها بعد اضمحلال حماة الصيف اللاهبة بثلاثة شهور أيضاً .



وهناك منافع أخرى قد لا تخطر على بال ، فالمنزل المغطى بالأرض أعظم هدوءاً من المنشآت التقليدية بكثير ، كما أن مشقة الصيانة الخارجية تقل بدرجة عظيمة ، إلى جانب أنها محمية من الفساد والحشرات وربما أكثر مقاومة للحريق من المنزل الهيكلي العادي . وهي أيضاً محمية من الريح وزخات البَرَد وغير ذلك من الظروف الجوية القاسية . وهي تعتبر ملاجئ مثالية في حالات الطوارئ كالعواصف والزوابع والحروب ، وهذا ما أثبتته التجارب العملية في الولايات المتحدة .

إلا أن بعض الناس ، من ناحية أخرى ، قاموا بالبناء تحت الأرض بهدف توفير الأرض العلوية لأغراض أخرى ، كتنمية الحدائق أو التنزه والاستجمام ، أو مجرد الرغبة في ترك مساحة الأرض الواسعة بدون عائق أو مجزئ .

## قرية في جانب التل

وهذه تجربة معمارية جميلة ومثيرة للاهتمام ، فهي تستخدم طريقة إنشائية جديدة تمكن الإنسان من « غرس » المنازل في جوانب التلال شديدة الانحدار والتي كانت تعتبر في السابق غير ملائمة لامتداد التطور العمراني التقليدي إلى درجة الاستحالة .

يقع مكان التجربة إلى الشمال قليلاً من **مدينة « نيس » الفرنسية** الجميلة على شاطئ الريفيرا الشهير ، وتبدو التلال المتحدرة المخضوضرة للزائر كأنها درجات سلالم عملاقة من الطبيعة الرائعة أبدعتها يد الخالق سبحانه وتعالى ، فإذا اقتربت منها إلى مرمى الذراع ستدهش عيناك لرؤية المنزل تلو الآخر ، وستلاحظ أنها ليست مبنية « فوق » التلة ، بل « داخلها » ، إذ لا تبرز منها فوق الأرض سوى واجهاتها الزجاجية وجدرانها البيضاء المتألقة .

إن هذا العمل المعماري المتطور يدعى « **أغورا** » ، ولكن دعونا أولا ندخل أحد البيوت النموذجية قيد الإنشاء لإلقاء نظرة فاحصة : يمكنك الدخول عبر أبواب زجاجية منزلقة وهي جزء من القوس الزجاجي الذي يؤلف الواجهة الكلية للمنزل الهلالي الشكل . وهذا المجال الزجاجي يسمح للضوء الطبيعي بالدخول إلى كامل منطقة الجلوس والمعيشة في البناء المنخفض . ومن كل غرفة ، ينفتح أمامك منظر عريض الزاوية للوادي الأسفل والتلال المجاورة .

والشركة الفرنسية التي أشرفت على تنفيذ المشروع لديها مشاريع مشابهة لكن أصغر حجماً ، أحدها قرب **مدريد في إسبانيا** وآخر في الولايات المتحدة .

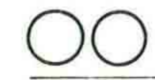
وتبنى هذه المشاريع باستخدام عملية مبتكرة تم تسجيل اختراعها باسم تلك الشركة ، وتسمى **طريقة « الأرض المسلحة »** . وتجعل هذه العملية بالإمكان البناء اقتصادياً على الأراضي المائلة شديدة الانحدار ، والتي تكون رخيصة الثمن عادة بسبب صعوبة ، أو حتى استحالة ، تعميرها باستخدام تقنيات الإنشاء التقليدية ، والأمثلة على هذه الأراضي المنحدرة الرخيصة مألوفة لدينا ، إذ تعج بها كثير من الأقطار العربية الجبلية **كالأردن والمملكة العربية السعودية والعراق** وغيرها .

هذا ، ومن الفوائد الأخرى للعملية المذكورة الاقتصاد في مواد البناء والعمالة لتحقيق مزيد من التوفير في التكاليف الأساسية . وبطبيعة الحال ، فإن هذه البيوت تنعم بالفوائد والمزايا التي تشمل كافة المنشآت تحت الأرض : مزيد من الرحابة ومزيد من المساحة الخضراء على رقعة أصغر من الأرض .

والمنازل منشأة أساساً من الأسمنت المسلح فهي مقاومة للنار نسبياً . ونظراً لأنها في بطن المستوى المائل فهي محمية من دمار الريح والعواصف ، هادئة وتتمتع بالحرمة والخصوصية وتتطلب قليل من الصيانة الخارجية ، وأفضل ميزة لها أنها تحتاج القليل جداً من الطاقة لتسخينها في الشتاء وتبريدها في الصيف .

ولنحاول الآن تبسيط فكرة « البنيان الأرضي المسلح » ، ففي البداية يجري « نحت » سفح التل على شكل سطوح مستطيلة عريضة . ثم يجري حفر حجرات هلالية الشكل حيث سيكون كل منزل . وبعد ذلك يتم صب طبقة تسوية من الأسمنت غير المسلح ، وستكون هذه هي الأساس لألواح الخرسانة الجاهزة التي ستشكل جدران المنزل الخلفية والجانبية . وتقوم رافعة صغيرة بتحريك الألواح إلى المكان المخصص والتي يتم ربطها وتدعيمها مؤقتاً من الأمام ، وعند هذه النقطة يكون الجدار مقاوماً لتسرب الماء .

وإسقاطاً من خلف الألواح الخرسانية توجد صفوف من المرابط المعدنية ، يثبت إليها فريق الإنشاء أشرطة من الحديد الصلب ، وهي الأشرطة المسلحة التي تعطي الطريقة اسمها الفني ، ووظيفة هذه الأشرطة أن تشبك الجدار إلى التربة من الخلف .






● يصوّر ماجريت في تلك اللوحة التي رسمها في عام ١٩٣٧م، شخصاً جالساً على **صخرة** كأنه في **صحراء** بها أعشاب قليلة، وخلفه امتداد **الأفق**، خط التقاء السماء بالبحر.

● الشخص خبير بمداواة الإنسان.. **رحالة جلس ليستريح** قليلاً من الوقت من عناء السفر والترحال، يظهر ذلك من العصا التي يتكئ عليها، ومن تلك **الحقيبة القماشية** البسيطة التي يضع بها أدواته ومعداته البسيطة.

● الموضوع يبدو لأول وهلة بسيطاً فهو لشخص جالس.. لكن الفنان يقول لنا الكثير في تلك اللوحة، فهو يصوّر الإنسان.. كل إنسان، أو رغبته في أن يكون الإنسان كما يصوّره.. **فهو يصوّر الإنسان الذي يداوي جراح الآخرين**.

● **من هو هذا الإنسان؟ من هم الآخرين؟ من يداوي من؟ ومن أي جروح أو جراح؟**. هنا يطرح ماجريت هذا السؤال في تلك اللوحة ويجيب عليه في نفس الوقت.. ليتركنا في تلك العملية الجدلية.

● الإنسان في رحلة أرضية مضنية، **وإنسان ماجريت ليس له ملامح**، فهو كتلة من الحس والشعور والتعبير.. لم يهتم الفنان بإبراز الوجه وتفاصيله وتعبيراته، ولم يُظهر منه سوى الأيدي والأرجل، بالإضافة إلى قبعته وملابسه.. إنسانه هو قفص حديدي داخله طائران لونهما أبيض لرمز النقاء.. أحدهما خارج القفص والآخر يهم بالخروج.. أي أن **الإنسان مسجون داخل ذاته.. داخل ماديته**.. والفنان يدعونا إلى التحرر من سيطرة الجسد، ومن المادية.. **يدعونا إلى الحرية والنقاء والسلام.. أي أن الدواء داخل الإنسان وليس خارجه**.. ويدعونا أيضاً إلى التريث والتفكير في هدوء.. كما يدعونا إلى جلسة مع النفس للتفكير في الحياة، وما بعد الحياة.. ويدعونا إلى التأمل في الطبيعة المتمثلة في الصحراء والبحر والسماء.. كما يتضح من الخلفية.

● يصوّر الفنان هذا المضمون بلغة شاعرية موسيقية رقيقة.. **وبأسلوب سيريالي** يعتمد على الرمزية وجمال الألوان، ويخاطب به عقل ووجدان المتلقي من خلال خيالات لا عقلية تتجمع بطريقة واعية.

● التكوين في اللوحة محكم من الناحية البنائية فهو أقرب إلى **التصميم الهرمي**، حيث يمثل قدمي الشخص قاعدة الهرم، والقبعة قمته.. وقد استخدم الفنان عنصر الخط في جعل عين المتلقي تتحرك في جميع أنحاء اللوحة في حركة دائرية.. ويظهر ذلك من الخط الخارجي للشكل.

● لم يبالغ الفنان في إبراز التفاصيل كثنيات الملابس، أو تفاصيل الصخرة التي يجلس عليها مشخصه مثل ما يفعل معظم السيرياليون عادة، وذلك للتركيز على المعاني التي يريد الفنان إبرازها، فخرجت اللوحة بسيطة في **الشكل** عميقة في **المضمون**.

● ولد ماجريت في **ليسين ببلجيكا** عام ١٨٩٨م.

● درس الفن في **أكاديمية الفنون ببروكسل**.

● زار فرنسا وانجلترا وهولندا، وتعرّف على الحركة **السريالية** في باريس عام ١٩٢٧م، وبدأ في الظهور عام ١٩٣٠م.

● يعتبر من أشهر المصورين السيرياليين، الذين اشتهروا بالدقة الفوتوغرافية في أعمالهم، بالرغم من بعده عن **الواقعية** في الموضوع، يتضح ذلك من لوحته «**الزمن توقف**» التي رسمها عام ١٩٣٢م.

● يجمع **أسلوبه بين الواقع والخيال** المستمد من العقل الباطن واللامعقول.





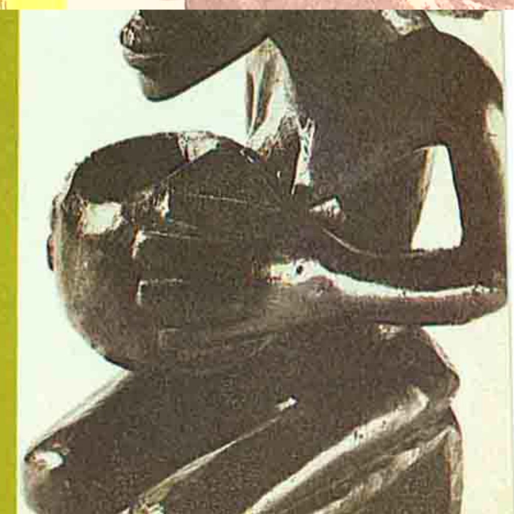
★ حيوان للصيد ★

# كنوز العالم

★ رأس أسود من الخشب ★

★ تمثال أسود ★



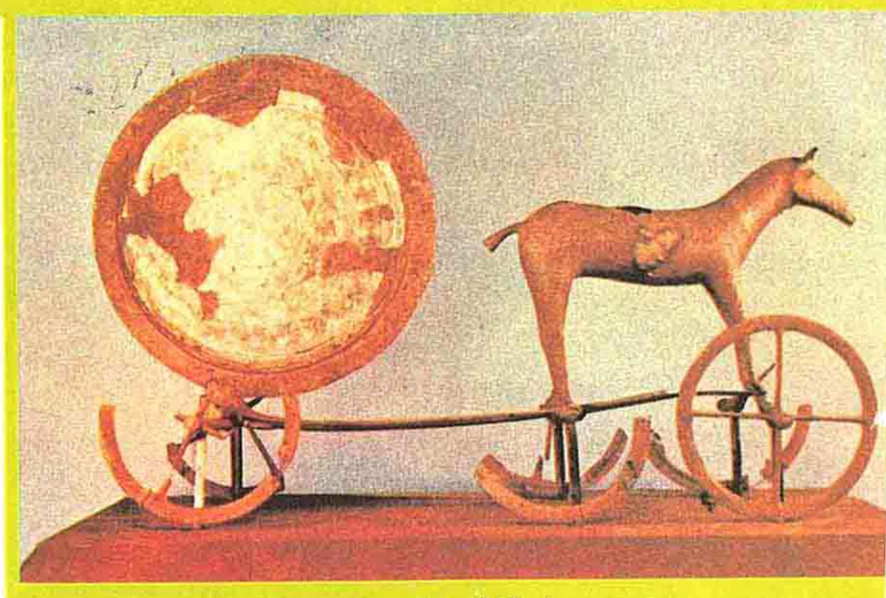


إذا ما حاولنا أن نتصور الفنانين في أذهاننا أثناء استغراقهم في العمل ، تخيلنا الرسام منهم وهو يقف في مرسمه أمام الحامل[1] ، يضرب بريشته لوحة زيتية جميلة . . وتصورنا النحات في ورشة عمله يمسك إزميلاً بيده لينحت تمثالا . كما فسرنا مفهوم الفن بأنه عمل قائم بذاته ينفصل تمام الانفصال عن حياة العامة من الناس ، [illegible] سوى بعض الذين منحهم الله الموهبة .

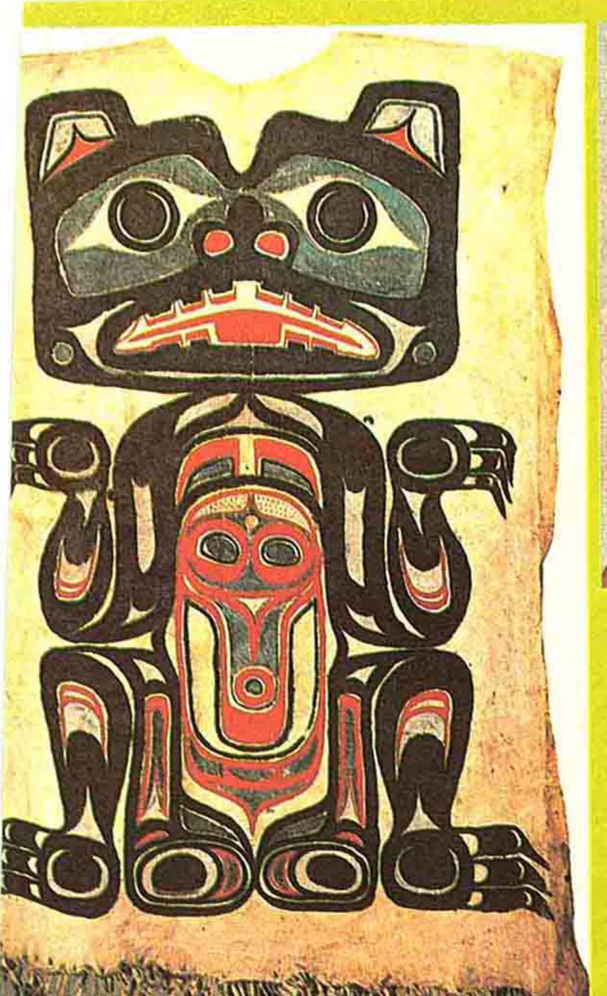
ولكن إذا ما أولينا الفن حقه من الدراسة الوافية ، اتضح لنا بأن هذا التفسير خاطئ . . فهو جزء لا يتجزأ من الحياة ، وضرب من النشاط ، له قيمة معنوية عند كل إنسان يدب على هذه الأرض . أما تاريخ الفن فيعود قطعاً ، إلى بداية تاريخ وجود الإنسان على هذه الأرض . ولعلّ هذا هو السبب الذي جعلنا نطلق على الإنسان الأولي في العصور الغابرة صفة « **فنان بالفطرة** » بعد استعراض آثاره المتبقية حتى اليوم .

وتتألف هذه الآثار من مجموعة كبيرة من اللوحات المتألقة المشرقة الرائعة ، المثيرة للإعجاب ، المرسومة على جدران الكهوف والملاجئ الصخرية التي التجأ إليها الإنسان آنذاك هرباً من قسوة الطبيعة ، وهي شبيهة بلوحات الأطفال الموهوبين التي تعد أعمالهم البريئة مدرسة للفنانين الكبار المحترفين . وقد أدت الدراسات الأثرية إلى جمع مجموعة كبيرة من الأعمال الفنية من أوان فخارية وتماثيل ومجوهرات ومعابد تمثل كلها تلك الحضارات المندثرة التي طواها الزمن مع شعوبها .

والحقيقة أن الفن قد ظل واحداً من وسائل التعبير التي نستخدمها في إبداع النظام استناداً إلى الخبرة الطويلة التي اكتسبناها من الحياة . فالنشاط والفاعلية اللذان يرافقان مراحل إنجاز



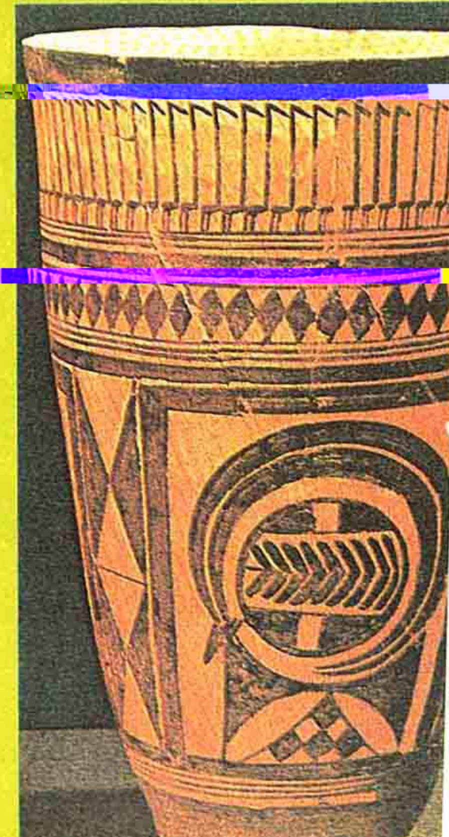
★ مركبة الشمس ★



★ الطوطم ★

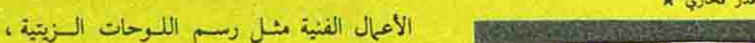
# الفنية

ترجمة : محمد كامل خليل هنداوي



★ قدر فخاري ★

الأعمال الفنية مثل رسم اللوحات الزيتية ، والنحت ، والكتابة والغناء لها أكثر أهمية في بعض الأحيان من العمل المنجز ذاته . لأن الفن يشبع حقاً رغبة إنسانية عميقة فضلاً عن سبره أغوار النفس البشرية ، مما يزيدنا معرفة بأنفسنا في كل مرة نتأمل فيها عملاً فنياً .



ولكل عمل فني مادته التي يستخدمها الفنان في إنجاز عمله . فالأعمال الفنية التي تتطلب استعمال المعدن والحجارة في تنفيذها لا يمكن تحقيقها بالخشب . وإذا لم تتوفر القناعة لدى الفنان حول المادة التي يود استخدامها في إنجاز عمله الفني ، رأيناه يلجأ إلى استنباط مادة جديدة تتناسب وعمله الفني الذي يرغب إنجازه .    هذا بشأن الفنانين في الماضي ، أما بشأن فناني هذا العصر فنشاهد العديد منهم يعالجون المواد وكأنهم نحاتون أو مثّالون ، في حين يستخدم النحاتون الأسلاك والمواد اللدائنية الشفافة في أعمالهم .

والأعمال الفنية نصادفها بأشكالها المتعددة أينما رحلنا أو حللنا في هذه الأرض . فالزجاج الملون نراه في المعابد وهو طراز **فن العمارة القوطي** ، أو محطات السكة الحديدية الحديثة المبنية في القرن العشرين . كما نرى في المتحاف الخزف الصيني ، أو النقوش ، والمنحوتات الخشبية الإفريقية ، أو المخطوطات الإسلامية ، مما نستدل بأن الفن متعدد الأساليب ، يعكس أفكار فئات متعددة يتكون منها مجتمع ما ، ومتأثر بآراء الناس المختلفة العديدة حول دوره المرجو منه ، ومناخ البلدان المتبدل من مكان إلى آخر ، والمهارات المحلية التقليدية . لهذا يمكننا أن نطلق على كافة فنون العالم السائدة على الأرض على أنها «كنز الإنسانية الفني» لأنها سجلت بهذه الطريقة الفنية كافة التأثيرات الخارجية على الإنسان طوال العصور الماضية

والأزمنة الغابرة ، ولا يغيب عنا القول هنا بأن الفن يربط الإنسان بالمستقبل أيضاً لأنه نابع من رغبة الإنسان في التعبير عما يجول في نفسه من صور بالتماثيل والرسوم واللوحات المرئية المفعمة بالحيوية .

**لقد شرع الإنسان بإنجاز الأعمال الفنية قبل خمسة وعشرين ألف عام تقريباً في العصر الحجري القديم** . ومثل هذه الرسوم والنقوش مشاهداته وانطباعاته أثناء قيامه برحلات الصيد ، مثل مشاهد الحيوانات المتوحشة وعمليات الصيد والقنص . وهناك مقولة تقول بأن هذه اللوحات التصويرية لعبت دوراً لا بأس به في مفهوم نوع من أنواع السحر الرمزي ، مبررة هذا بأن الفنان كان لا بدّ وأنه يشعر أثناء مراحل إنجازه لعمله الفني بتفوقه على الموضوع الذي يصوره مثل تصويره لحيوان ما يرغبون صيده أو جسم الإنسان .

ومع تقدم الزمن ، تطورت مواضيع الفن بعد مضي خمسة عشر ألف عام تقريباً في العصر الحجري الحديث ، وذلك بعدما انضمت القبائل إلى بعضها البعض لتشييد القرى والاستقرار فيها ، فأفسحت **أعمال الصيد** المجال أمام الإنسان لممارسة **أعمال الزراعة** البدائية على أثر انشغاله في تنظيم مستوطناته وقراه الصغيرة المبعثرة هنا وهناك ، وزراعة المحاصيل وحصدها ، وبالتالي انكبابه على دراسة قضايا هامة بالنسبة إليه آنذاك ، مثل تبدل الفصول وقوى الطبيعة من الشمس والريح والأمطار . فكان أن اتجه فنانو ذلك العصر إلى تشييد الآثار والنصب التذكارية الفنية من التراب والحجارة والطين ، بدلا من تصوير الثور الأمريكي والغزال أثناء جريها وثوبها كما سبق أن فعل أسلافهم من الفنانين . كما استخدموا الرموز والأشكال التجريدية الفنية في تزيين أدواتهم المنزلية ، ومنها القدور المعدنية والفخارية والزبديات والطاسات ، علاوة على تصويرهم أشكال الحيوانات بشكل مبسط ، والرمز إلى الإنسان بخطوط كأنها عيدان من الخشب ، وقد وجد علماء الآثار في **أوروبا وآسيا** بعض الآثار للمجتمعات الإنسانية البدائية ، تدل على أنهم عرفوا فن تشكيل وتخطيط وتصوير ونسخ الأواني الخزفية وتزيينها ومارسوها .

ويؤيد هذه الظاهرة وجود بعض الشعوب البدائية حتى الآن التي تقطن معنا هذه الأرض وتمارس ذات الطرق والوسائل التي استخدمتها شعوب العصر الحجري في التعبير عن أعمالها الفنية من رسم ونحت . ترسم أشكالا رمزية ونماذج بسيطة فتنت فناني العصور التالية ، بما فيهم أولئك الذين ورثوا العادات والتقاليد والمعتقدات والثقافة عن حضارات أسلافهم الرفيعة وأسرت لبهم . ويتضح لنا أثر أعمال الفنانين البدائيين ما قبل التاريخ ، في بعض أعمال الفن المعاصر إذا ما تناولنا مدارس الفن الحديث وتطوراتها بدراسة مستفيضة شاملة .

ورسوم فناني ما قبل التاريخ تتميز عادة بدقة تصوير الحيوانات من ناحية الأبعاد والمقاييس ، وذلك لأن الحيوان كان مصدراً للحصول على الطعام واللباس معاً ، مما لزم على الإنسان البدائي أن يلم إلماماً واسعاً ودقيقاً بالتركيب البنيوي للحيوان إذا رغب التوفيق في صيد طريدته . فكانت هذه الرسوم الدقيقة للحيوانات التي رسمها على جدران الكهوف بمزيج من تراب الأرض الأحمر ، الأصفر اللون ، وشحم الحيوان . كما ألف الفنانون تصوير الحيوان بمفرده ، رغم تصويرهم لبعض المشاهد الفنية من حين لآخر ، مثل تلك الصورة التي نشاهد فيها حيواناً قد أصيب بجرح قاتل يهم بمهاجمة الصياد . نلاحظ في هذه الصورة أن الفنان قد اهتم أثناء تصويره آنذاك للإنسان بمشاعره تجاه عمله أكثر من التركيب البنيوي للإنسان الصياد ، أو شكله الخارجي ، إذ لم يعن بدقائق جسمه ، بل اكتفى في تخطيط جسم الصياد المسجى على الأرض بخطوط عضوية . علماً بأن هناك رسوماً قد تم فيها تصوير بعض أجزاء الجسم بشكل مبالغ فيه لأسباب سحرية وشعوذية . وكمثال على هذا تمثال **فينوس** العائد إلى العصر الحجري (وليس المقصود هنا بفينوس الهة الحب والجمال عند الرومان) الذي ظهر فيه كل من الصدر والنهدان والبطن أكبر من حجمه الطبيعي المقرر ، رمزاً للخصب .

ومع مرور الزمن يتخلى فنانو العصر الحجري الحديث عن تصوير أمثال هذه الرسوم ، ونحت التماثيل المفعمة بالحركة ، وراحوا يزينون ويزخرفون أشياء كالقدور الفخارية بأشكال هندسية واضحة المعالم ومرضية كما اهتموا بتصوير جسم الإنسان وتوضيح معالمه بدقة أكثر على عكس ما كان متبعاً في فن العصر الحجري القديم

وهناك اعتقاد لدى علماء الآثار والتاريخ الآن بأن تلك الصور المتدفقة المتكررة كانت على الأرجح بمثابة الخطوة الأولى تجاه استنباط الكتابة التصويرية[٢] التي تم اكتشافها في كل بقعة من بقاع هذا العالم الرحيب .

وإذا ما اطلعنا على حياة بعض شعوب هذا العصر الذين نطلق عليهم لقب «**الشعوب البدائية**» وجدناهم قلّما يختلفون في نمط حياتهم الذي يتبعونه عن نمط حياة أجدادنا الأولين . فما زالوا يستخدمون الأدوات والمواد الأولية التي استخدمها أجدادهم الأوائل مثل النول (**المنسج**) ، والمدية (**السكين**) ، والقدور الفخارية ، والكتل الخشبية ، وأوراق شجر النخيل الممزقة . إلا أن إنجازاتهم الفنية تصل إلى أوج الكمال سواء من ناحيتي التصميم أو الإحساس والعواطف المنصبة في العمل بحد ذاته ، مثلها مثل أعمال العالم المتحضر الفنية .

وكمثال على هذا نرى الإنسان البدائي

★ القناع ★



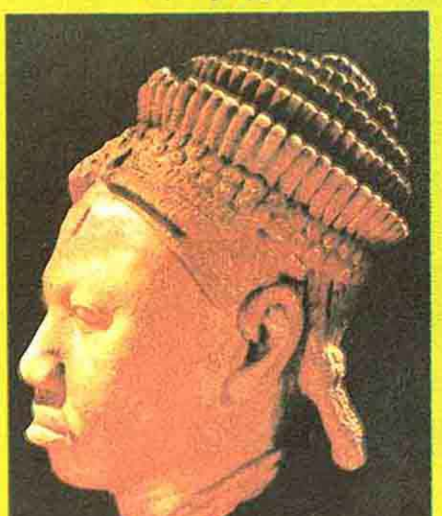
★ لوحة تصور لنا الفنان مستغرقاً في عمله ★

الذي ينتمي إلى أفراد أحد الشعوب البدائية التي ما زالت تعيش في هذا العصر ، يأخذ مثله [redacted] أو إنسان نموذجاً لعمله مستخدماً فيه الزوايا الحادة ، أو المنحنيات ، أو الخطوط ، أو الدوائر ، وسيلة للتعبير . وإننا نلاحظ هذا عند الفنانين **الهنود** القاطنين في الساحل الشمالي الغربي من الولايات المتحدة ، حيث ما زالوا حتى اليوم يزخرفون منازلهم وألبستهم وأدواتهم وأوانيهم ويزينونها بلوحات تمثل أرواح الحيوانات المنقوش منها والمرسوم تعرف **بالطوطم**[٣] ، اعتقاداً منهم بأن أصل العائلات التي تتكون منها كل قبيلة من القبائل تنحدر من أرواح الحيوانات مثل **الدب أو الوشق**[٤] .

بالإضافة إلى هذا نرى بأن **النحاتين الإفريقيين** كانوا يعدون حتى وقت قريب الفنانين الأكثر انفعالا ، والأشد خيالا بين فناني العالم ، والدليل على هذا بعض الصور التي اعتبرت نماذج لأعمال الحفر الفنية التي أنجزها فنانو القبائل وأرادوا منها تمثيل أرواح أجدادهم التي تحوم ـ في اعتقادهم ـ حول الأكواخ ، وأماكن القبيلة . وقد كان الفنان في كل حالة من هذه الحالات يختار فكرة مرئية معينة مثيرة للصور الذهنية ـ كجلسة مرنة أو انحناءة تعبّر عن الذل والخوف ـ ينحت منها نموذجاً واضح المعالم .

كما اشتهر فنانو **سلسلة بولينسيا وميلانيسيان** مثلهم مثل زملائهم من الإفريقيين بفن نحت الخشب ، فطعّموا منحوتاتهم بالودعات ، أو الصدفات الصفراء اللون أحياناً ، أو قطع من المرجان ، أو أهداب سعف النخيل ، ليضفوا الجمال على أعمالهم السلكية ، وقد نرى في بعض الصور استخدام الفنانين مواد عديدة مثل قماش القنّب ، وريش الطيور وسعف النخل . وقد تميز أيضاً فنانو **جزر السلمون** أيضاً بذوق رفيع في اختيارهم الألوان لأعمالهم . مثل تلبيس رأس أسود بالخشب مطعم بالصدف .

★ بورتريه من الحجر ★



## الحواشي

(١) الحامل : مسند الرسام للّوح الأسود أو القماشة .

(٢) الكتابة التصويرية : شكل بدائي من الكتابة استخدمت فيه الصور رموزاً للمعاني .

(٣) الطوطم : شيء (كحيوان أو نبات) يتخذ رمزاً مقدساً للأسرة أو العشيرة .

(٤) الوشق : حيوان من فصيلة السنانير أصغر من النمر .

# معهد التراث العلمي العربي

## أهـــدافـــه ... ونشـــاطـــاتـــه



★ الدكتور محمد علي حوريه رئيس جامعة حلب ★

**لا شك أن دراسة تاريخ العلوم هي السبيل التي نستطيع بواسطته تحليل الحضارة وفهم الإنسان وتطوره ، وهي الوسيلة التي تمكننا من إدارك المعنى الأعمق لمختلف فروع المعرفة البشرية .**

وبالرغم من تزايد الاهتمام بتاريخ العلوم منذ منتصف القرن الماضي وتسابق الجامعات في العالم إلى إنشاء معاهد للأبحاث في هذا المضمار ، فإن الاهتمام بدراسة **تاريخ العلوم العربية والإسلامية** كان قليلاً .

ولكن الجامعات في مختلف أنحاء العالم أصبحت تدرك ، منذ بداية هذا القرن ، أهمية الدور الكبير الذي لعبه العلماء العرب والمسلمون في تطوير العلوم والوصل بين العلوم القديمة والحديثة ، مما دفعها إلى التعمق في دراسة منجزات العرب والمسلمين في مختلف الميادين .

**ونتيجة لهذا فإن ما نشر ، حتى الآن ، من أبحاث جادة في تاريخ العلوم العربية والإسلامية قد تم من قبل الباحثين الغربيين بالدرجة الأولى والتي لم يهتم أحد ، حتى يومنا ، بمجرد ترجمتها إلى العربية .**

ومع أن الباحثين الغربيين قد أدوا خلال النصف الأخير من القرن الماضي والنصف الأول من القرن الحالي خدمات جلى بتعمقهم بدراسة التراث العلمي عند العرب والمسلمين فإن نظريتهم للأمور تظل ، على الغالب ، مطبوعة بطابع غربي لا يستطيع أن يسبر أعماق الفكر العربي الشرقي ، هذا إضافة إلى أنه ظهرت فئة من الباحثين تحاول ، بشكل متعمد ، طمس فضل العرب والمسلمين ودورهم في تطوير الحضارة الإنسانية .

ومن أجل المساهمة في تسليط الأضواء على الدور الحضاري للعرب والمسلمين وربطه بسلسلة تاريخ العلم . . فقد أحدث في **جامعة حلب معهد للتراث العلمي العربي** فحمل على عاتقه هذه الرسالة القومية والإنسانية الهامة .

وقد تأسس معهد التراث العلمي العربي ( والذي يضم قسم العلوم الأساسية ، وقسم تاريخ العلوم الطبية ، وقسم تاريخ العلوم ) بموجب المرسوم التنظيمي رقم / ١٩٠٥ / لعام ١٩٧٦ م ، ومن مهامه الأمور التالية :

أ ــ **الكشف عن التراث العلمي العربي في مختلف الميادين** وجمعه وتصنيفه وتحقيقه ونشره بنصوصه الأصلية وترجمته إلى اللغات الأجنبية .

ب ــ **إعداد الدراسات والبحوث المختلفة** في موضوعات التراث العلمي العربي .

جـ ــ **إعداد الباحثين وتدريبهم** في مختلف ميادين التراث العلمي العربي .

د ــ **منح الدرجات العلمية للمتخصصين في التراث العلمي العربي** . . ومن المتوقع أن يكون **دبلوم الدراسات العليا ودرجة الماجستير ودرجة الدكتوراه** قد منحت اعتباراً من العام الدراسي ١٩٨٠ / ١٩٨١ م .

هـ ــ **إصدار المجلات والدوريات** المتخصصة ونشر البحوث والمؤلفات .

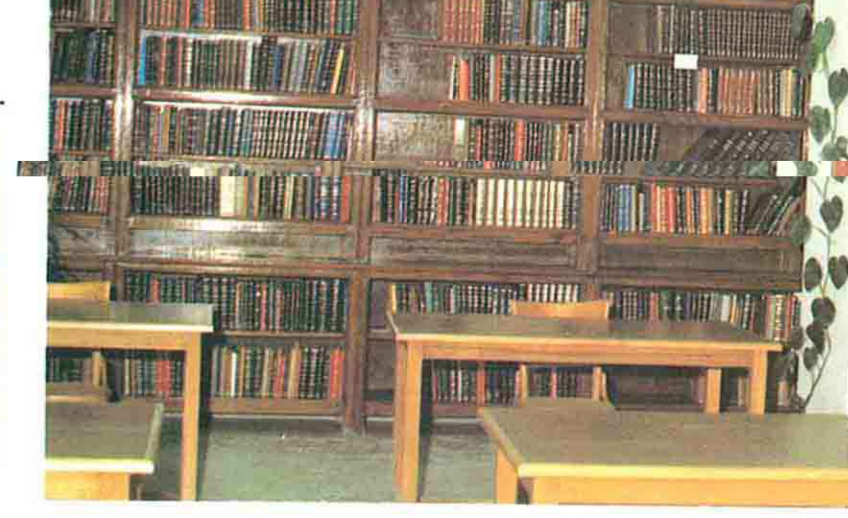
و ــ **جمع المخطوطات العلمية العربية** وتحقيقها وترجمتها ونشرها .

ز ــ **تكوين مكتبة لصور المخطوطات العلمية العربية**

★ نموذج ناعورة لدفع الماء ــ من مقتنيات متحف العلوم والتكنولوجيا ★



★ جانب من مكتب معهد التراث العلمي ★



إعداد: مصطفى موالدي

★ الدكتور خالد ماغوط ــ مدير المعهد ★



الموزعة في أنحاء العالم بحيث تصبح مكتبة المعهد مرجعاً أساسياً للباحثين.

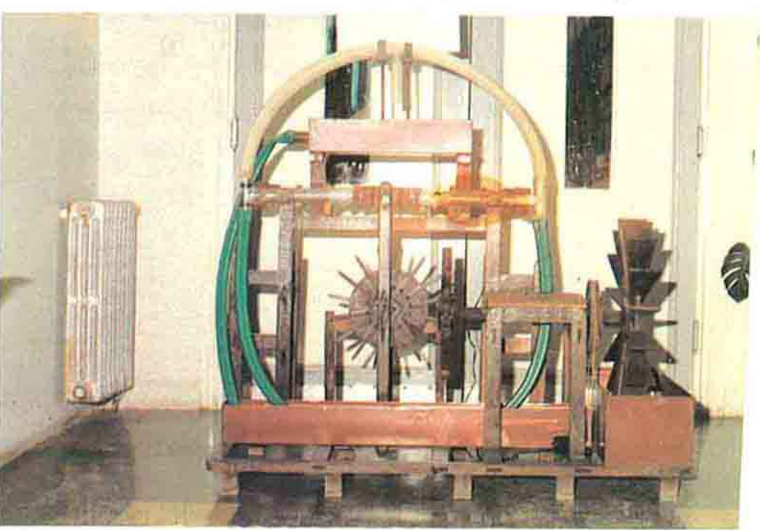
حـ ــ **دعوة الباحثين العرب والأجانب وتنسيق جهودهم** للاسهام في مشروعات التراث العلمي العربي.

ط ــ **عقد الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية** ونشر نتائج أبحاثها.

ي ــ **الاشتراك في المؤتمرات المحلية والدولية المتخصصة.**

**ويقوم بإدارة معهد التراث العلمي العربي السيد الأستاذ الدكتور أحمد يوسف الحسن بالتعاون مع السيد الأستاذ الدكتور خالد ماغوط** ويعاونهما في تخطيط سياسة المعهد مجلس مؤلف من السادة: الأستاذ **الدكتور عمر الدقاق**، والأستاذ **الدكتور عبد الكريم شحادة**، والأستاذ **الدكتور إدوارد كندي.**

★ نموذج مضخة مائية عربية لدفع الماء ــ من مقتنيات متحف العلوم والتكنولوجيا ★



## منجزات المعهد

استطاع معهد التراث العلمي العربي بالرغم من الفترة القصيرة التي مرت على إحداثه أن يسلّط الأضواء على عدد كبير من المنجزات التي قدمها العرب للحضارة الإنسانية من خلال إصدار عدد من الكتب والدوريات من أهمها:

١ ــ **«تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية» تأليف الدكتور أحمد يوسف الحسن.**

٢ ــ **«ابن الشاطر فلكي عربي من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي» إعداد الدكتور إدوارد كندي والدكتور عماد غانم.**

٣ ــ **«رياضيات بهاء الدين العاملي ٩٥٣ ــ ١٠٣١هـ/ ١٥٤٧ ــ ١٦٢٢م» تحقيق الدكتور جلال شوقي.**

٤ ــ **«مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة بحلب» تأليف الدكتور سلمان قطايه.**

٥ ــ **«الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل» للجزري تحقيق الدكتور أحمد يوسف الحسن.** ويصف الكتاب خمسين آلة ميكانيكية أو ميكانيكية ــ هيدروليكية كالساعات المائية وآلات رفع الماء والنوافير التي تتبدل من تلقاء ذاتها. وهو يصور قمة الإنجاز العربي في التكنولوجيا الميكانيكية.

٦ ــ **«أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب» (١٩٧٦م).**

٧ ــ **كتاب «ما الفارق» لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي تحقيق الدكتور سلمان قطايه.**

**ولم تقتصر منشورات المعهد على الكتب العلمية إنما تجاوزت ذلك إلى إصدار عدد من الدوريات التي أخذت تحتل مكاناً هاماً على المستوى الدولي وهي :**

أ ـ « **مجلة تاريخ العلوم العربية** » ويتولى المعهد إصدارها كل ستة أشهر وتتضمن مقالات باللغة العربية واللغات الأجنبية ويشرف على تحريرها لجنة من كبار المختصين بتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين في العالم .

ب ـ « **مجلة عاديات حلب** » وهي مجلة سنوية تصدر عن معهد التراث العلمي العربي بالتعاون مع جمعية العاديات ، وتتناول الدراسات المتعلقة بالآثار والتراث العلمي العربي وتركز على منجزات العرب في مجال تطوير الحضارة الإنسانية .

جـ ـ « **رسالة معهد التراث العلمي العربي** » تصدر كل ثلاثة أشهر ، غايتها تسليط الأضواء على نشاطات معهد التراث ونشاطات المعاهد الأخرى في العالم المهتمة بالدراسات التاريخية العربية والإسلامية وقد صدر منها (١٨) عدداً .

وهنالك العديد من المطبوعات تحت الطبع وفي صدد إخراجها ، إلى جانب العديد من الكتب المعدة للطبع وكذلك التي هي قيد الدراسة والتقييم .

## علاقات المعهد الدولية والمؤتمرات

● **جامعة روما :**

يشترك المعهد في الاتحاد الدولي لتاريخ وفلسفة العلوم الذي يضم مجموعة كبيرة من الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وألمانيا الاتحادية وفرنسا بالإضافة إلى عدد كبير من المنظمات الدولية المهتمة بتاريخ العلوم .

ويتعاون المعهد مع عدد كبير من الجامعات والمؤسسات العلمية الدولية كجامعة روما التي استهدف التعاون معها ارساء قواعد وطيدة للدراسات الحضارية والأثرية التاريخية والقاء الأضواء على الأبجديات القديمة والمنجزات المادية والفكرية التي عرفتها الممالك والمدن العريقة في بلاد الشام في فجر تفتحها الحضاري مثل مدن **ماري وحلب وأيبلا وأوغاريت وجبيل** ، والعمل على ايجاد الأساس السليم لإعادة كتابة تاريخنا القديم على ضوء المكتشفات الحديثة .

● **معهد التراث الفرنسي :**

كما عقدت اتفاقية تعاون مع معهد التراث والمركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي C. N. R. S. ، تتضمن إقامة اتصالات منظمة لإعداد وتنفيذ برنامج بحث في مختلف مجالات تاريخ العلوم العربية وتحقيق عدد كبير من النصوص باللغتين العربية والفرنسية يتولى معهد التراث دراسة القسم العربي منها ويأخذ المركز الوطني للبحوث العلمية على عاتقه ترجمتها إلى اللغة الفرنسية .

● **معهد تاريخ العلوم والتكنولوجيا :**

وكذلك عقد معهد التراث اتفاقيات تعاون في مختلف مجالات تاريخ العلوم عند العرب مع معهد تاريخ العلوم والتكنولوجيا التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي وجامعة برشلونة ومعهد المخطوطات العربية بالقاهرة والجمعية الآسيوية بباريس ولجنة التعاون الدولي في تاريخ التكنولوجيا ( ICOHTEC ) .

● **اليونسكو :**

وقد اهتمت منظمة الثقافة والتربية والعلوم الدولية ( اليونسكو ) بمعهد التراث ، نتيجة للسمعة الدولية التي حصل عليها ، فدعته للمشاركة في إعداد دراسة حول الديناميكية التاريخية لانتشار العلم والتكنولوجيا ، واختارته مكاناً لعقد اجتماع ضم كبار المهتمين بالحضارة الإسلامية في العالم خلال الفترة ١٠ و ١٣ تموز ( يوليو ) ١٩٧٨ م ، من أجل وضع خطة مؤلف عن المظاهر المختلفة للثقافة الإسلامية .

● **الاشتراك في مؤتمرات وندوات دولية :**

وكان من الطبيعي أن يحرص المعهد ، أيضاً على عدم تفويت فرصة الاشتراك ، بشكل أو بآخر ، في أي مؤتمر دولي يتعلق بتاريخ العلوم كي يكون أحد الناطقين باسم العرب في هذه المؤتمرات ، فشارك في المؤتمر الدولي الخامس عشر لتاريخ العلوم الذي عقد في أدنبره باسكتلندة في الفترة بين ١٠ و ١٩ آب ( أغسطس ) ١٩٧٧ م ، وشارك في الندوة العلمية التي أقيمت احياء لذكرى الطبيب العربي والعالم أبي بكر الرازي بجامعة عين شمس بالقاهرة في شهر تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٦ م ، ولعب دوراً هاماً في أعمال لجنة خبراء اليونسكو التي دعيت للاجتماع في باريس لتقديم المشورة حول وضع البرنامج التنفيذي للعلم والتكنولوجيا في المجتمع المعاصر وتأثيرها الفعال في التطور الاقتصادي والاجتماعي لعامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠ م ، وكذلك دعي المعهد إلى العديد من المؤتمرات والندوات في دول العالم المختلفة .

## المشاريع العلمية للمعهد

**أ ـ تحقيق المخطوطات والدراسات :**

يقوم بأبحاث معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب مجموعة من



★ مبنى معهد التراث العلمي العربي ★

الباحثين من مستويات وبلدان عديدة منهم العرب والأجانب ومنهم العاملون ضمن المعهد ومن خارجه، وذلك في مجال تحقيق ودراسة المخطوطات وترجمتها إلى اللغات الأجنبية، وكذلك في إعداد الدراسات والبحوث المختلفة في موضوعات التراث العلمي العربي ونشرها في مؤلفات ودوريات وسلاسل .

### ب ـ « موسوعة حلب المقارنة » للعلامة خير الدين الأسدي :

يقوم معهد التراث العلمي العربي بطباعة « موسوعة حلب المقارنة » للعلامة خير الدين الأسدي ، فهي تجمع كل ما يتصل بلهجة حلب المحلية وما تشتمل عليه من تشبيهات واستعارات وكنايات ومجازات ووسائل تعبير أخرى . وتضم أيضاً كل ما يمت إلى أهل مدينة حلب من معتقدات وخرافات وحكايات وما يدور على ألسنتهم من أناشيد وشعر وأغنيات ثم ما كانت عليه ملابسهم ومطابخهم ، وما كان حول حلب من بواد وقرى ، ولم يغفل ذكر أحيائها وبعض الأسر المعروفة فيها .

### جـ ـ « موسوعة الحرف والصناعات التقليدية » :

حرصاً من المعهد على الحفاظ على التراث السوري الحرفي ، وخوفاً من طغيان الصناعات الحديثة على الإنتاج الحرفي الفني والتقليدي ، فقد ارتأى إصدار تأريخ الحرف والصناعات التقليدية السورية في موسوعة علمية فنية تجمع كافة المعلومات عن تلك الحرف ونشرها ضمن موسوعة واحدة باللغتين العربية والإنكليزية بحيث تصبح مرجعاً تاريخياً هاماً للباحثين في هذا المجال .



### د ـ مسح شامل للمنشآت المائية العربية في سورية :

يستهدف مسح كافة النواعير والغرافات وطواحين الماء ومنشآت الآبار ووصفها وصفاً دقيقاً .

### هـ ـ إحداث متحف تاريخ العلوم :

انطلاقاً من الاعتقاد بأن متحف العلوم والتكنولوجيا سيكون مختبراً لجميع الطلبة في كافة المراحل الدراسية ولعامة الشعب ليشاهدوا تطور الآلات والأجهزة مع الزمن وليكتشفوا دور العرب في تطور العلوم ، لذا فإن معهد التراث يتخذ الإجراءات اللازمة لإحداث المتحف فقد جمع المعهد عدة مقتنيات منها ( سيفان من الفولاذ الدمشقي ـ أدوات طبية قديمة ـ كرتان سماويتان ـ نموذج ناعورة ـ نموذج لإحدى آلات رفع الماء ( مضخة ) ـ نموذج طاحونة ـ أعشاب ونباتات طبية . . ) .

## مكتبة معهد التراث العلمي العربي

تتكون مواد البحث بشكل أساسي من المخطوطات العلمية العربية ومما نشر في تاريخ الحضارة والعلوم العربية الإسلامية سواء على شكل كتب أو مقالات . ولذا يسعى المعهد إلى اقتناء الكتب والمجلات والمخطوطات والموسوعات الأساسية في ذلك المجال ، وكانت المكتبة تتطور من عام لآخر بحيث أصبحت على الشكل التالي :

- كتب عربية وأجنبية (٩٠٥٠) .
- مجلات ودوريات عربية وأجنبية (١٩٠) .
- مخطوطات (٤٠٠) .
- تسجيلات صوتية (١٠٠) .
- كتيبات (نشرات ، كراسات) (١٠٠٠) .
- ميكروفيلمات عن مخطوطات من مكتبات عربية وأجنبية (١٣٠٠) .
- مع مقتنيات أخرى (وثائق ـ حجج أوقاف ـ أفلام سينمائية ـ خرائط ـ موسوعات . . . ) .

ونحن بصدد إعداد (كاتلوجات) لمختلف المقتنيات التي تحتويها المكتبة . ويلحق بالمكتبة قسم للتصوير ويحوي الأجهزة الأساسية لتصوير وطباعة المخطوطات والكتب والوثائق الهامة .

إن معهد التراث العلمي العربي ما زال في بداية الطريق وهو يعمل جاهداً بكافة إمكاناته وطاقاته لإبراز وجه العرب المشرق وتحقيق طموحاته وأمنياته وذلك بالتعاون مع المراكز والمعاهد العربية والأجنبية الأخرى المهتمة بالتراث العلمي العربي ، والمعهد يرحب بأي مشروع تعاون في سبيل بعث تراثنا العربي وتحقيقه ونشره .



## حيوان
Animal

### هدية التزاوج ذبابة

الذبابة (لامايثين) المعروفة باسم Black-Tipped Hanging fly (Hylobittacus apicalis) أي الذبابة السوداء القلابة المعلّقة ، وهي صنف من الحشرات لها عادات غريبة وسلوك عجيب في التصرّف عند التزاوج ، طولها حوالي (٣) سم ، وجسمها ضامر بنيّ اللون ، ولها أربعة أجنحة تنتهي ببقع سوداء ، وسمّيت بالمعلقة لأنها تتعلّق على أغصان الشجر أو الأوراق بواسطة قوائمها .

يصطاد الذكر الفريسة (وغالباً ذبابة) بواسطة قوائمه الخلفية التي تنتهي كل منها بكلّابة قوية ذات مفصل قابل للانطواء إلى الداخل ، ثم يعلّقها على فرع شجرة ، ويتعلّق هو بجانبها ، ويُطلق بعدها رائحة معيّنة من غدتين على بطنه ، تشمّها الأنثى وتفهم المقصود منها ، فتحط أمامه على الغصن حيث يعرض عليها هديته ، فإذا رضيت بها أمسكتها بإحدى قائمتيها الخلفيتين وشرعت بالتهامها ، والذكر أيضاً يمسك بها بنفس الشكل ، ثم يتم التزاوج والاثنان ممسكان بالذبابة **(كما نرى في الشكل)** .. وكثيراً ما ترفض الأنثى الهدية إن كانت صغيرة أو ضامرة وتطير بعيداً عن مقدمها .. وفي جميع الحالات يجري بعد التزاوج عراك بين الذكر والأنثى لاستخلاص الذبابة — وهذا هو السبب في أن الاثنين يمسكان بها عند التزاوج — ، ودلّت أبحاث علماء الحشرات أنه بعد العراك دائماً يفوز الذكر بالنسبة الأكبر من الفريسة (حوالي ٦٤ في المائة) وتفوز الأنثى بحوالي (٨ في المائة) فقط والباقي يتساقط على الأرض ، وقد يستعمل الذكر بقية الفريسة لعرض جديد لأنثى أخرى .. هذا ورغم أن باستطاعة الأنثى اصطياد الفرائس إلا أنها تعتمد اعتماداً كلياً في غذائها على الهدايا التي يقدمها الذكور .

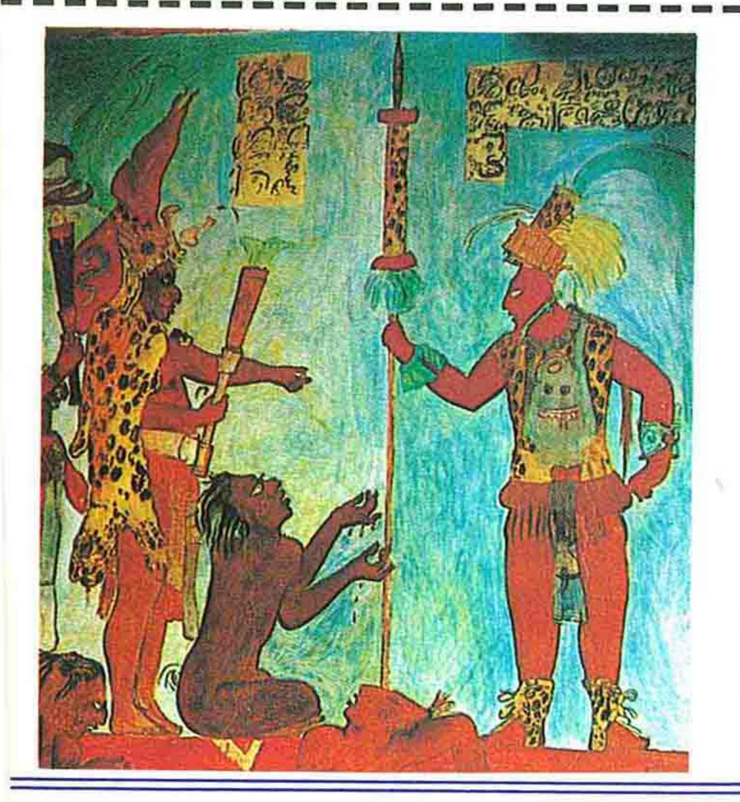
ومن مراقبة سلوك هذه الحشرة تبيّن لعلماء الحشرات أن الإناث تتخيّر الذكر القوي القادر على جلب الذبابة الممتلئة والكبيرة وتبتعد عن الذكر الذي يقدّم ذبابة ضامرة نحيفة كهدية ، وحسب نظرية الاصطفاء الجنسي للمخلوقات فإن تطوّر الخصائص الخلقية (لون الريش الزاهي . حدّة القرون . جمال الشكل الخارجي) هي أحد سببين رئيسيين لعملية الانتقاء عند الحيوان ، ولذلك نرى في عالم الحيوان أمور تبدو مناقضة لطبيعة الحياة ، فالذكر هو الذي يتمتع بالشكل الجميل (الأسد . الطيور الملونة . .) وهو الذي يستعرض مفاتنه أمام الأنثى . . وهذه حكم مقدّرة أرادها الله سبحانه وتعالى لعالم عجماوات لا تقدير عندها لميّزات خُلقية أو صفات نفسية .

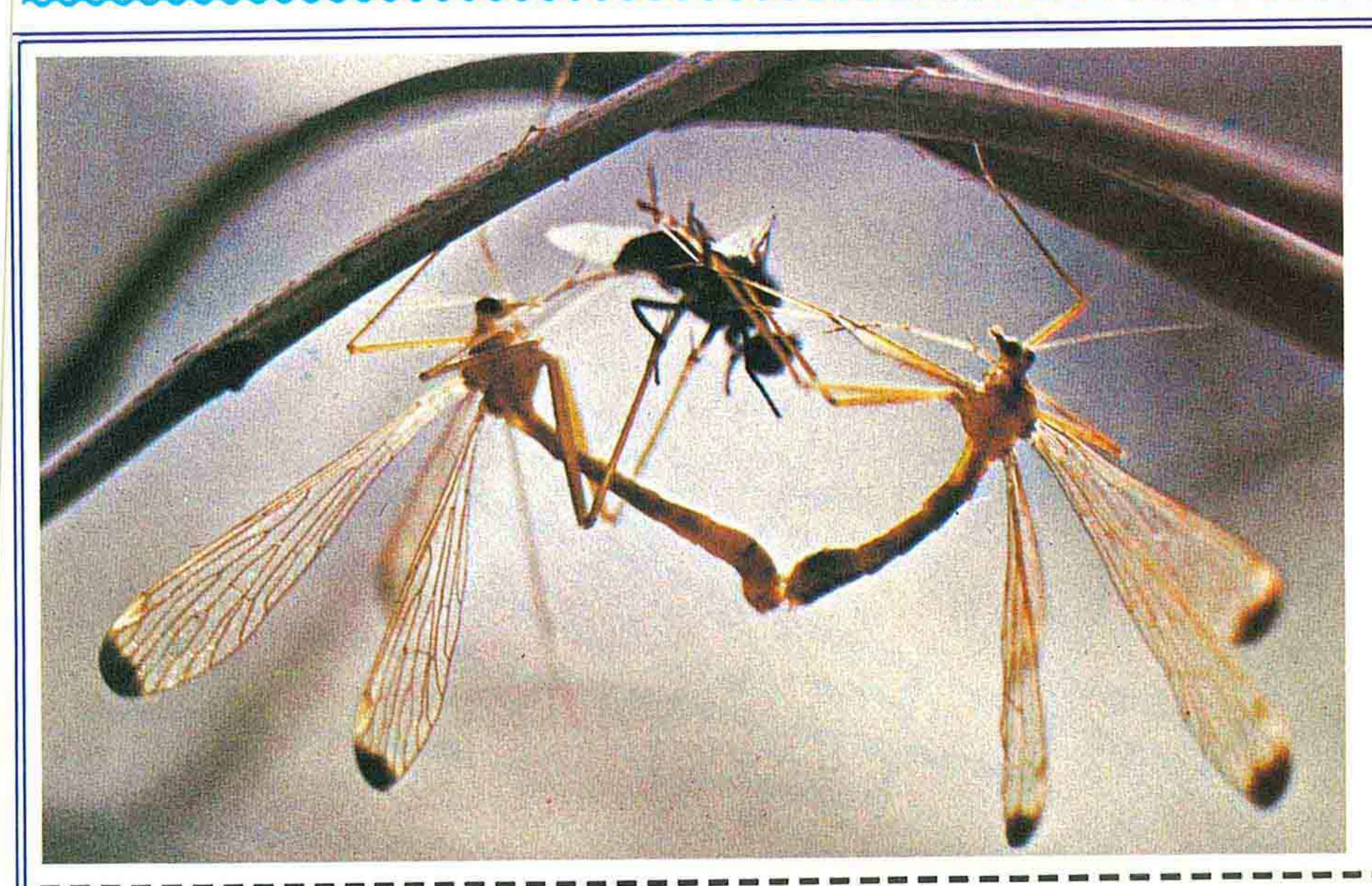
## حضارات
Civilization

### المايا .. وكوكب الزهرة

**قبائل المايا Mayan من قبائل الهنود الحمر الذين سكنوا أميريكا الوسطى وبنوا حضارة عريقة مزدهرة منذ عام (٢٠٠٠) قبل الميلاد** — كشف حديث أعاد تاريخ حضارتهم إلى سنة (٧٠٠٠) قبل الميلاد — ، واندثرت هذه الحضارة بصورة مفاجئة وسريعة عام (٧٠٠) ق . م ، بعد أن وصلت إلى حالة رقي وتقدم في كافة المجالات ، فسكنوا المدن الكبيرة العامرة ، وكان لهم نظم حكم وقضاء متطورة ، كما استعملوا أساليب في الزراعة تدل على تمكنهم من خبرات هندسية متفوقة أهمها شبكات ممتدة من أقنية الصرف والري حوّلوا بها أراضي المستنقعات إلى أراضي زراعية خصبة .

وفي آخر ندوة علمية عقدت **في جامعة أكسفورد** لبحث أسس هذه الحضارة ، كان أهم البحوث بحث قدّمه **عالم الإنسانيات (فلويد لاونسبيري** Floyed Lounsbury) **عالم الأنثروبولوجي** Anthropologist **في جامعة ييل في**





سويسرا، بيّن فيه أن التقويم والتواريخ التي اعتمدتها هذه الحضارة اعتمدت على دورة **كوكب الزهرة** Venus حول الشمس، وأن جميع التواريخ المدوّنة على المسلات **والصور الزيتية** Morals والأبنية المتداعية المبعثرة في أحراش **المكسيك وغواتيمالا** تمثل فترات تبدّل مواقع كوكب الزهرة في الفضاء.

وقد ركّز لاونسبيري على (٢٠) تاريخاً مدوّناً على جدران البيوت في موقع للمايا يدعى (**بونامباك** Bonampack) في جنوب شرقي المكسيك، كلها ترتبط بعلاقة وثيقة مع دوران كوكب الزهرة حول الشمس، كما أن الرموز الغامضة في مواقع أخرى للمايا تمثل كوكب الزهرة في أوضاع مختلفة. كما بيّن لاونسبيري أن زعماء قبائل المايا كانوا يستشيرون المنجّمين في القبائل لتحديد مواعيد بدء الغارات على الأعداء بعد أن يستطلع هؤلاء أحوال الزهرة، كما أن مواعيد بدء الطقوس الاحتفالية الخاصة وحفلات النصر على الأعداء تبدأ وتنتهي بحسب أحوال كوكب الزهرة.

هذا الكشف تم عندما كانت (**ماري ميللر** Mary Miller) الطالبة في كلية تاريخ الفن في **جامعة (ييل)** تدرس عدة صور زيتية رسمها فنانو المايا على جدران ثلاث غرف مبنية في موقع (بونامباك) تمثل مراسيم وطقوس لإحدى غارات المايا على أعدائها، ومشهداً لتقديم أسرى العدو إلى ملك المايا (**انظر الصورة**)، وعلى هذه الصور توجد تواريخ بالرسوم ورموز فلكية غامضة، ورموز خاصة تمثل كوكب الزهرة نقشت بمكان بارز في أعلى الصور.. والدراسات المبكّرة لهذه التواريخ وافقت يوم (١٠) ديسمبر (كانون الأول) عام (٧٩٠) قبل الميلاد، ويوم (١١) نوفمبر (تشرين الثاني) عام (٧٩١).. أما تاريخ يوم تقديم الأسرى للملك فبقي غير معلوم.. واستشارت ميللر أستاذها لاونسبيري الذي حدد سبعة تواريخ محتملة لهذا الحدث، وُجد أن يوم (١٢) اغسطس (آب) عام (٧٩٢) هو اليوم الصحيح، وهو اليوم الذي تبدو فيه الزهرة في السماء وهي تمر أمام الشمس. وبمقارنة التاريخ الجديد مع التواريخ السابقة وُجد أنها تتزامن مع حالات معيّنة للزهرة في السماء، وبدا بوضوح بعد كل هذا أن قبائل المايا اعتمدت على كوكب الزهرة في أساس تقويمها وجميع تواريخها وشؤون حياتها الأخرى.




عنوان المكتبة

الرياض ـ خلف شارع الضباب ـ مجمع الشركة العقارية السعودية ـ ت ٤٠١٢٩٦٩

## شعر: أحمد عبد الهادي

أبنيّتي هذا صدى المشتاق
ورسالتي تُزجى من الأعماق
ولواعجي ثارت لهيباً في الحشا
وقست على ضعفي بلا إشفاق
وهواجسي تزداد من مُرِّ النوى
يا ليت شعري هل أطقت فراقي ؟
ومدامعي وهي عليك بُنيّتي
والقلب يشكو من لظى الإحراق

★ ★ ★

(لُبنى) أراك كما أرى تلك الربى
وقت الغروب وساعة الإشراق
(لُبنى) أراك أنا بكل جوارحي
لو أنَّ ثمة مَن يحلُّ وثاقي ؟
أبنيّتي ها قد بُليت من الضنى
وأتى الخريف فجفَّفت أوراقي
والحق لا أخفي عليك بنيّتي
هذي الحياة تدور مثل سواق
والعمر يسرع كانسياب قذيفة
أو مارد ينساب كالمزراق

★ ★ ★

أبنيّتي إني لأجلك دامع
ولبعد ثغرك لن تجفَّ مآق
كم مرة أرنو لطيفك باكياً
وأكرر النظرات في الآفاق
كم دمعة تبتلُّ منها لحيتي
حتى أحسُّ بغاية الإرهاق
ماذا أريد سوى لقاء بنيّتي
وأديم أرضي والربى ورفاقي
عيش الغريب أشد من وقع القنا
وأمرُّ من سمُ بكأس الساقي
ما هاجني إلا البلاد وبعدها
فأنا الغريب وبلدتي ترياقي

وأنا المهدد إن تركت نجادها
وإن اقتربت لقيت حصني الواقي
وأنا الذي وهب الحياة لأجلها
وأنا لأرضي حافظ الميثاق
وأنا المدافع عن كرامة قُدسها
ضد العدا كالصارم الذلاق
ما زلت ألهج ذاكراً أمجادها
كم يا بلادي حلوة بمذاق
ما كان هذا صادراً عن ريُب
أو آثم يبغي دروب نفاق
بل من جوانح مؤمن ببلاده
وأشد حباً من هوى العشاق

★ ★ ★

أبنيّتي هذي رسالة موجع
لا يرعوي عن دعوة الخلّاق
متقلباً فوق السعير مسهداً
يُحصي النجوم بدمعه الدفاق
مترقباً يوماً تعود لأهلها
أرض غزتها طغمة الفساق
متمنياً يوماً يرى أحبابه
متألماً من غمرة الأشواق
أرضي فلسطين التي لم أنسها
أو أنسَ شعباً طيّب الأعراق
غادرتها لترى قضية شعبها
أمم تسامت في الركاب الراقي
كم من رفاق في ثراها استشهدوا
وعلوا مبادئهم على الأعناق
ولكم تشرد في العراء شيوخها
ونساؤها والطفلُ في الآفاق

★ ★ ★

أبنيّتي لو أستطيع بأوبة
لأتيتَ صوبك قادماً ببراق
لكنّني لا أستطيع من الضنى
أبكي عليك بوابل مهراق
وجعلت دار العرب بين جوانحي
فهي الوجيب بقلبي الخفاق
يا رب فاحم العرب وارفع شأنهم
وامح العدو بوعده البراق
وأعد فلسطيناً إلى أبنائها
فهي المراد وأثمن الأعلاق

★ ★ ★

# شواطئ الوطن تدعوك للذود عنها بالتحاقك بالقوات البحرية

## فهي الطريق إلى الحياة الزاهرة



- حامل الثانوية المهنية .
- حامل الثانوية التجارية .
- حامل الكفاءة المتوسطة .
- خريج مراكز التدريب المهني.

حامل الثانوية المهنية والتجارية : يعين بعد التخرج من مركز التدريب ومشاة البحرية بجدة برتبة رقيب براتب مغري ، بالإضافة إلى علاوة بحرية لمن يعمل في البحر .

**حامل الكفاءة المتوسطة :**
يدرس اللغة والتدريب العسكري وفنوناً بحرية لمدة ١٣ شهراً بمعهد الدراسات البحرية بالدمام ، ويحصل أثناء الدراسة على مكافأة مع تأمين السكن والإعاشة والملابس العسكرية ، والعلاج المجاني طوال مدة الدراسة .
يتخرج برتبة وكيل رقيب ، ويحصل على راتب مغري . بالإضافة الى علاوة بحرية لمن يعمل في البحر .







بعد ذلك يدرس في مدارس التخصصات بقاعدة الملك عبد العزيز البحرية بالجبيل في أحد التخصصات التالية لمدة سنة ونصف :

١. هندسة ميكانيكية
٢. هندسة كهربائية
٣. ملاحة / علم فلك
٤. إدارة وتموين

خريج مركز التدريب المهني يدرس في مركز التدريب ومشاة البحرية بجدة ويعين برتبة عريف في نفس تخصصه ويحصل على راتب مغري . بالإضافة الى علاوة بحرية لمن يعمل في البحر .

### القوات البحرية تؤمن لك :

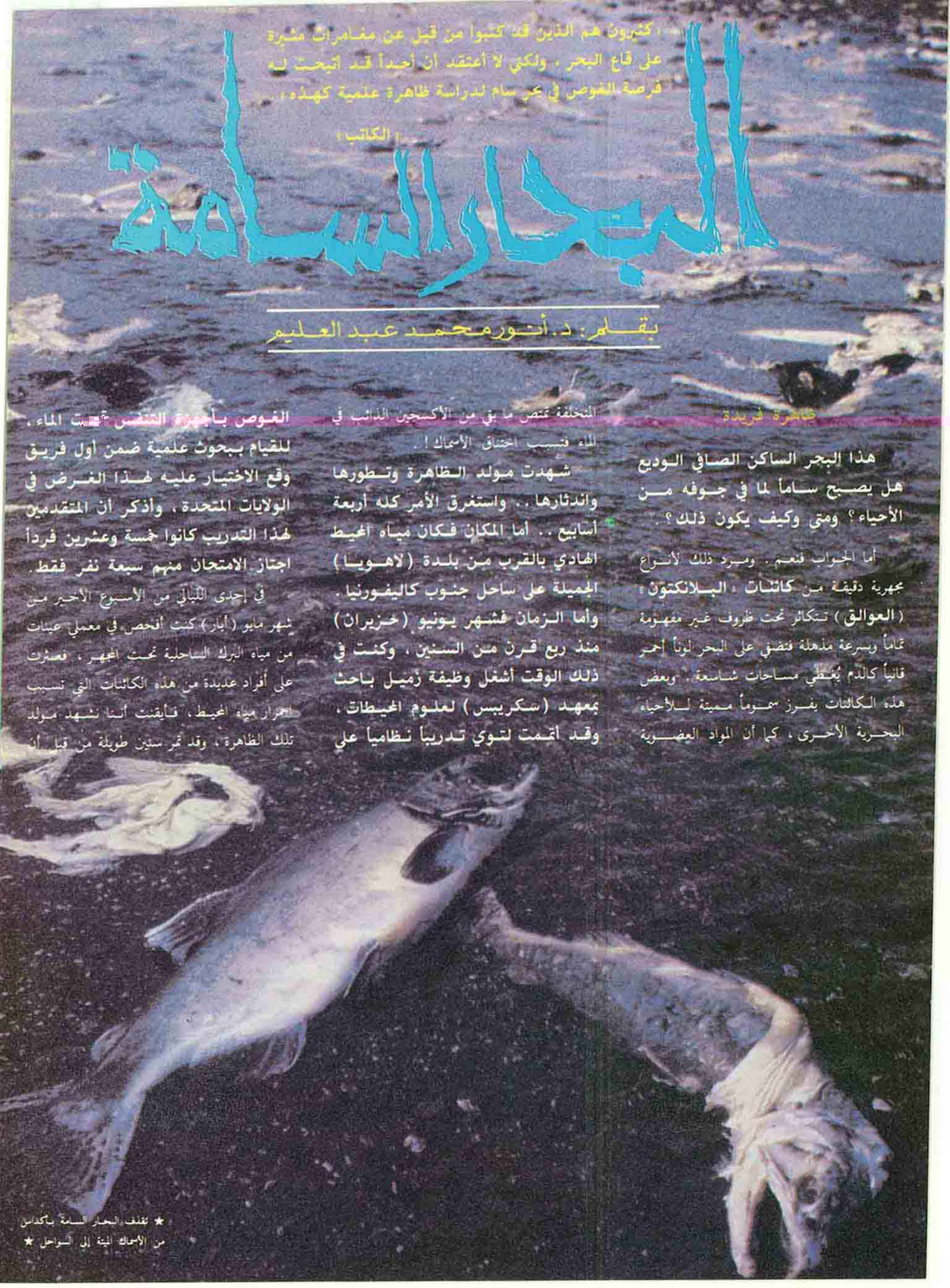
- العلاج المجاني .. لك ولمن تعول .
- تأمين السكن العائلي ضمن مشاريع وزارة الدفاع والطيران
- أجازة سنوية مع إركاب لك ولعائلتك .
- إتاحة الفرصة للابتعاث مرة أخرى للخارج لدورات تأهيلية

*للمراجعة : اتصل بأحد مراكزنا في المناطق التالية :*

المنطقة الوسطى : قيادة القوات البحرية بالرياض - شارع العطار (قسم التجنيد)
المنطقة الشرقية : قسم التجنيد بالقوات البحرية بالدمام .
المنطقة الغربية : مكتب التجنيد - قاعدة الملك فيصل البحرية - جنوب بترومين - جدة
المنطقة الجنوبية : مندوب القوات البحرية بمكتب تجنيد المنطقة الجنوبية بخميس مشيط - بجوار المستشفى العسكري
بقية المناطق : أقرب قيادة عسكرية .

(ب ٢ - ٢)





# البحار السامة

«كثيرون هم الذين قد كتبوا من قبل عن مغامرات مثيرة على قاع البحر، ولكني لا أعتقد أن أحداً قد أتيحت له فرصة الغوص في بحر سام لدراسة ظاهرة علمية كهذه»

«الكاتب»

بقلم: د. أنور محمد عبد العليم

## ظاهرة فريدة

**هذا البحر الساكن الصافي الوديع هل يصبح ساماً لما في جوفه من الأحياء؟ ومتى وكيف يكون ذلك؟.**

أما الجواب فنعم. ومرد ذلك لأنواع مجهرية دقيقة من **كائنات «البلانكتون»** (**العوالق**) تتكاثر تحت ظروف غير مفهومة تماماً وبسرعة مذهلة فتضفي على البحر لوناً أحمر قانياً كالدم يُغطي مساحات شاسعة. وبعض هذه الكائنات يفرز سموماً مميتة للأحياء البحرية الأخرى، كما أن المواد العضوية المتخلفة تمتص ما بقي من الأكسجين الذائب في الماء فتسبب اختناق الأسماك!.

**شهدت مولد الظاهرة وتطورها واندثارها.. واستغرق الأمر كله أربعة أسابيع.. أما المكان فكان مياه المحيط الهادي بالقرب من بلدة (لاهويا) الجميلة على ساحل جنوب كاليفورنيا. وأما الزمان فشهر يونيو (حزيران) منذ ربع قرن من السنين، وكنت في ذلك الوقت أشغل وظيفة زميل باحث بمعهد (سكريبس) لعلوم المحيطات. وقد أتممت لتوي تدريباً نظامياً على الغوص بأجهزة التنفس تحت الماء، للقيام ببحوث علمية ضمن أول فريق وقع الاختيار عليه لهذا الغرض في الولايات المتحدة، وأذكر أن المتقدمين لهذا التدريب كانوا خمسة وعشرين فرداً اجتاز الامتحان منهم سبعة نفر فقط.**

في إحدى الليالي من الأسبوع الأخير من شهر مايو (أيار) كنت أفحص في معملي عينات من مياه البرك الساحلية تحت المجهر، فعثرت على أفراد عديدة من هذه الكائنات التي تسبب احمرار مياه المحيط، فأيقنت أننا نشهد مولد تلك الظاهرة، وقد تمر سنين طويلة من قبل أن

★ تقذف البحار السامة بأكداس من الأسماك الميتة إلى السواحل ★

# البحار السامة

تظهر مرة أخرى في نفس المكان .

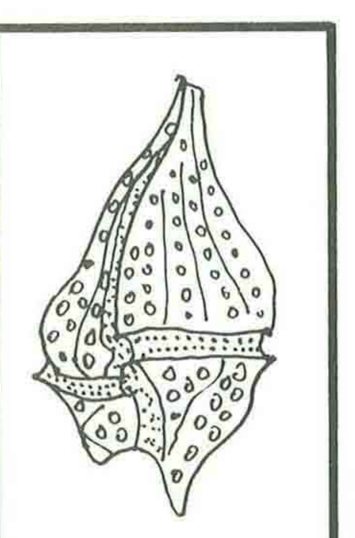
يقول **عالم الأحياء البحرية الأميركي (كوفويد** Kofoid ) وقد شاهد ظاهرة مماثلة في أوائل هذا القرن ـ يقول في بحث له نشر في عام ١٩١١ م : « **إن لون البحر صار قانياً كالدم ، وطفت الأسماك الميتة على السطح وتعفنت ، ومن أكل من هذه الأسماك من الناس ظهرت عليهم أعراض التسمم** » .

## شرائط حمراء ممتدة على صفحة المحيط

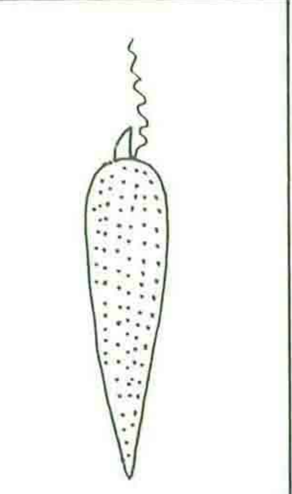
وفي الأسبوع الثاني بعد فحص مياه البرك الساحلية ، ظهرت على سطح الماء شرائط ممتدة لونها يضرب إلى الصفرة في مبدأ الأمر ثم تحولت إلى البني فالأحمر على مدى أيام قليلة ، ووصل تركيز أعداد الكائنات في هذه المياه إلى نحو عشرة ملايين كائن في اللتر الواحد من ماء البحر ، وصار قوام الماء شبيهاً بالحساء لكثرة ما فيه من الكائنات الحية والميتة على حدٍّ سواء . ولم أقنع بالمشاهدة من على سطح سفينة الأبحاث ، فاستأجرت طائرة صغيرة من ميزانية البحوث المخصصة لي وطلبت إلى الطيار الذي كنت أجلس بجانبه أن يمسح المنطقة فيما بين مدينتي (لاهويا) و (سان دييجو) بعرض نحو ٢٠ كيلومتراً داخل البحر ، ثم إلى الشمال من (لاهويا) كذلك ، وقدرت مساحة المنطقة الموبوءة بالمياه الملونة بأكثر من ألف كيلومتر مربع . ولحسن الحظ لم نُبصر أسماكاً ميتة على سطح البحر لا من سطح المركب ولا من الطائرة ، وكنا نطير على ارتفاع منخفض .

## الغوص في المياه الحمراء

وفي الأسبوع الثالث رأيت أن أقوم بعمل



★ « جونيولاكس » هذا الكائن الجميل الشكل تحت المجهر يفرز في البحار سموماً مميتة للأسماك والمحار وغيرها من الأحياء (مكبراً مئات المرات) ★



★ « بروروسنترم » أحد الكائنات الدقيقة التي تسبب المدّ الأحمر (مكبراً مئات المرات) ★

★ طحلب « تريكوديزميوم » مـ... الطحالب الزرقاء المحتوية على أصـ... حمراء يسبب الماء الأحمر في المحيـ... وفي البحر الأحمر .
أ ـ خيوط الطحلب كما تبدو في تحت المجهر .
ب ـ خيطان مكبران مئـ... المرات ★

جسور وهو أن أغوص في تلك المياه القانية ، لأتبيّن سمك الطبقة الحمراء ، وهل هي مركزة على السطح أم ممتدة إلى القاع ، ثم لآخذ عيّنات من كل طبقة على حدة لدراستها في المعمل ، ولم يكن أحد قد قام بمثل هذا العمل من قبل . وكان القاع الذي كنت أغوص عليه بالقرب من (لاهويا) يزيد على عشرين متراً . ولم تكن جهودي لتضيع سدى ، فالنتائج التي حصلت عليها كانت مشجعة للغاية ، رغم ما اكتنف العمل من خطورة . ففي الأحوال التي كان البحر فيها ساكناً تركز اللون الأحمر في عمق لا يزيد على المتر تحت سطح البحر وما تلى ذلك حتى القاع مياه شفافة صافية ، لكن الإضاءة فيها قليلة كأنما نحن في الغسق . أما طبقة اللون الأحمر التي تعلو هذه المياه فلا يرى الإنسان فيها يده إذا ما مدّها أمامه لتشتت الضوء وامتصاصه . وأما على القاع نفسه فثمة طبقة أخرى كثيفة داكنة تمتد لنحو ذراع فوق القاع لعلها تمثل مقبرة الأحياء الدقيقة التي ترسبت أجسامها بعد موتها من السطح إلى القاع .

وعند هيجان البحر واضطرابه تختلط كل هذه الطبقات بعضها ببعض مثلما يختلط الحابل بالنابل ، ويزول اللون الأحمر من السطح ، فلا تميّز سوى طبقة داكنة مخيفة ذات لون متجانس تمتد من سطح الماء إلى القاع ، وذلك لأن الرياح تقلب ماء البحر رأساً على عقب ، فتختلط الألوان ويعاد توزيع الكائنات ، وتصير الكائنات الدقيقة معلقة في حجم أكبر من الماء بعد أن كانت مركزة على السطح وتنعدم الرؤية وقتئذ بالكلية .

والحق أنها كانت مغامرة غير محمودة العواقب أن أغوص في بحر لجي معتم كالليل البهيم ونحن في وضح النهار ، والخوف كل

الخوف من التيارات التحتية التي قد تحمل الغواص بعيداً عن موقع القارب المربوط بالأعشاب البحرية الطويلة التي تميّز هذه المنطقة من العالم ! وما من شك في أنني ابتلعت قليلاً من المياه السامة عن غير قصد، كما دخلت في أذني أو استنشقتها قليلاً وذقت مرارتها على لساني، ولكن الله سلم. أقول هذا وأتعجب الآن : لم أقدمت على هذه التجربة في ذلك الوقت؟ . هل كان الدافع هو الفضول العلمي وحده، أم غرور الشباب، أم رغبة في التفوق، أم التحدي، الواقع أنه كان مزيجاً من هذا وذاك .

وخلال الأسبوع الرابع والأخير من هذه الدراسة أخذت الظاهرة في الاضمحلال بعد أن بلغت ذروتها، وبدأ البحر يصفو لونه رويداً رويداً وأتمت الرياح والتيارات البحرية مهمتها على خير وجه في تقليب البحر وكنسه وتنظيفه، وعملت آلاف الملايين من الجنود غير المرئية — وهي البكتريا — على تحليل الأجسام الميتة وتكسيرها، وإدماج مكوناتها البسيطة في دورة الحياة في المحيطات مرة أخرى، وعاد للبحر صفاؤه ودعته وسكونه، ولربما قد مرّت سنوات طويلة قبل ظهور هذه الكائنات بحالة وبائية مرة أخرى .

## هل لتسمم البحار دورات منتظمة ؟

ثمة ظواهر كثيرة مجهولة لنا في هذا الكون، ولا يزيد علم الإنسان مهما بلغ من غرور، على قطرة في بحر العلم الواسع ! .

**ومن العجيب أن ظاهرة تسمم البحار قد تبدو فيما يشبه الدورات المنتظمة في بعض البحار وبغير نظام في بحار أخرى .**

ومن أمثلة الدورات المنتظمة، ظهورها على **سواحل بيرو** في أمريكا الجنوبية مرة في كل سبع سنوات أو نحو ذلك . ويقال إن لظهورها ارتباطاً بكلف الشمس أو بتغير المناخ أو حتى بدورة الأفلاك . وكل هذه تكهنات وفروض يعوزها البرهان والدليل القاطع .

إن ما يحدث على سواحل بيرو لشيء عجيب حقاً : ففي كل مرة يتلون فيها البحر باللون الأحمر تهلك ملايين الأطنان[1] من الأسماك البحرية التي يجلبها التيار البحري المار على الساحل بسبب السم الذي تفرزه الكائنات الدقيقة الملونة للماء . **وكان أشد هذه الدورات فتكاً ما حدث في عام ١٨٩١م . ففي هذا العام هلكت الأسماك على امتداد ٦٠٠ ميل في عرض البحر وبطول الساحل . وتراكمت الأسماك الميتة التي قذفتها الأمواج إلى الشواطئ فصارت أكواماً بعضها فوق بعض كالجبال، سرعان ما فسدت وتحللت وفاحت رائحتها التي حملتها الرياح إلى المدن الداخلية فأزكمت الأنوف وأصبح ماء البحر حامض المذاق . وحتى الطيور البحرية التي تغذت على تلك الأسماك هلكت هي الأخرى . ويحكي الملاحون الذين أتيحت لهم رؤية هذه الظاهرة أن رذاذ البحر الملوث بالسم كان يزكم أنوفهم ويلهب رئتيهم .**

## لماذا سمي البحر الأحمر بهذا الاسم ؟

وهلكت الأسماك في البحر الأحمر لنفس الظاهرة ولكن على فترات غير منتظمة ومن ذلك ما سجل في الجزء الجنوبي من هذا البحر في أعوام ١٩٠٢م، ١٩٤٤م، ١٩٤٦م، كما شوهدت الأسماك الميتة على **سواحل عدن** . **ونحن نرجح أن لظهور الكائنات الدقيقة الملونة لماء البحر باللون الأحمر من آن لآخر علاقة وثيقة بتسمية هذا البحر** . إلا أن نوع الكائنات يختلف في هذه الحالة عن كائنات المحيط الهادي . فالأرجح في البحر الأحمر تغلب طحلب أزرق يحتوي على صبغيات حمراء ويسمى بالتسمية العلمية اللاتينية « تريكو دزميوم إرثرريوم » وهو أيضاً مجهري ويوجد في البلانكتون على مدار السنة بمياه جدة ولكن بأعداد معتدلة، وحين يكثر هذا الطحلب في البحر يضفو اللون الأحمر على المياه، ولكن لحسن الحظ لا يسبب هلاك الأسماك، لعدم إفرازه للسموم .

**وعلى ذكر تسمية البحر الأحمر بهذا الاسم فإن للمؤرخين اليونانيين القدامى تعليلات قد جانبها الصواب في رأينا، وهي تدور حول انعكاس أشعة الشمس وقت الغروب على جبال البحر الأحمر أو إلى لون الشعب المرجانية وقت الجزر أو على أسماء أبطال الملاحم الوهمية .**

## عندما يتسمم بحر العرب

وبحر العرب هو الآخر من أخصب بحار العالم وأغناها بالأسماك، لصعود التيارات المحملة بالأملاح المغذية من القاع إلى السطح فتسبب وفرة البلانكتون[2] . وأثناء البعثة الدولية للمحيط الهندي في عام ١٩٦٤م، أجرينا جرفات استطلاعية في هذا البحر على **سواحل الصومال** من فوق **سفينة البحث العلمي « أنتون برون » التابعة لمعهد بحوث المحيطات في ودز هول بأمريكا**، فكانت الشباك تخرج مثقلة بأنواع كثيرة وكميات كبيرة من الأسماك في وقت يسير . غير أننا لم نشاهد في تلك الرحلة أسماكاً ميتة ولا احمرار المياه كما رأيت الجمال على سواحل عدن تأكل السردين

# البحار السامة

المجفف . وقد لاحظ **ابن بطوطة** نفس الأمر على **سواحل ظفار** في القرن الثامن الهجري وهي على البحر العربي كذلك وفي هذا يقول : « **ومن العجائب أن دوابهم إنما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم ولم أر ذلك في سواها** » .

بيد أن ما حدث في هذا البحر في عام ١٩٥٦ م ، لا يزال يتردد صداه في الأوساط العلمية إلى اليوم . ففي هذا العام أبصرت إحدى سفن البحث العلمي الروسية خلال عملها في هذا البحر أكداساً من الأسماك الميتة الطافية على سطح الماء في مساحة قدرت وقتئذ بنحو مائتي ألف كيلومتر مربع بين خطي العرض ١٠ ـ ٢٠° شمال خط الاستواء ، وبين خطي طول ٦٠ ـ ٧٠° شرقي جرينتش . وقدرت الأسماك التي هلكت في ذلك الوقت بنحو ٢٠ مليون طن متري ، وهو رقم مهول يساوي ثلث إنتاج العالم كله من الأسماك في السنة وكمية تساوي ما تنتجه مصر وحدها من الأسماك في مائة عام على الأقل ! بيد أن هذه الأرقام لتعكس من ناحية أخرى الإمكانات المهولة من الثروة العضوية التي لم تزل مجهولة في المحيطات .

أما هلاك الأسماك في **بحر العرب** فمرده لعامل آخر غير الماء الأحمر ، ألا وهو صعود طبقة فقيرة في الأكسجين من المياه العميقة إلى السطح في ظروف غير معروفة إلى الآن فتسبب هلاك الأسماك بالاختناق .

## تلوّن البحر وهلاك الأسماك في التراث العربي

يقول **أبو حامد الغرناطي الأندلسي** الذي عاش فيما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين ( ١٠٨١ ـ ١١٧٠ م ) ، في كتابه المعروف باسم « **تحفة الألباب ونخبة الأعجاب** » في معرض الكلام عن المحيط الهندي ما نصه : « **وكذلك في بحر الهند خليج أحمر كالدم وخليج أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن وخليج أزرق كالنيل ، والله يعلم من أي شيء تغير هذه الألوان في هذه المواضع والماء نفسه صافي كسائر المياه** » .

كان أبو حامد عالماً جليلاً دقيق الملاحظة مغرماً بالأسفار ، ويعتبر وصفه أول وصف مدون للظاهرة التي تكلمنا عنها آنفاً[٣] وبذلك يكون قد سبق علماء الغرب بأكثر من سبعة قرون . أما وصفه للماء الأصفر فحالة من حالات ظاهرة التلون كما أوضحنا من قبل ، وأما الخليج الأبيض فلكثرة الزَّبَد على سطح الماء فيه وهي ظاهرة مميزة في بعض المناطق . أما الخليج الأزرق فلعمق الماء عليه . ويتسم أبو حامد فوق ذلك بالأمانة العلمية والتواضع في قوله والله أعلم .

وعلى ذكر هلاك الأسماك الفجائي[٤] Mass Mortality of Fish فلم أر أبدع في وصفها مما سطره مؤرخ عربي مدقق عاش في القرن السابع الهجري ، وكان حاكماً على إقليم الفيوم بمصر من قبل **الملك الصالح نجم الدين أيوب** ، ذلك هو **أبو عثمان النابلسي الصفدي الشافعي** . وقد كتب النابلسي كتاباً بديعاً عن **إقليم الفيوم** وبلاده ووصف فيه **بحيرة قارون** المعروفة وظاهرة هلاك الأسماك فيها ، يقول النابلسي :

« **ومن غرائب ما جرى واستفاض بين أهل البلاد في سنة ٦٤٢ (هجرية) في فصل الشتاء أن عصفت ريح باردة موّجتها (يقصد بحيرة قارون) وبردت ماءها فمات من السمك الفراخ الكبار ما لا يحكى أنه رؤي في بحر من البحار الكبار .. وبقي هذا السمك الذي مات على أطرافها للرائي كالجسور العظيمة . وأخبرني خولي البحر ـ وهو متحرز في قوله لم أحرز عليه كذباً ـ أنه مشى على طرف هذه البركة من بكرة إلى الليل ، فوجد الأسماك الميتة أربعة صنوف ، صنف فراخ كبار بطول البركة كالجسر العظيم ، وبعده آخر بلطي ، وصنف آخر لبيس ، وصنف آخر سمك يسمى الشال ، وشاهد الأدهان خارجة من هذا السمك كالماء الجاري وورد إليها الطير والوحش يأكلون منها . .** » .

وجدير بالذكر أن اللَّبيس والبلطي والشّال من أصناف السمك المشهورة في المياه العذبة بمصر إلى اليوم ، غير أننا نختلف مع النابلسي في سبب هلاك الأسماك ولا نعتقد أنه البرد وحده ولو كان ذلك لهلكت الأسماك الصغيرة وهي أقل مقاومة له ، كما أن مياه البحيرة العميقة أكثر دفئاً في الشتاء وكان يمكن للأسماك أن تهرع إليها للحماية . ونحن نرى على الأغلب أن هلاك الأسماك في تلك البركة مرده لنوع من الكائنات السوطية الدقيقة الذهبية اللون تسمى « **بريزمنيوم** » وهي معروفة اليوم بأنها تفرز سموماً تهلك الأسماك في المياه العذبة مثلما تفعل كائنات البحار ، والله أعلم .

الهوامش

( ١ ) تعتبر بيرو أكبر دولة منتجة للأسماك في العالم إذ يصل المحصول المصيد من الأسماك البحرية من سواحلها إلى ٩ ملايين طن سنوياً ، أغلبها من أسماك السردين والأنشوجة الصغيرة لأن التيار البحري الذي يمر بهذه السواحل ذو خصوبة عالية للغاية . وتستهلك الطيور البحرية وحدها آلاف الأطنان من هذه الأسماك كل عام وتلقى بفضلاتها على الجزر فتصبح سماداً مخصباً للزراعة يعرف باسم « جوانو » يصدر كذلك للخارج .

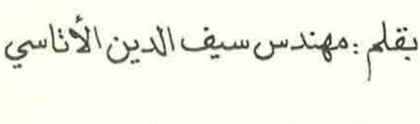
( ٢ ) انظر مادة « بحر العرب » في دائرة المعارف البريطانية صفحات من ١٠٥٩ إلى ١٠٦١ بقلم كاتب هذا المقال ( الطبعة الأخيرة ) .

( ٣ ) انظر : د . أنور عبد العليم : ظواهر جديدة في علوم الأحياء البحرية وصفها الرحالة العرب في القرون الوسطى بحث منشور في إصدارات المؤتمر الدولي الأول لتاريخ علوم البحار . صفحات ٣٥٩ ـ ٣٦٧ سنة ١٩٦٨ م ، موناكو ( باللغة الإنجليزية ) .

( ٤ ) المرجع السابق .

قلادة فينوس من أجمل النباتات البحرية ذات أشكال متناظرة تتلاصق الخلايا مع بعضها مكونة خيوطاً أو مستعمرات .

# الطحالب أهم النباتات المائية




## ما حقيقة الطحالب ؟

**الجواب البسيط على هذا السؤال يتضمن آراء علماء النبات عبر أجيال وقرون تساندهم نتائج الأبحاث الحديثة ، فالطحالب نباتات مائية تنمو في المياه العذبة والمالحة ، والبعض ينمو في التربة الرطبة وعلى سوق الأشجار ، وتكوّن معظم نباتات البحار والمحيطات ، ولكن مع ذلك يبقى السؤال على درجة عالية من التعقيد .**


الطحالب وحيدة الخلية

فكيف يمكننا تصنيف الطحالب ضمن مجموعة واحدة في **المملكة النباتية** على الرغم من كثرة تنوعها من حيث الحجم والتركيب ، فقسم من نباتاتها مجهرية وحيدة الخلية **كالدياتومات** ، وبعضها الآخر نباتات بحرية عملاقة يزيد ارتفاعها عن ١٠٠ متر؟

ومما زاد الأمر تعقيداً أن نقاشاً يدور منذ زمن بعيد بين علماء الحيوان والنبات حول تبعية

بعض الأنواع الطحلبية وحيدة الخلية والتي تسبح في الماء بواسطة السياط **كطحالب اليوجلينا** Euglena نتيجة للتشابه الكبير بينها وبين **السوطيات** Flagella التي تنتمي **للحيوانات الأولية** Protozoa ، فاعتبرت تلك الكائنات بمثابة شكل وسطي كالجسر الذي يصل المملكة الحيوانية بالمملكة النباتية .

تحوي الطحالب على صبغة الكلوروفيل ، لذلك فهي من ذاتيات التغذية Autotrophic أي قادرة على تحويل الطاقة الإشعاعية لطاقة كيميائية مخزونة ، وتستطيع تمثيل غاز الفحم والماء لمواد كربوهيدراتية .

وتتواجد في الطحالب بالإضافة لصبغة الكلوروفيل ، صبغات أخرى تكسب بعض الأنواع ألواناً مميزة فتبدو النباتات الطحلبية حمراء أو بنية ، وقد بني تصنيف الطحالب أساساً على اللون السائد ضمن الخلية ، فالأقسام الرئيسية للطحالب ( الخضراء والبنية والحمراء ) تتميز عن بعضها بيوكيميائياً من حيث الصبغات التي توجد في كل منها .

## أقسام الطحالب

تشكّل الطحالب الحمراء والبنية قسمين رئيسيين من الأقسام التي تميز الطحالب عادة ، **فالطحالب الحمراء** Rodophyta تعيش على أعماق كبيرة من مياه البحر ، والقليل منها يعيش في المياه العذبة ، وتتواجد بكثرة في المياه الدافئة تحوي خلاياها على الصبغة الحمراء مع الكلوروفيل والكاروتين وتخزن المواد الكربوهيدراتية في صورة مركب وسط بين الدكسترين والنشاء يدعى ( النشاء الفلوريدي ).

أما **الطحالب البنية** Phaeophyta فإن الصبغات الحمراء تغيب عن جسماتها الصانعة وتتواجد فيها صبغة الكاروتين التي تسود نسبياً على صبغة الكلوروفيل ، لذا تتراوح ألوان أنواعها ما بين الأخضر المصفر إلى البني الذهبي ، وتكون تلك الطحالب نموذجاً عن الأعشاب البحرية التي تنمو في المياه الباردة من العالم .

القسم الرئيسي الثالث من الطحالب هي **الطحالب الخضراء** Chlorophyta تحوي خلاياها على الصبغات الموجودة في النباتات الراقية كالكلوروفيل والكاروتين واكسانثوفيل إلا أن صبغة الكلوروفيل الخضراء هي المسيطرة .

وأبسط أنواع الطحالب هي **الطحالب الخضر الزرقاء** Cyanophyta التي تضم أجناساً وحيدة الخلية ، هذه الأجناس تعرف بأنها الكائنات الحية النباتية ذات الخلايا غير الكاملة Procaryotic لعدم تمايز الخلية فيها إلى نواة وسيتوبلازم ، فالجهاز النووي في بروتوبلازم الخلية لا يوجد ضمن نواة حقيقية كما في الكائنات ذات **الخلايا الحقيقية** Eucaryotic التي تمتاز الخلية فيها بأنها ذات تعض نموذجي من حيث احتوائها على مكونات الخلية .

والسبب في بساطة تركيب الكائنات ذات الخلايا غير الكاملة أنها أقدم في الظهور من الكائنات ذات الخلايا الحقيقية ، **فالطحالب الخضر الزرقاء وجدت على ظهر اليابسة منذ ٦٠٠ مليون عام مضت** ، عندما كانت لا تزال الحياة على سطح الأرض بدائية جداً .

### [illegible]

تعيش غالبية الطحالب الخضر الزرقاء في مياه البحار والمياه العذبة وعلى التربة الرطبة ، وهي من أصغر النباتات الحاوية على الكلوروفيل في الطبيعة وتحوي على صبغة زرقاء تدعى الفيكوسيانين تكسب تلك الطحالب لونها المميز .



بعض النباتات الطحلبية تثبت نفسها في الصخور بدعامة قوية لتعوض عن عدم وجود الجذور .

وقد استأثرت الطحالب بكثير من الاهتمام وذلك لأهميتها في اقتصاديات الطبيعة ، فالأعداد الهائلة من الدياتومات Diatomes التي تطفو في مياه البحار والمحيطات تقوم بعملية البناء الضوئي وتحرير غاز الأكسجين الذي يستهلك في عملية تنفس أحياء البحار والمحيطات الأخرى مما يجعل تلك النباتات هي الأحياء المنتجة في البيئات المائية .

كذلك فطحالب الدياتومات تترك بقايا في التربة لترسب جدرها الصلبة بعد موتها ، وينتج عن تراكمها التربة الدياتومية التي تنتشر في أنحاء متعددة من العالم **وتستعمل في صناعات كثيرة كتنقية السوائل ، وتنظيف المعادن ، وفي صناعة معاجين الأسنان** .

ومن على السواحل تجمع أعشاب بحرية ضخمة تابعة للطحالب البنية لكي تستخرج منها مادة اليود وكذلك مركبات الألجين Algine التي تستخدم في **صناعة البلاستيك** .

كما أن أحد أجناس الطحالب الحمراء وهو جنس جيليديوم Gelidium الذي يستخرج منه مادة الأجار آجار Agar-agar وهي مادة كربوهيدراتية معقدة تستخدم في **الصناعات الغذائية** ، وفي تحضير البيئات الصناعية لتربية البكتيريا والفطريات مخبرياً .

كذلك تعتبر **الطحالب أسمدة غنية لاحتوائها على كميات كبيرة من البوتاسيوم والفوسفور** ، هذه النباتات الطحلبية يمكن توزيعها مباشرة في الحقل أو خلطها مع أسمدة عضوية أخرى ، فالطحالب تزيد من معدل العناصر الغذائية في التربة وتساعد أيضاً في تفتيت الكتل الطينية وتحسين بناء التربة .

كما أن الطحالب الخضر الزرقاء التابعة للجنس نوستوك Nostoc قادرة على تثبيت الآزوت الجوي وربطه بعناصر أخرى لبناء



الطحالب الخضراء تكون كتلاً خضراء لزجة طافية فوق سطح البحيرات وهي أساس الحياة في البيئات المائية .

أجسامها . وعند موت الطحالب تزيد المركبات النتروجينية التي صنعتها في إغناء التربة بهذا العنصر الضروري لحياة النبات مما يزيد من خصوبة التربة .

والطحالب من المصادر الهامة التي يعتمد عليها في **إنتاج علف الدواجن وخاصة في دول أوروبا الشمالية** التي بذلت جهوداً ضخمة لإدخال بعض التعديلات التقنية على الطحالب لتصبح قابلة للمزج مع العليقة المقدمة للدواجن .

ولا شك في أن استعمال الطحالب في تغذية الدواجن يؤدي إلى زيادة الإنتاج نظراً لغنى الطحالب بالفيتامينات وارتفاع قيمتها الغذائية .

## الطحالب في الغذاء

ويستخدم الإنسان عدة أنواع من الطحالب الحمراء والبنية في تغذيته ، وقد أجريت الدراسات والأبحاث حول قدرة الطحالب على تزويد العالم بالبروتين ومساهمتها في إطعام الأعداد البشرية المتزايدة .

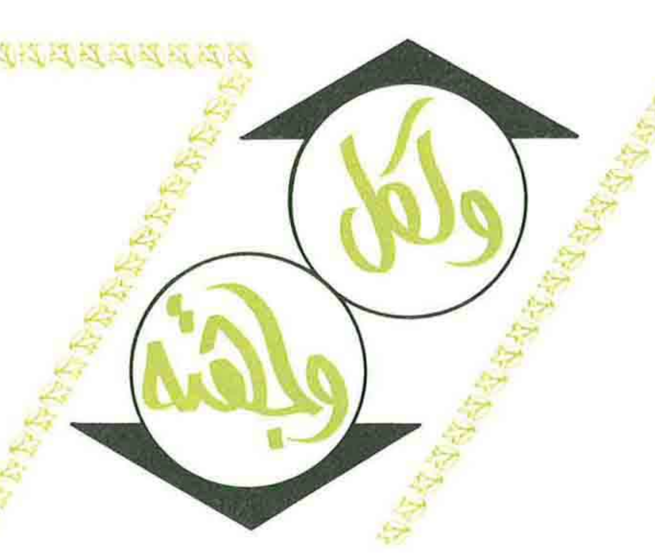
لذلك يستخرج من البحار والمحيطات حوالي خمسين ألف طن من الأعشاب البحرية سنوياً في كل من **كندا ، فرنسا ، إنجلترا ، النرويج ، والولايات المتحدة** من أجل أن تقدم للإنسان في وجبات طعامه .

ويستهلك الإنسان في غذائه أحد أنواع الطحالب البنية يعرف باسم : Ascophyllum nodosum ، وهذا الطحلب يمكن أن يكون زاداً نافعاً وخاصة في المناطق التي يكون فيها عنصر اليود محدوداً باعتبار أن الأعشاب البحرية تحوي على نسبة عالية من اليود ، فتعتبر لذلك غذاءً واقياً من الإصابة بأمراض الغدة الدرقية .

كما دخلت **اليابان** مجال الزراعة البحرية ، فبدأت بزراعة **طحلب البورفيرا** Porphyra عن طريق تطوير تقنيات لزراعة الأبواغ الطحلبية صناعياً في خلجان تتمتع بالحماية ، ويقدر المحصول الناتج عن زراعة هذا الطحلب بحوالي ٢٠٠ طن سنوياً .

**ولكن في وقتنا الحاضر لا يمكن أن ينظر لزراعة الطحالب والأعشاب المائية كحل قادر على تغطية نقص الموارد الغذائية في العالم ، فالامكانات محددة بارتفاع كلفتها الإنتاجية وصعوبة توفر شروط زراعتها بكميات كبيرة .**

ويعتبر التأمل في تطور الموجودات الحية ممارسة شيقة لا تستثنى منها نباتات الطحالب كمؤثر علمي لمخزون الطبيعة الذي لا ينضب . . هذا مع إصرار الإنسان على الدخول في أعماق الكائنات ليكتشف بملاحظته وتجربته كل مجهول يستطيع أن يسخره لخدمة أغراضه الحياتية والمعاشية .




شعر : محمد مهران السيد

واهتزت أيدينا في شوق ، وارتعشت تذكر ما فات
وتجمع عمر ، في لحظات
الصاحب للصاحب . . . حتى لو مرّت سنوات

* * *

ملنا نحو المقهى
وسحبنا كرسيين . . جلسنا . . وطلبنا الشاي
وانسابت في العقل الباطن . . آلاف الجزئيات
وتبادلنا البسمات
ما أجمل أن تجمعنا الصدفة ، في أي مكان وزمان
فتهب على القلب الموحش . . كالليل ، حكايا . .
ما كانت في الحسبان

* * *

عجباً
قالتها نفسي في صوت . . مُرّ
لكن ما لبثت أن ثنت : ما أكثر ما ندهش في هذا العصر

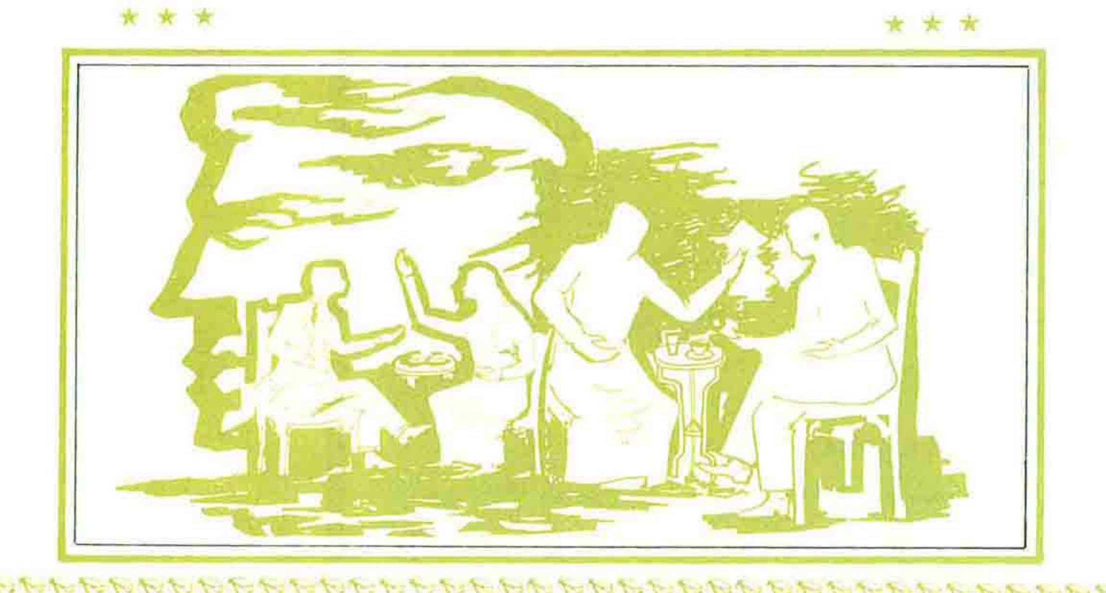
* * *

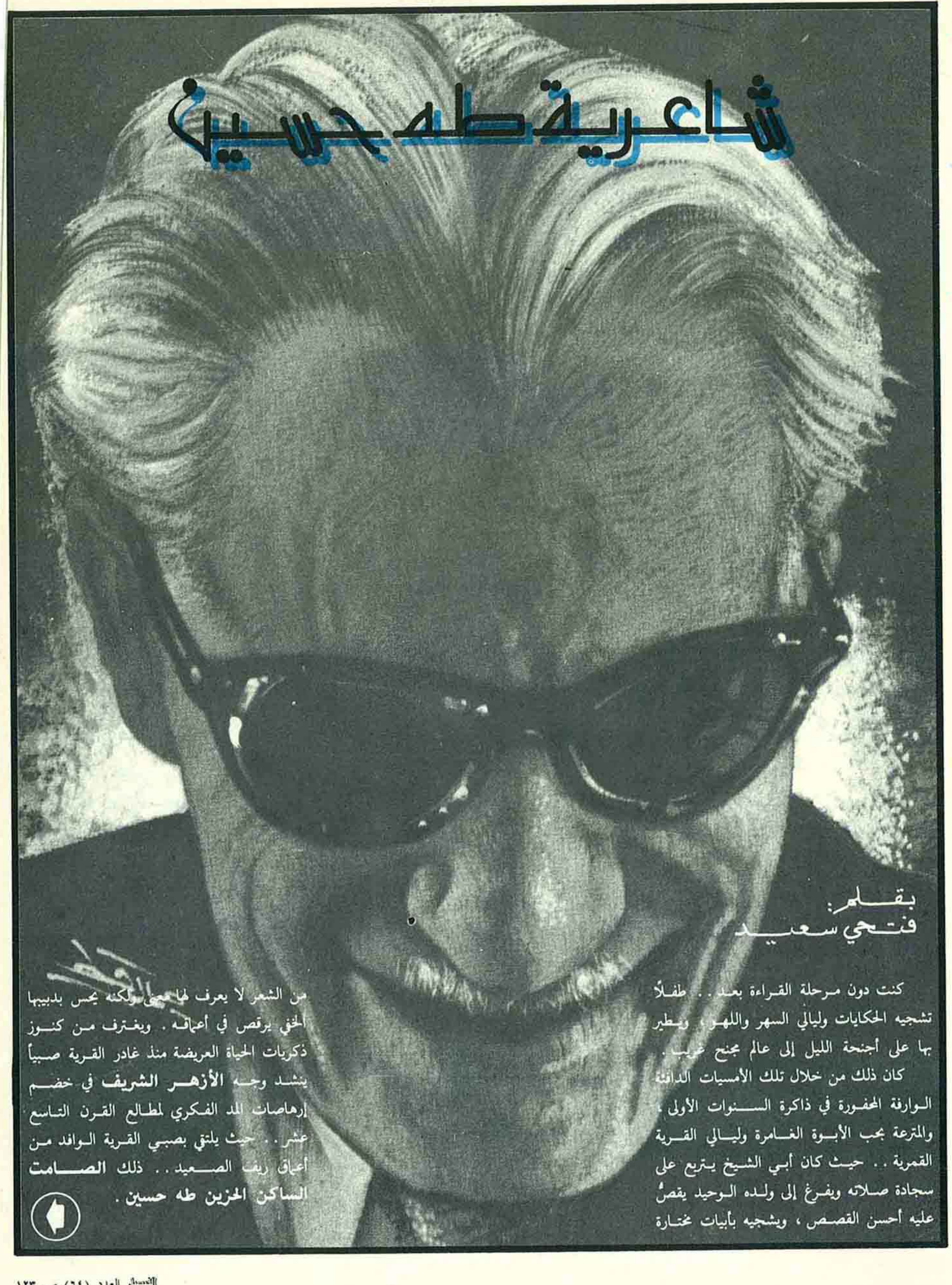
مرَّ الوقت ، ولم نقطع شبراً في الدرب
لم نتقدم ، أو نتأخر !!
رغم نضال الكلمات
واستبدلنا الألفاظ بأخرى
وبدأنا أكثر من مرة
ولجأنا لإشارات الأيدي
وأخذنا نتذكر ألف علاج . . للأزمات
لكن لا جدوى . .
. . فهناك مسافات ، ومسافات ، ومسافات
والجسر تهاوى ، وتهدم . .
لا يحتمل اللمس ، ولا همس الخطوات

* * *

. . واهتزت أيدينا ـ هذي المرة ـ لكن في الخوف
ومضينا ، . . ولكل وجهته . .
. . لم نتلكأ ، لم ينظر أي منا . . للخلف !!

* * *





# شاعرية طه حسين

بقلم: فتحي سعيد

كنت دون مرحلة القراءة بعد.. طفلاً تشجيه الحكايات وليالي السهر واللهو، ويطير بها على أجنحة الليل إلى عالم مجنح غريب.

كان ذلك من خلال تلك الأمسيات الدافئة الوارفة المحفورة في ذاكرة السنوات الأولى، والمترعة بحب الأبوة الغامرة وليالي القرية القمرية.. حيث كان أبي الشيخ يتربع على سجادة صلاته ويفرغ إلى ولده الوحيد يقصُّ عليه أحسن القصص، ويشجيه بأبيات مختارة من الشعر لا يعرف لها معنى ولكنه يحس بدبيبها الخفي يرقص في أعماقه. ويغترف من كنوز ذكريات الحياة العريضة منذ غادر القرية صبياً ينشد وجه **الأزهر الشريف** في خضم إرهاصات المد الفكري لمطالع القرن التاسع عشر.. حيث يلتقي بصبي القرية الوافد من أعماق ريف الصعيد.. ذلك **الصامت الساكن الحزين طه حسين**.

وكيف كانا يختلفان معاً إلى حلقات العلم بالأزهر، فينفر من دروس **النحو** وغلظة شيوخه، وتستهويه دروس **الشيخ المرصفي** وتفاسيره **لديوان الحماسة وكتاب الأمالي**.

وكيف كانا يختلفان معاً إلى ندوات الشعر يلقيان الأشعار، وإلى (**جريدة الجريدة**) و(**الشرق**) و(**الوادي**) ينشر هذا من شعره وذاك من نثره.. وكيف كان يقرأ عليه صفحات الدرس مرة واحدة فيستوعبها من المرة الأولى ويتلوها عن ظهر قلب.

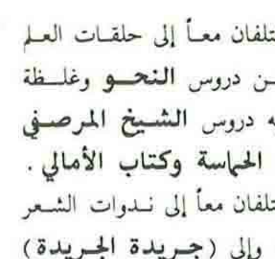
وكيف كان يجلس في حلقات الدرس صامتاً مطرقاً أشد ما يكون الإطراق، يتسلق بأذنيه صوت شيوخه من أصحاب الأعمدة والرواق.. ولا يرفع رأسه لسؤال إلا إذا ألح عليه إلحاحاً وضاق به صدره كأنه الإثم.. ووجد طريقه إلى مجادلة أشياخه والجهر بين يديهم بالسؤال والمجادلة حتى يضيق به الشيوخ ويضيق بهم ويتطلع إلى آفاق جديدة عله يجد فيها ما يريد.

وتفتح الجامعة أبوابها عام (١٩٠٨م) فيهرع إليها مُولياً ظهره للأزهر بعد ذلك اليوم المشهود.. حين أجمع شيوخه أمرهم بليل على أن يحولوا بينه وبين إجازة العالمية صبيحة الامتحان، فيقضي بينهم ساعة وقلوب الطلاب تخفق وراء الباب المغلق تنتظر النتيجة المرتقبة سلفاً وهي إسقاط ذلك الفتى المجادل اللجوج اللدود المارق، فيخرج بعدها ليحملوا إليه حافظة أوراقه إعلاناً لسقوطه، فيخرج هائماً ثائراً ليكتب مقاله الشهير: «ساعة في الضحى بين اللحى والعمائم» ويهجر الأزهر إلى الجامعة ويفترق المجاوران الزميلان وتنقطع بينهما الأيام إلا من ذكريات وحكايات.

رسخ ذلك الشعور في نفسي منذ أيام الطفولة المترع بصور الذكرى وبداية الرحلة يصاحبني كلما قرأت طه حسين، ويطير بي على جناح الذكريات والحنين وقد امتد به العمر أربعة وثمانين عاماً.. وغنمنا فرصة معاصرته حتى أغمض عينيه للمرة الأخيرة (عام ١٩٧٣م).

## البحث عن هوية

### ليس بشاعر.. ولكن في أعماقه شاعر!!


★ عباس محمود العقاد ★


★ أبو العلاء المعري ★

فما من أديب أو فنان إلا وبدأ شاعراً.. أو على الأقل عالج الشعر وجال في دروبه.

**فالعقاد** شاعر.. بجانب كتاباته المتعددة الجوانب.. **والمازني والرافعي وزكي مبارك** أصحاب دواوين بجانب أنهم أصحاب أقلام وكتّاب أكثر من شعراء.

وعندما يرتقي أديب ما.. مدارج الذيوع والالتماع، ويبلغ تمام نضجه في فنه، يوصف بالشاعرية.. دليلاً على الارتفاع والسمو والإبداع.

«**فتشيكوف**» لقّبوه بشاعر القصة القصيرة.. و«**شوبان**» قالوا عنه لبراعته شاعر الموسيقى، و«**فان جوخ**» شاعر الألوان.. و«**رودان**» نحات باريس الشهير شاعر الصخر والحجر.. فشاعرية الفنان هي سمة من سمات شخصيته وميزة تفوق وسبق على الآخرين، وهي صفة لا تطلع على الجميع ولكن تلتصق بالصفوة من طليعة الكتّاب والمفكرين وأصحاب الفنون.

لقد كتب طه حسين الشعر كما كتبه الأدباء، وألقاه في المحافل والندوات، ونشره في المجلات وقدمه أستاذه **عبد العزيز جاويش** شاعراً بجوار شعراء المحافل وفرسانها.. وكان عام (١٩٠٩م) عام الشعر حينذاك كما أجمع النقاد، ولكن طه حسين قطع خط الرجعة على نفسه وعلى الجميع، وعرف أن طريقه ليس هو طريق الشعر وأن لقبه ليس لقب الشاعر.. واعترف بأنه كان سخفاً كبيراً.. فخلع جلباب الشاعر ولكن لم يُلق بريشته ولم يحطم قيثارته، وإنما رسم بها وعزف على أوتارها ذلك العزف الشجي العميق الذي ميّز أسلوبه وصبغه بتلك الشاعرية المرهفة الموسيقى العميقة النفاذ إلى القلوب والأسماع أعمق مما ينفذ الشعر إلى القلوب والأسماع.. وأي شعر يبقى لطه حسين من خلال ما قال في الغزل أو الوطنيات أو شكوى الزمان:

يا زعى الله عهوداً للهوى منذ سنين
حين كنا في أمان من عيون الرقباء
نجتني اللذات لا نخشى أذاة الكاشحين
إنما العذال للحب وللأحباب داء.!

أو في قوله الذي ذاع في إحدى قصائده:

**لا در در المال إن لم يُدخر**
**إلا لذات الطوق والخلخال**

وأي شعر ينبئ بشاعرية صاحبه وموهبته وقد بلغ العشرين من عمره واكتملت أدواته الفنية وضرب بسهم وافر في حلبة سباق فرسانه **شوقي وحافظ وأحمد نسيم** وغزليات **إسماعيل صبري** ووطنيات **الشيخ القاياتي** الملتهبة حين يقول طه:

أنا من أمضيت من عمري عشرين ربيعا
غير أني قد بلوت العيش والجهد الجهيد
بين بؤس ونعيم يذهب العمر سريعا...

أو في قوله يتغزل ويصبو:

**شادن عطف عطفة الحبيب**
**بعدما صدف صدفة الملول**
**كم سبى العقول قوله الخلوب**
**يملك القلوب ثم لا يُنيل.!**

في الوقت الذي كان شوقي يقول ويسري قوله بين الناس وحفلات البال:

مال واحتجب وادعى الغضب
ليت هاجري يشرح السبب

### بين رماد الشاعر وجذوة الناقد!

وإذا كانت جذوة الشاعر لم تجد لدى طه حسين ما يغذيها ويزيدها لهباً.. فقد أفاد كثيراً من غياب هذه الجذوة وبقاء وهجها الرمادي المحترق. فقايض هذه الموهبة القديمة بجذوة الناقد الموهوب للشعر التي أشعل رمادها لطول قدح زناد الشعر والشعراء.. فكان أقرب النقاد إلى روح الشعر وقوافيه، والتسلل إلى أبعاد القصيدة العربية وتحليلها، والغوص في أعماق صاحبها والكشف عن مصادرها الجمالية أينما كانت، والنظر إليها نظرة جديدة مستقلة عن نظرات ونظريات الآخرين.. فأطال السير في دروب الشعر في عصوره المختلفة

عبر **الجاهلية** حتى **عصور ما بعد الإسلام والعصر الحديث** .. وقابل **حركات التجديد الشعرية** بصدر رحب لأنه شاعر احترق من قبل بهذا البلاء فعرف فيه المكابدة والمضض والعناء .. وعرف كذلك كيف يُنمّي موهبته النقدية وذوقه الشعري الرفيع .. ويصف ذلك **الدكتور خلف الله أحمد** خير وصف بقوله :

« ومن الجدير بالتسجيل أن موقف طه حسين من الدعوات الجديدة في الشعر العربي كان متسقاً مع كلاسيكيته الحديثة مع إيمانه العميق بحرية الفكر والفن وكل ما يطالب به أصحاب الجديد وأنصاره أن يحافظوا على عبقرية الفن الشعري ويلتزموا بالضبط اللغوي وصدق التعبير . ومن الحق أن نذكر أن طه حسين كان المنشئ الأول في العصر الحديث للنموذج الأمثل في تحليل القصيدة العربية تحليلاً يعكس أصالة الماضي وروح الحاضر .. » .

وقد التزم طه حسين بهذا المنهج النقدي في أغلب ما كتبه عن الشعر والشعراء .. وما أكثر وأبدع ما كتب ! ففي « **حديث الأربعاء** » خاصة وحديث الشعر والنثر ومع **المتنبي وذكرى أبي العلاء** وجولاته في حدائق الشعر الأوروبي .. تستقرئ هذا المنهج النقدي بوضوح وتطالع فيه ملامح وجه الشاعر القديم وكلما أوغل السير بعيداً عن فلوات الشعر وشغلته قضايا أخرى إلا أنه لا يفلت حبل الشعر من يديه ويغلبه الحنين إليه على أمره في كثير من المواقف كأنه كما قال : « يغنيه لنفسه » .

لقد وقف راثياً باكياً صديقه الأديب **محمد حسين هيكل** يستهل بكائيته فيه بهذا البيت ناعياً الأقران راضياً بقضاء الله :

**لا يلبث القرناء أن يتفرقوا**
**ليل يمر عليهمو ونهارُ**

وفي تأبين أستاذه وصديقه الجليل **لطفي السيد** يقول متأسياً متمثلاً قول الشاعر القديم :

**ليس على طول الحياة ندم**
**وما وراء المرء ما يعلم**

وإذا تتبعنا ما أبدعه طه حسين من كتابات نثرية .. لطالعنا فيه عدداً الأبيات الكثيرة التي يتمثل بها .. أسلوباً شعرياً في كلماته المنشورة حيث يغلب الإيقاع والنبر وإشاعة الموسيقى الداخلية في أعطاف الجمل النثرية وسطور الكلمات يطالعنا ذلك



★ د. محمد حسين هيكل ★ ★ إبراهيم عبد القادر المازني ★

خاصة في سيرته الذاتية ( **الأيام** ) و ( **أديب** ) ، **وأعماله الروائية والأدبية مثل ( دعاء الكروان ) ، و ( نفوس للبيع ) ، و ( جنة الحيوان )** .

وما أكثر ما أحب طه حسين أبا العلاء وترنم بأبياته وفسرها على غير ما درج عليه المفسرون فيسوق في أحد فصول كتبه هذا البيت :

**فيا دارها بالكرخ إن مزارها**
**قريب ولكن دون ذلك أهوالُ**

وهو بيت يوحي بالغزل والشوق للحبيبة النائية وما هو دون دارها من أهوال .. ولكنه يرى غير ذلك ، وأن الشاعر لم يتغزل ولم يغلبه الحنين .. وإنما رمز بدار الحبيبة إلى مطامعه البعيدة وآماله النائية وتلك العقبات التي تحول بينه وبين بلوغ المطالب .

وبقدر ما كانت تسعفه قريحته الشعرية بما لديها من مخزون وفير .. فكثيراً ما راق له أن يكتب بعض الشعر رداً على أبيات أصدقاء له من الأدباء ، فيرد على صديقه الشاعر **علي الجندي** حين أبرق إليه شاكراً :

من لي بمثل بيان طه  مبدع السحر الحلال
حتى أقوم بشكر ما أوليت يا فخر الرجال

فيبرق إليه طه بهذين البيتين :

من لي بقلب مثل قلبك  أو بفن مثل فنك
حتى أقوم بشكر ما أوليتني من حسن ظنك

وهي أبيات لا يفتعلها طه حسين وإنما تجري على لسانه مجرى النثر حين يتعمد صياغته منظوماً .. أو تجري مجرى الشعر حين يتعمد إرساله منثوراً وكأنه غافل عن كونه شعراً في كثير من كتاباته ولعل أخص هذه الكتابات وأوفرها حظاً من الشاعرية كتابه ( **على هامش السيرة** ) ففيه يكاد الشعر ينفلت في كثير من فصوله انفلاتاً

وكأنه يرسله غير عامد فنجد أبياتاً كاملة سليمة الوزن متقاربة البحر ساقها سياق الحديث المرسل وهو يعلم علم اليقين أنه أرسلها شعراً لا ينقصه إلا لزوم القافية :

لا تعرف الكف وزني بل غدت أذني
وزّانة ولبعض القول ميزان

يقول طه حسين في أحد فصول الكتاب تحت عنوان « ذو الجناحين » :

« أقبلت تسعى رويداً رويداً مثل ما يسعى النسيم العليل ، لا يمس الأرض وقع خطاها فهي كالروح سرى في الفضاء ، ونشر الليل عليها جناحاً فهي سر في ضمير الظلام ، وهبّت للروض بعض شذاها فجازاها بثناء جميل ، ومضى ينشر منه عبيراً مستثيراً كامنات الشجون ، فإذا الجدول النشوان يبدي من هواه ما طواه الزمان ، ردت الذكرى عليه أساه ودعا الشوق إليه الحنين فهو طوراً شاحب قد براه من قديم الوجد مثل الهزال ، صحب الأيام يشكو إليها بثه لو أسعدته الشكاة ، وهو طوراً صاخب قد عراه من طريف الحب مثل الجنون ، جاش حتى أضحك الأرض منه رياض بهجة للعيون ، ونفوس العاشقين كُراتٌ يعبث اليأس بها والرجاء ، كحياة الدهر تأتي عليها ظلمة الليل وضوء النهار .. » .

فإذا أصغينا لخفيف الإيقاع في هذه القطعة النثرية لاكتشفنا شعراً شجياً متحرر القافية قليلاً ، متوحد البحر ، ولو شاء أن يكون شعراً لما كلفه ذلك إلا بعض التعديل الطفيف وإبدال الكلمات وحروف الروي وتقطيعها في قالب الشعر لتجيء قصيدة من بحر ( المديد ) بالرغم من أنه مكون من تفعيلة ثقيلة الإيقاع « فاعلاتن » وأخرى قافزة الإيقاع « فاعلن » وتبدو واضحة لنا إذا كتبت على هذا النحو مع قليل من التعديل :

أقبلت تسعى رويداً رويداً
مثلما يسعى النسيم الرخاءْ
لا يمسُّ الأرض وقعُ خطاها
فهي كالروح سرى في الفضاءْ
نشر الليل من دجاه جناحاً
فهي سرٌ في ضمير المساءْ
وهبّت للروض بعضَ شذاها
فجزى روضُها جميلَ الثناءْ





ومضى ينشر فيها عبيراً
مستثيراً كامنات الشجونْ
فإذا الجدول النشوانُ يُبدي
من هواهُ ما طوتهُ السنونْ
فهو طوْراً شاحب قد براهُ
من قديم الوجد مثل الجنونْ
جاش حتى أضحك الأرض منه
عن رياض بهجةٍ للعيونْ
ونفوس العاشقين مثل كُراتٍ
يعبث اليأسُ بها والظنونْ
كحياة الدهر تأتي عليها
ظلمة الليل وأضواء المنونْ

وهناك أبيات أخرى كتبها نثراً وصدَّر به فصلاً من «جنة الحيوان» بعنوان الغانيات وهو يعلم أنها شعر لا ينقصه إلا ترتيب سطورها في شطرات وحذف بعض حروف العطف لتستقيم وزناً «مستفعلن مستفعلن» :

من أين أقبلتِ يا ابنتي
من حيث لا تبلغ الظنون
(و) ماذا تريدين يا ابنتي
أقول ما لا يصدقون
أسرفتِ في الرمز يا ابنتي
بل ما لكم كيف تحكمون ! ؟

★ ★ ★

## ريتان مصر الضرير .. !

وبالرغم من تلك الموسيقى النثرية في كتابات طه حسين المتعددة التي أوحت إليه بطول الإصغاء قبل الإملاء وتنسيق الإيقاعات بين القصر والطول مما الجأه إلى شيء من التكرار والتقرير وكثرة استخدام أدوات العطف والمرادفات وغلبة الصنعة الشعرية على أسلوب النثر .. ومما جعله يبتدئ كثيراً من فقرات كتاباته بضمائر لا عائد يعود إليها وهي عند أهل الصناعتين خروج على سنن البلاغة ، إلا أن طه حسين تجاوز هذا العيب وحوله إلى صفة جمالية ميّزت أسلوبه وجعلته إحدى خصائصه ، وأتاحت له أن يكون أكثر نفاذاً إلى القلوب والأسماع ومثلاً يحتذيه الكتّاب والناشئة لما فيه من طلاوة وعذوبة وروعة في التعبير والتصوير .. ولم يسلم طه حسين بقدر ما غنم .. من هجوم النقاد على منهجه في الأداء والتعبير بهذا الأسلوب الجديد ، وكأنه أتى به بدعة جديدة أو روى شعراً عويصاً أتعب الرواة :

**وأروي من الشعر شعراً عويصاً**
**يُنسي الرواة الذي قد رووا .!**

وكان أشد المهاجمين له **المازني والرافعي** .. فعدد له المازني عدة عيوب في الأسلوب مبرراً هذه العيوب في كتابه «**قبض الريح**» بقوله :

«لقد ألِفَ أن يُملي كتبه ورسائله ومقالاته ومن شأن الإملاء أن يحول دون مط الكلام وأن يجعل الجمل قصيرة فلا تطول مسافة ما بين أولها وآخرها وأن يغري بالتكرير والإعادة إلى حد ما .. » .

ولم يكن المازني منصفاً في هذا النقد ، فلا حيلة لطه حسين إلا أن يملي أفكاره بأسلوب يحاول أن يمس شغاف سامعيه ويسري إلى قلوبهم كالنسيم العليل .. وإن حرم نعمة استخدام القلم الذي هو أحد اللسانين .. فقد أحال هذا الحرمان إلى قوة غنية بالامتلاء عزَّز بها قوة اللسان الذي يملي وينطق به ، فكان في ذلك بديلاً عن غيبة القلم . ! .

وإذا كان المازني يلمز عاهة طه حسين وهي **العمى** .. ويقيم رأيه على أساسها لأن صاحبها لا يكتب بالقلم ولا يرى ما يكتبه على الورق .. فإن ذلك يذكرنا بالمثل الشائع «**حسدوا الأعمى على طول عصاه** . !» ويذكرنا بقول **بشار بن برد** ، وكان ضريراً خبيراً بوصف النساء :

**عجبت فاطمة من نعْتي لها**
**هل يُجيد النعْتَ مكفوف البصرْ !؟**

ولقد كان أبو العلاء المعري وبشار بن برد ضريرين .. ولم يعب أحد على أسلوبهما الشعري بمثل هذا العيب .. **وكان هوميروس صاحب الإلياذة أعمى** أنشد للإغريق أجمل الملاحم .. بل فقد **بتهوفن** الموسيقار السمع وكتب أخلد سيمفونياته وهو أصم . ! .


★ أحمد شوقي ★ ★ حافظ إبراهيم ★

وكانت الصورة الأدبية هي شاغل طه حسين الأكبر .. هي الجانب الآخر لما وراء سور القرية الذي لا يذكر سواه في الأيام .. تلك الصورة الأدبية التي يرسمها داخل إطار من الموسيقى .. لأن حدقة الشاعر المبصرة عنده تعادل حدقتيْه المطفئتين ، وأنه يتلمس بأذنه البصيرة أبعاد تلك الصورة الغائبة عن البصر الماثلة في البصيرة والسمع .

فكان بحق كما أطلقوا عليه «**ريتان مصر الضرير**» يرى اللوحة ويسمع موجات ألوانها وكأنه هو الذي أبدعها بريشته ونثر في زواياها الأضواء والألوان .. وكان خير مُعبر عن نفسه ومذهبه أكثر مما فعل النقاد حين اعترف في كتابه (أديب) بذلك فقال :

«كان لا يحس بشيء ولا يشعر بشيء ولا يرى شيئاً إلا فكر في الصورة الكلامية .. أو بعبارة أدق في الصورة الأدبية .. التي يظهر فيها ما أحس وما شعر وما قرأ وما رأى وسمع .. » . ثم لا ينسى أن يتمثل قول الشاعر القديم الذي يطابق مقتضى حاله :

إنما السكون آية لمن كان له قلـ
ـب أو ألقى السمع وهو شهيدُ

ويتربص المازني بطه حسين مرة أخرى عندما يتعرض للشعر فيقدم ديوان (**أنات حائرة**) **لعزيز أباظة** وكان وقتها صاحب رتبة ولقب ، فيتهمه بأنه جامل الشاعر المدير ، وأنه خسر الأدب ولم يكسب الحكومة لأن طاقته الإبداعية تضيع فيما يشغله من مناصب عديدة «حتى إذا كتب جاء بماذا ؟ بمثل هذا الكلام الذي لا محصول وراءه ولا أعرف له رأساً من ذنب ! » .

ويرد عليه طه حسين بأسلوب بلاغي موجز ، على طريقة فحول البلاغة حين يسوقون صنوفاً من الإشارة والمجاز والكنايات لا يفهمها إلا عريق في الصناعة .. فيقول له :

«أنا أرجو أن يقرأ الأستاذ مطولة **لبيد وطرفة** وعيْنية **سويد** التي مطلعها :

**بسطت رابعة الحبل لنا**
**فوصلنا الحبل منها ما اتسع**

ورائية **الأخطل** التي مطلعها :

**ألا يا اسلمي يا هند .. هند بني بدر**
**وإن كان حيًّانا غداً آخر الدهر**

ولامية **المتنبي** التي مطلعها :

بقائي شاء ليس هم ارتحالا
وحسن الصبر زمُّوا لا الجمالا

« وسيقول القراء إني ألغز بهذا الكلام ولكني أعتذر إليهم فإني لا أكتب لهم وإنما أكتب للأستاذ المازني » .

فهل كان يلغز حقاً ؟ أم كان يقارع خصماً لدوداً بلسان لدود فصيح يفحم به مهاجمه وحاسده .. فالإشارة لمعلقة لبيد صفعة للمازني من خلال بيت فيها يقصده طه حسين بعينه ويعني به أن يعرف المازني حجمه وحظه من موهبته ومناصبه أمام طه وموهبته ومناصبه العديدة وهو :

**فاقنعْ بما قسم المليك فإنما**
**قسم الخلائق بيننا علاَّمُها**

ويقصد من معلقة طرفة بن العبد قولا بعينه هو :

فلو كنت وغْلاً في الرجال لضرَّني
عداوة في الأصحاب والمتوحد
ولكن نفى عني الأعادي جُراتي
عليهم .. وإقدامي وصدقي ومحتدي

وهو يقول للمازني بذلك لست وغلاً دخيلاً أقحم نفسي على موائد الشرب والندامى وأتطفل دون دعوة ، ولكني مقدام حر جمعت ناصيتي المنصب والأدب وهو أمر ينوء به كاهلك لو أنيط بك . ! .

ويشير في عينية **سويد بن أبي كاهل** إلى قوله بالذات :

**رُب من أنضجت غيظاً قلبه**
**قد تمنَّى لي موتاً لم يطعْ**

ويقصد من لامية المتنبي هذين البيتين :

**أرى المتشاعرين غروا بذمي**
**ومن ذا يحمل الداء العُضالا**
**ومن يك ذا فم مر مريض**
**يجد مراً به .. الماء الزلالا**

وهو بذلك الرد يغيظ المازني ويثيره لأنه أغري بذمه وتمنى له ما لا يتمناه إلا حاسد أو حاقد مريض اللسان .

وهي إشارات لا يفهمها القارئ العادي ولكن يفطن إليها الأديب الأريب كما فطن لها **زكي مبارك** واستخلص منها أن طه حسين صوّر المازني بصورة من يعجز عن عمل المستشار الفني للمعارف وإدارة الجامعة وعمادة الأدب العربي ، وهي جملة أعباء انفرد بها طه حسين دون غيره وفطن زكي مبارك أيضاً لربط هذه العاهة بالأسلوب فيقول : « وهو لتوهمه أنه ضرير يحاول التأثير باللسان حين فاته التأثير بالعين وتصوّره أن لسانه وهو قوته ، يلح في الحديث والإملاء إلحاحا . . . » .

## في حدائق الشعر والشعراء

ظلت جوهرة الشعر تتوهج في أعماق طه حسين من خلل الرماد وتنير له البصر قارئاً للشعر العربي على مختلف عصوره مفتوناً به راضياً بفقده ذلك الكنز مقابل الإنفاق من خزائنه وتداول عملته الذهبية في كل ما كتب وخاض من معارك . . فكان قاسياً عنيفاً كل العنف حين تصدى للشعراء من كل صوب ولون . . فخرج أول ما خرج بكتابه « **الشعر الجاهلي** » ليثير به بين العامة والخاصة جدلا وخصومة شغلت الناس طويلاً . . وليكون أول السهام النارية التي أطلقها على الشعر والشعراء وكأنه يبغي في باطنه أن يثأر لمقتل الشاعر القديم فيه . . أو يقاتل بسيفه المسنون ، فشنَّ حملات ضارية على الشعراء المعاصرين ، فهاجم **شوقي** أمير الشعراء **واتهمه بأنه مُقلد لا يعرف له عقيدة ولا مذهباً حين يقول الشعر** . . وإن **حافظاً** يرى الشعر « ظرف الحكمة ومسرح الخيال وخدر البلاغة » . . وعلى العكس يرى في **خليل مطران** شاعراً معتدلا لا يكظم فطرته ولا يُغشيها بالأستار الخلابة ويرى الشعر مزاجاً بين الخيال والعقل . . ويؤثر **العقاد** على الجميع ويبايعه بإمارة الشعر نكاية في **شوقي والرافعي** وإن كان يقول عكس ما هاجمهم به بعد موتها رائياً أمير الشعر شاعر النيل حين اخترم الصيف حافظاً وأطفأ الخريف جذوة شوقي في نفس العام فيقول : **« كلا الشاعرين قد أحيا الشعر العربي** وردا إليه نشاطه ونضرته ورُواءه .. **وهما أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلاء من غير شك ، ذلك بعد أن أتم كل من الشاعرين رحلة الحياة والفن وتم لهما النضج والمراس والتطور** » .


★ خليل مطران ★ ★ أحمد لطفي السيد ★

وكان هدف طه حسين من أخذ الشعراء بالشدة قبل اللين والنقد قبل الثناء هو أولا الدعوة إلى تنقية الذهن والتحرر من المأثور وتحقيق المثل الشعري الأعلى وقراءة الشعر القديم في ضوء هذا المثل الأعلى . وثانياً أن يشق له سبيلاً في الأرض إلى الشهرة من خلال هجومه على الكبار من شعراء جيله وأسلافه من الشعراء ونقض ما كيل لهم من مديح كما اعترف بذلك في الجزء الأخير من الأيام .

أما هدفه الثالث فهو أن يعطي الشعراء أبدع ما عندهم وأن يقرؤوا المزيد من ثقافات الغرب والشرق والقديم والجديد وألا يبددوا الوقت والطاقة في الكسل أو في طلب الوصول والشهرة دون جني الإبر . . فهو يقسم أن شوقي وحافظاً **وأحمد نسيم** لم يقرؤوا « أرسطو » بل لم يقرؤوا كتاب الأخلاق الذي ترجمه **لطفي السيد** إلى العربية فاختلفت به الأوساط الأدبية وانبرى الشعراء الثلاثة لتقريظه شعراً نشروه فيتهمهم بأنهم خلطوا خلطاً قبيحاً بين أرسطو وأفلاطون والعرب وأنهم لم يتجاوزوا مقدمة الكتاب وأنهم قالوا ما لا يعلمون وما كان الجهل مصدراً للخير ولا وسيلة للإجادة .

لقد أطال طه حسين صحبة الشعراء في عصورهم الجاهلية والعصر الإسلامي والأموي والعباسي في رحلة من ثلاثة أجزاء جمعها في « **حديث الأربعاء** » وهو بمثابة جسر ثقافي مده طه حسين للعابرين من ضفة القديم إلى ضفة الجديد . . فأطال صحبته **للحطيئة** صاحب الصور الدرامية والحوار الشعري الباكر . . **وطرفة ابن العبد** فتى العشرين المتمرد . . **ولبيد** الشاعر الحفي الكريم **وعنترة** الفارس **وسويد** صاحب المطولة التي أحبها وأطال صحبة الغزليين ساعات ووقف عند شعراء نكرات منهم كما قال لم يرتقوا لمستوى أصحاب **المعلقات** في الشهرة وإن دانوهم في الفحولة أمثال **المثقف العبدي** الذي يرى فيه صوت الصحراء القوي ولا يهم أن يكون جاهلياً أو كوفياً ولكنه خفيف الروح يذوب رقة



★ المتنبي ★ ★ د. إبراهيم ناجي ★

ولينا وكأنه شاعر معاصر يخلو شعره من روح الجاهلية :

أفاطمُ قبل بينك متّعيني
ومنعكِ ما سئلتِ كأن تبيني
فلا تعدي مواعد كاذبات
تمرُّ بها رياحُ الصيف دوني

ويخرج من صحراء الجاهلية وفحولة شعرها وجهامته إلى عصور الترف واللين والغزل والعبث والمجون في عصر شعراء الدولة الأموية والعباسية .. بالرغم من شكه في بعض هؤلاء الشعراء الغزليين ومنهم **المجنون وابن ذريح وعُروة وابن أبي ربيعة والراعي النميري والأحوص والعرجي وابن الرقيات وابن الطثرية وكثير عاشق عزة** .

وظلت صلة طه حسين بالشعر والشعراء صلة موصولة الأواصر ينأى عنها ثم يعود .. وكان الشعر هو حديقته الغناء التي يفيءُ إلى ظلالها كلما اشتد به الهجير والقيظ .. كالعاشق القديم العائد للديار والأطلال .. فلا ينسى في رحلات الصيف أو الشتاء إلى ربوع أوروبا وجبال الألب أن يصحب معه شاعراً حبيباً إلى نفسه أو لدوداً لها .. فيؤثر صحبة **المتنبي** في رحلة إلى جبال الألب ليكتب فيه كتاباً ويطوف معه ربوع بغداد وحلب وشعب بوان بدلا من أن يمرح في ظل الجبال العالية ويسترخي على شاطئ البحيرات .

وفي هذا الكتاب يأخذ المتنبي أخذاً شديداً عنيفاً لا هوادة فيه ولا يفرق بين شعره وسلوكه ويتهمه بجحود ماضيه والنزول عن كبريائه وهو صاحب مال انتهى به إلى البخل القبيح وأنه كان شاعراً كغيره من الشعراء « أنزل نفسه فوق قدرها وزعم ما ليس من أخلاقها وظن نفسه حراً ولم يكن إلا عبداً للمال وظن نفسه أبياً ولم يكن إلا ذليلاً للسلطان وظن نفسه صاحب رأي ومذهب ولم يكن إلا صاحب تهالك على المنافع العاجلة » .

ويقارنه بأبي العلاء الذي جاء بعده نقيضاً لسلوكه صاحب ترفع قانعاً بصحبة العقل والشعر « لم يتعلق عليه أحد بذلة » .

وبالرغم من قسوة طه وتجنيه على صاحبه إلا أنه يقف معجباً أمام روائعه ويهتف متمثلاً شعره في كثير من أقواله .. ويعجب أيما إعجاب **بقصيدته الميمية في الحمى** فيقول :

« من أرق الشعر العربي كله وأعذبه وأرقاه وأشده استثارة للحزن وتحريقاً للقلوب الحاسة الشاعرة فأنا لا أرى شاعراً يصطنع الشعر ليصوّر ما يجد من لوعة وحسرة ويأس وإنما أرى اللوعة والحسرة واليأس تتخذ الشعر لساناً لتبلغ أسماعنا وتنتهي إلى قلوبنا « مع أنه لا يخفى منزلته في نفسه ولو جارى هواه لصحب معه شاعراً من أحبائه **كالفرزدق أو ذي الرمة أو الطرماح ومسلم وأبي نؤاس وأبي تمام** وصحب المتنبي على كره . ! .

وظل طه حسين يتابع مسيرته النقدية في دروب الشعر والشعراء .. يؤدي دوره الأدبي في رصد الحركة الشعرية وملاحقة ما تصدره المطبعة من دواوين .. فيفرد الجزء الثالث من حديث الأربعاء لشعراء المدرسة الجديدة يقسو عليهم مرة ويترفق بهم أخرى بل ويهدر دمهم أحياناً كما فعل مع **إبراهيم ناجي** في باكورة أعماله .. حتى غضب الشاعر الرقيق وأعلن هجر الشعر ولم يعبأ طه حسين معلناً أنه لو كان شاعراً حقاً لعاد .. وإن لم يكن لكفى نفسه وغيره شر القتال . ! .

فقد اتهم طه حسين شعر ناجي بأنه شعر صالونات ومجالس أنس وصفو « كهذه الموسيقى التي يفسدها الفضاء الطلق وتضيع في الميادين الواسعة وتجود كل الجودة حين تغلق الأبواب وترخى الستائر ويخلو النجيّ إلى النجيّ ويتمتع الحبيب بقرب الحبيب ... » .

وكما أخذ ناجي بالعنف أخذ صاحبه **علي محمود طه** بالحب والتقدير في ديوانه « **الملاح التائه** » لأنه في نظره « مهياً لأن يكون جباراً إن عني بفنه وفرغ له وجد في طلب الإجادة والاتقان أما الدكتور ناجي فهيأ لأن يكون هذا الشاعر الوديع الذي لا يتعبنا ولا يكلفنا فوق ما نطيق من المشقة والجهد صوته يرن في أذننا ونفوسنا رنيناً حلواً على حين يُدوي صوت صاحبه في آذاننا ونفوسنا .. » ثم يُعنِّف الشاعرين على نقاط الضعف بقدر ما وفاهما حقهما من التقدير .

ولم يسلم **أبو الوفا** منه عندما أصدر « **أنفاس محترقة** » فيعتبره نظماً وإن رآه غيره شعراً . ويتعرض لشاعر الجداول **إيليا أبو ماضي** فيتهم شعره بالضعف وبأنه « يكاد يكون رطانة أعجمية تتقارب فيه الرداءة حتى توشك أن توغل فيه إيغالا ... » .

ويعدد له عدة أخطاء عروضية ونحوية .. على قدر ما كان في شعر أبي ماضي من جدة وجمال ويقدم على هؤلاء جميعاً الشاعر اللبناني « **فوزي المعلوف** » في ديوانه ( **على بساط الريح** ) قائلاً : « مر بالأرض مراً سريعاً كما تمر النسمة الهادئة التي تحمل على هدوئها وحلاوتها خصباً كثيراً فيه ضياء للنفوس وشفاء للقلوب » .

وقد طالب طه حسين الشعراء بإعطاء أغلى ما لديهم من كنوز والحرص على جوهرة الشعر المتوهجة في أعماقهم فيقول بعد أن انقشع غبار المعارك ونبغ جيل وراء جيل من الشعراء : « وإني لأشعر بشيء من الحزن العميق حين ألاحظ أنا كنا منذ أعوام نقسو على حافظ وشوقي رحمهما الله نجادلهما أشد الجدال ولا نكاد نسلم لهما بالإجادة ولم نكن في ذلك مسرفين ولا مخطئين وإنما كنا نؤدي للمثل الفني الأعلى حقه ولا نكتفي من شعرائنا بما كانوا يكتفون به ولا نرضى لهم أن يفسد عليهم أمرهم العُجب ويحملهم الغرور على التقصير أو القصور ... » .

وبعد .. ذلك جانب من جوانب طه حسين وهو أبرز سماته وجماع فنه الأدبي .

فالشعر والتصوير والموسيقى هي مفتاح الشخصية عنده وهي باختصار فن الإيقاع باللفظ واللون والوتر .. فشاعرية طه حسين نابعة أساساً من عقدة التحدي والكبرياء .. فهو يرفض الظلام ويصر على قهره واجتياز العقبات التي تحول بينه وبين النور .. متأبياً أن يجعل مذهبه الأدبي تجارة يساوم فيه كما يساوم التجار .. لأنه كان حقاً عند قوله : « مستمتعاً بهذا الضمير الأدبي الذي يُتيح لأصحابه القوة والخلود » .



# بدور والشاطر حسن

شعر : إبراهيم أبو النجا

أحببت قولبي خفتاه برؤى الأحرارْ
ترويها الجدةُ في شوق ليلاً ونهارْ
وتهز بنبرتها النشوى آفاق الدارْ
فيلوح على فنَن الذكرى إكليلُ الغارْ

* * *

الشاطرُ لا يخشى أبداً أهوالَ الدهرْ
[ حسن ] يجتاز على فرس أخطارَ البرْ
ومنارُ العزة يُغْريه برحيق النَّصرْ
فيخوض بعزم فيَّاض غمراتِ النَّهرْ

* * *

الجدة تحكي لا تدري أنّي مقهورْ
ودبيبُ اليأس بأعماقي يغتال النورْ



فالشاطرُ في الزمن اللاهي ما عاد غيورْ
قَد ولّى الظَهرَ لميثاقٍ أخذته (بدورْ)

* * *

فَصَرَخْتُ بعنفٍ كي تُشْفى مِنْ أسْرِ الوَهمْ
وترى الآمالَ يُرَوِّعُها إعْصارُ الظُلمْ
يجتاح الواحة محموماً بلهيب الإثمْ
فتئن بدورُ وراعيها عَن ذاك أصمْ

* * *

الجدة صاحت والهفي أين الفُرسانُ ؟
أتظلُّ بدورُ مُكبَّلَةً خلْفَ القُضْبانُ
تشق بالقيد ويُدميها سوْط السّجانُ
وامعتصماهُ ! لقد هانت بنتُ العُرْبانُ

* * *

يا بؤسَ الجدة أذهلَها لهْوُ الشطّارْ
فغدت تَبْتاع من الماضي سيفاً بتّارْ
ليُبيد من الأفق الدامي وَكْرَ الأشْرارْ
ويَصوغ نشيد أمانينا عزاً وفخارْ

* * *

يا ثكْلى الحاضر ما جدوى هذي الأنّاثْ
قولي لبنيك وقد ألفوا عَيْشَ الأغواثْ
لا القيصرُ صامَ ولا كسرى يرعى الحُرُماتْ
ومياه النهر يُلوِّثها سُمُّ الشَهواتْ

* * *

الحاقد يرهبُ في صمت بَعْثَ الأمجادْ
ويخافُ ربيعاً تُزهِرُه قيمُ الأجْدادْ
فإذا هو سيفُ للجاني رَغمَ الأحقادْ
لتظلَّ بُدورُ معذبةً رَهْنَ الأصفادْ

* * *

# نحن هنا




تحتوي مكتبة تهامة الجديدة على مختلف الكتب العلمية والثقافية ومنها :ـ

١ – اصدارات مؤسسة تهامة وتشمل الكتاب العربي السعودي والكتاب الجامعي ومطبوعات تهامة الى جانب توزيعات تهامة .

٢ – سلسلة كتاب تهامة للاطفال .. وسلسلة كتاب تهامة للناشئين .

٣ – الكتب الدينية .

٤ – كتب الادب والشعر والقصة .

٥ – كتب التراجم والسير .

٦ – كتب التراث .

٧ – كتب القانون والسياسة .

٨ – كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات .

٩ – كتب الفنون والتربية الرياضية .

١٠ – كتب الادارة والاقتصاد .

١١ – كتب المحاسبة والهندسة والزراعة والطب .

١٢ – كتب الشئون المنزلية .

١٣ – مجموعة القواميس وتعليم اللغات .

١٤ – كتب التربية وعلم النفس .

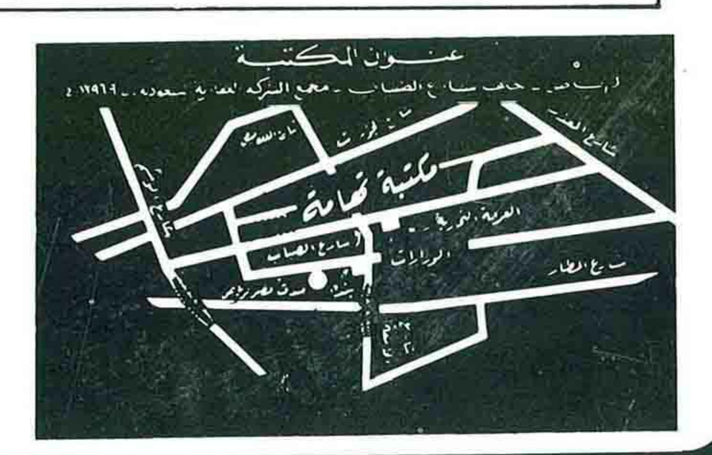
١٥ – الى جانب الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية ومجلات ( الازياء ) و ( المطبخ ) .

كما تشمل المكتبة على كتب باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية بالاضافة الى تشكيلة جديدة كاملة من الادوات المكتبية والهدايا وجميع مستلزمات الانتاج الفني ..









# من نافذة القمر

بقلم:
عدنان الداعوق

أحس عيون الناس وهي تتابعه كأنها سياط تلتف حول جسده وتشدّه إليهم ليمعنوا تطلعاً بفضول إليه.

**هل من الممكن أن يعرف خفايا نفسه أحد..؟**

إنه يدفن السر في أعماقه، ويحاول جاهداً وأبداً أن يبتسم.

فهل من الممكن أن يقدر أحد أن يفسّر هذه الابتسامات الدائمة إلى ما كان يؤلمه ويوجعه..؟

ربما.. هذه (الربما) هي وحدها التي تؤرقه، وتسبب له الاضطراب وتجعله يحسب حساب الناس جميعاً.

منذ أيام طويلة كان يحبس نفسه في غرفته ويفكر بأن يبدّل ظروف حياته.. فكل ما كان حوله أخطاء تتفشى وتنخر لب العظام.

قرر أن يسافر ويترك بلدته الصغيرة ليعيش في العاصمة الكبيرة بعيداً عن عين ولسان كل أهل البلدة الصغيرة التي كانت همومها تنحصر في المراقبة الجيدة والتطاول في الحديث.

إنهم متفقون على هذا تماماً، على الرغم من أنهم منذ عشرين عاماً لم يتفقوا أن يحولوا **مجرى السيل** الذي يقضي على معظم مزروعاتهم في كل المواسم.

هم قالوا عن **«ربيحة»** إنها حامل رغم أنها عانس تعيش مع أمها وحيدتين في منزلها العتيق المتهدم في طرف الطريق الغربي الداخل للبلدة. ولما انتشر هذا القول واتفقوا عليه وعم أفواه وآذان الناس جميعاً، اضطر خالها القاطن في بلدة قصية أن يحضر ليسوي الحساب مع ابنة أخته ويغسل العار.

كذلك قالوا عن **«حامد»** إنه أثرى من وراء بيع السكر المخزون في عنابر المؤسسة إلى جهات مشبوهة، وبأسعار غالية جداً.





وانتقلت عدوى القول من الكبار إلى الصغار حتى شاعت في البلدة الشائعة المرعبة ، فاضطر «حامد» للهرب ، لكن العيون والأفواه كانت وراءه ، فتبعته الشائعة إلى مهربه وألقي القبض عليه .. فاعترف أنه الفاعل ، كما أرادوا له أن يقول .. وحين أودع السجن وحكم عليه ، كان **البنك** يبحث عن عنوان «حامد» الجديد ، لأن هناك عدة أوراق أخرى لم يوقّع عليها إثر تلقيه من عمه في **المهجر الأمريكي** نصف ميراثه .

كذلك قالوا .. وقالوا .

ربما هم يعرفون بماذا يفكر ، على الرغم من أنه يفكر بالأمر سراً .

إلى العاصمة الكبيرة سيبتعد عن كل عين ولسان يلاحقه ويتبعه .

هناك لا يعرف أحداً ، ولا أحد يعرفه .. وهناك يعيش بأمن وسلام ، بعيداً بعيداً .

في الحافلة التي تكدست بأكوام البشر ، والقادمة من العاصمة إلى البلدة الصغيرة كان الناس يتحدثون .. ويعلو نقاشهم وحوارهم ويرتفع على صوت محرك الحافلة العتيق ، كانوا يقولون إن العاصمة لها متطلباتها ، وعلى من يختار العيش فيها أن يتقن عدة لغات .. ويكون ماهراً في أكثر من مهنة لكي يؤمن دخلاً معقولا يتناسب وعيش العاصمة .

وجعله التردد يفكر كثيراً في غرفته القصية بطرف البلدة .

ولما انتصف الليل خرج إلى السطح على أطراف أصابعه لئلا يوقظ أحداً فيتنبه إليه وإلى تأمله في السماء .

كان القمر يصافح الأرض ويغسل بعض البقع التي جعلت في كل مكان حفراً تفوح منها روائح نتنة .

تأمل القمر وأطال التأمل ، فخرج إليه وجه طفل من نافذة القمر ، كان الطفل يبتسم بعفوية وسذاجة مفرطة .

وضاقت به ابتسامة الطفل الملحّ في التطلع ، فلما أراد أن يغمض عن ذلك الوجه عينيه ، صاح به الطفل بإعجاب :

**ـ لا تحاول أن تقفل النافذة بيني وبينك .. كأنك لم تعد تعرفني .**

صاح بالطفل المطلّ من نافذة القمر :

**ـ وهل أنا أعرفك حقاً ..؟**

قال الطفل بابتسام :

**ـ أنستك الدنيا وجهي .. تأملني جيداً ، الا تذكر هذه الندبة فوق جبيني ..؟**

حدّق في وجه الطفل المطل عليه ، وتركز بصره عند الندبة التي أشار إليها ... تذكّرها جيداً جداً .

كان في السابعة من عمره يوم كان يلعب مع «**هالة**» ابنة خاله الرقيقة ، كانا يلعبان بلعبة (حط الحجر .. شيل الحجر) ، ويملآن الجو حولهما بغبطة طفولية رائعة ، وفجأة انضمت إليهما «**حسناء**» أخت «**هالة**» الكبرى .. وأرادت أن تقتحم عليهما غبطتهما ، فتناولت الحجر .. وحين صاح بها أن تضعه في مكانه ، أمعنت في تعذيبه ، فنهض إليها ليأخذ الحجر من يدها ، فانفلتت تمعن في الهرب إلى الحديقة ، واختفت وراء شجرة التوت الكبيرة ، وجعلت تفاوضه : إن أمسك بها أعطته الحجر .

فاشتد حماسه وانطلق خلفها وهي تزيد في قهره وتعذيبه ، حتى إذا ما اقترب منها مدّ كلتا يديه للإمساك بها ، فانفلتت من تحتهما وشعرت بالخيبة ، فألقت الحجر في وجهه .

ورأى كل ما حوله فجأة يصطبغ بلون أحمر .. وبعد حين بدأت الألوان الداكنة تنكشف عن عينيه رويداً ، وصافح وجهه وجه «هالة» وهي توسّد رأسه وتضمد له جرحاً فوق الجبين .

وقبل أن يسأل عن «حسناء» ، قالت له أختها الرقيقة :

**ـ ما إن رأت الدم يتدفق من جبينك حتى هربت .**

تطلع من جديد بوجه الطفل المطل عليه من نافذة القمر ، وقال له باطمئنان :

**ـ كلا .. أنا لم أنسك يوماً ، ولكنني نسيت وجه هالة .. ترى كيف صار وجهها الجميل بعد هذه الأيام الطويلة ..؟**

★ ★

تزوجت «هالة» من مهندس شاب ، وارتحلا معاً إلى **إفريقيا** يبنيان هناك مستقبلاً لهما ، وليستشعرا معاً بلذة الكفاح .

والخبر الوحيد الذي عرفه عنها منذ سفرها وارتحالها ، أنها أنجبت ولداً لطيفاً يشبه ابن عمتها ، وقد أسمته باسمه : «حامد» .

تراها ما تزال تذكره ..؟

وكيف لا تذكره عندما تنادي ابنها ..؟

الفرق الوحيد بينه وبين ابن «هالة» أن ذلك الطفل المولود بعيداً لا تحتل ندبة كبيرة جبينه العريض .

وامتدت يده تتحسس موضع الندبة ، بينما راح الطفل المطل من نافذة القمر يقهقه بصوت عال ومسموع ، وهو يختفي ويغلق النافذة وراءه . . . وتعود الظلمة تحتل وتشمل حوله كل مكان .

وانتقل إلى العاصمة الكبيرة ، وراح يجتر أحلامه وماضيه ، لأن حاضره كان في منتهى القتامة .

فخلال فترة طويلة لم يسمع أحداً يناديه باسمه ، حتى تأكد أن العاصمة كلها لم تسم ولداً من أولادها « حامد » . . فهو اسم غير مألوف ولا معروف .

ذاق في شوارع العاصمة الكبيرة مرارة الأيام .

وحاول أن يزرع في كل حديقة نبتة خضراء ، ولما كان يمر في اليوم الثاني ليطمئن على تلك النبتة ، كان يجد مكانها غصناً خشبياً مملوءاً بالأشواك فلا يحتمل أن يبقيه في موضعه وإنما يقتلعه وهو يندب اخضرار العود المورق وتحوّل الأوراق الداكنة الخضرة إلى أشواك مسنونة الرؤوس .

وقبل أن يشعر باليأس المطبق ، كان يرى كل شيء حوله في شوارع العاصمة الكبيرة وقد نبت الشوك فوقه .

على أهداب العيون التي كانت تتابع التطلع إليه كان يرى الأشواك فوقها ، عند أطراف الشفاه التي تحاول الابتسام كانت تنبت الأشواك وتمتد . . فوق نهايات الأصابع التي تبرز من الأيدي الممدودة كانت تترعرع الأشواك . . على ذؤابات الأشجار الباسقة كانت تشرئب عيدان الأشواك . . في نهايات خصلات شعر الفتيات الصغيرات اللواتي كن يلعبن بالكرات الملونة كانت تظهر الأشواك متشعبة في كل طرف واتجاه .

ودب اليأس في قلبه واشتعل الأسى .

فراح يبحث في المخازن المنتشرة في كل مكان عن مقص أو سكين أو فأس يجتث بها الأشواك التي تملأ كل ما حوله .

لما كان يقابل إلا بالسخرية والازدراء :

**ـ إن أية آلة حادة لقطع الأشواك ممنوع تداولها أو بيعها أو حتى تناقلها بين أيدي الناس . . لذلك فالجميع محتّم عليه أن يبارك للأشواك نموها وازدهارها .**

من جديد أحس عيون الناس وهي تتابعه كأنها سياط تلتف حوله وتشده إليهم ليمعنوا تطلعاً بفضول إليه .

كان قد قرر أن يدفن السر في أعماقه . . لكنه كان لا بد له من أن يفعل شيئاً ، فأسقط في يده وذهبت كل محاولة أتاها بلا جدوى .

تراه يعود من جديد إلى بلدته الصغيرة . . ؟

أدار رأسه عن الاتجاه التي تقع فيه بلدته ، وذهب إلى بلدة أخرى . وظل يتنقل . . ويتنقل .

وفي كل مرة تخطر لباله بلدته الصغيرة كان يتأكد أن الجسور الممدودة التي تصله بها قد نسفت وتهدمت وانقطع دونه أي رجوع .

حتى وصل إلى بلدة نائية على البحر .

فراح يرقب ، بقلب طفل يطل من نافذة القمر ، قارباً يأتيه ليحمله إلى مكان ما يتوقع فيه أن يزرع نبتة ولا يحصدها في اليوم التالي عوسجة أو شوكة مسنونة .





# جدران الشاطئ

بقلم: غالب حمزة أبوالفرج

ويطفو الأمل على جدران الشاطئ.

وترتفع همسات الموج في بوحها... وكأنها تحكي قصة طويلة صاغها الفجر بألحانه فبدت كحسناء ملت البقاء قريباً من المدفأة.. فخرجت تنشر شعرها الذهبي في الشمس الحانية.

ويمل الصمت صراخه الهادئ... ليستقبل مع نسائم الصباح ذكريات عزيزة جاءت هكذا فجأة بلا موعد.

ويرتاح الغصن الأخضر، على شرفة القصر الكبير... يهدهد في راحة زقزقة العصافير التي أخذت تمرح في حبور على شواطئ الأمل.. ترفع عقيرتها بغناء هامس تردده أوراق الشجر الأخضر.

هناك هناك.. في البعيد.. كانت أمينة.

تطل من بين العيون الناعسة.. التي أخذت تدق الأرض بخطواتها الراقصة حتى إذا ما رأت ظلها يتمدد من وراء المياه الحلوة هفت نفسها إلى الذكريات.

وترنو بناظريها إلى الأفق لترى على البعد طيرها المفضل يجاذب بجناحيه أجواء الفضاء اللامتناهي ومن تحته يبدو البحر ومياهه أشد زرقة مما تعرف.

ربما أنها قد اختلطت بذاكرتها ذكريات الأمس البعيد والقريب.. هي التي جعلتها تبدو هكذا أشبه بتمثال ضمخته أشعة الشمس على حين غفلة.

وتواصل مسيرة الذكريات في هدوء ورتابة كأنها ترغب في شحذ ذكريات اختزنت الكثير الكثير.. لكن زوجها الذي عاد من رحلته القصيرة على الشاطئ، قطع عليها فكرها وتفكيرها بقوله:

**ـ أراك ساهمة تنظرين إلى الأفق نظرات حيرى.**

أجابت في اقتضاب: لا.

لكن لم يقتنع من ردها ذلك وقال: لقد كنت أتابع نظراتك من بعيد فرأيتك تحلمين في صحوك. وتحدثت إلى نفسها وقالت: **لماذا يقطع زوجها دائماً حبال تفكيرها هذه؟**

ونظر إليها زوجها وقال: **إذن ماذا أسمي كل هذا الذي أراه؟**

ردت في شيء من العصبية:

**سمه ما تريد ودعني فأنا لا أفكر.. وإنما أتذكر.**

ـ عجيب أمرك يا زوجتي تتذكرين ماذا؟

نظرت إليه وقالت:

**ـ أتذكر أيامنا التي مضت أويكفيك هذا؟**

أجابها بشيء من التهريج:

**آمل أن تقفي عند هذا الحد ولا تذهبي إلى أكثر منه فأنا أخاف دائماً من ذكرياتك.**

ثم صمت فقالت: **أنت هكذا دائماً.. تريدني أن أكون ظلاً لك.. وتنسى بأنني إنسان له مشاعره.**

أجابها: لا عليك سأمضي بعيداً.. وسأتركك لأخطائك.. وعندما تجدين أنك قد انتهيت من ذكرياتك سأعود.

ويمضي في طريقه لا يلوي على شيء.. تتابعه هي بناظريها ويلتفت إليها ملوحاً بيديه فتقول لنفسها.. **هو هو لم يتغير كثيراً**.. وراحت تنظر إلى البحر في هدوء بينما ذاكرتها تلملم أحداث الماضي في صمت ورتابة.

أويكون حالها على ما هي عليه.. أم أن هناك بوادر انفراج



تستطيع أن تحسه من خلال أحلامها وأمانيها التي تأمل أن تتحقق ويرتفع صوت ابنتها إلى جانبيها قائلة : **ماما متى نذهب إلى حديقة الألعاب فلقد مللت الجلوس هكذا بجانب البحر .**

وتنظر إليها لترى طفولتها من بين أهداب هذه الصغيرة التي تحبها .. ثم تبتسم وتقول .

**- غداً سآخذك يا حبيبتي إلى الحديقة .**

- ونلعب سوياً يا أماه ؟

**- نعم يا صغيرتي .**

وتسكت الصغيرة وتمضي في تذكر أحداث طفولتها .. لقد مرت بنفس الموقف مع والدتها فلقد كانت أمها من ذلك النوع العاطفي الذي تشغله إحساساته عن أن يرى مواقع قدميه على الأرض .. عرفت ذلك عندما كبرت وفهمت لماذا كانت أمها مشغولة عنها يومها كما هي مشغولة ، عن هذه الصغيرة .. فلقد كانت تفكر هي الأخرى كما هي تفكر الآن قد تكون هي الأخرى تحب زوجها مثل ما كانت أمها هي الأخرى تحب أباها .. ولكن .

أمن الممكن أن يكون والدها هو الآخر مثل زوجها ، فهي تعرف أن زوجها يلعب بذيله كثيراً وإلا ماذا تقول عن هذه الرسالة .. ومدت يدها إلى شنطتها لتقرأ مرة أخرى .

**« عزيزي :**

**قد لا أكون في حاجة إليك مثل احتياجي الآن فهل تأتي لتحل المشكلة التي أجدها صعبة الحل ... » .**

حاولت أن تقرأ التوقيع من ذيل الرسالة دون جدوى ، لكنها كانت واثقة فالخط واضح على أنه خط نسائي .. هكذا أحست وصدقت بما أحست ، ثم حاولت أن تناقش زوجها في أمر الرسالة . لكنها لم تجرؤ .

كانت تخاف أن يكون الأمر أكثر مما تفكر فيه .. ففضلت أن تحتفظ بالرسالة ، ولا تنبس ببنت شفة . وقد سألها زوجها عن أسباب همها في شوق وحب ، لكنها فضلت أن ترد في اقتضاب وهي تظن أنها ستفاتحه فيها هذه الليلة .. فهو وهي هنا **في مدينة كان .**

والمدينة ملأى بالنساء من كل نوع وجنس ترى من صاحبة المشكلة ..؟

أخذت تستعرض صديقاتها اللواتي رأتهن هنا في المدينة العجيبة فلم تخرج من استعراضها بنتيجة ... فصممت أن تتحدث إليه الليلة .. ولكن .. إذا صح ما توقعت هل تقطع الإجازة الصغيرة .. وتعود .

ربما .. من يدري . وعندما وصلت إلى هذا الحد من التفكير وجدت زوجها أمامها يلقي بكلتا يديه على شنطتها التي كانت تحاول إخفاء الورقة بداخلها لكنها لم تفلح .

أمسك زوجها بالرسالة وقال ضاحكاً :

**- إذن أنت السارقة ؟**

ردت في عصبية :

- بل هي السارقة .

سأل : **من هي ؟**

وازداد ضحك زوجها ثم تابع قوله لها .. إلى هذا الحد لم تعودي تعرفين خط أخيك .

نظرت إلى الرسالة مرة ثانية .. ودققت فيها وعندما وضحت أمامها الحقيقة قالت :

**وما هي المشكلة ؟**

أجابها زوجها : أنت المشكلة .

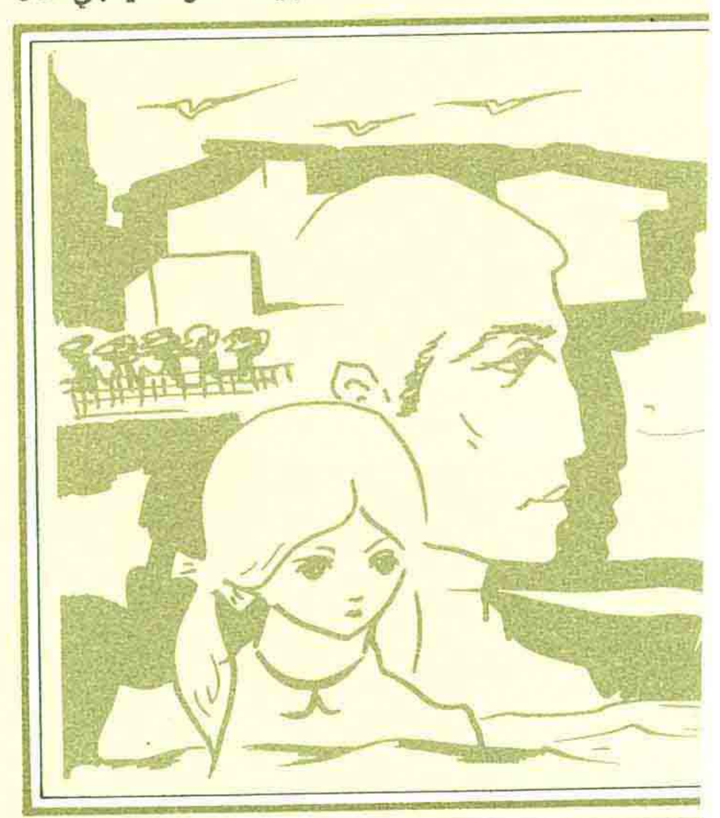
**- أنا ؟**

- نعم أنت .. ففريد ينتظر منذ مدة طويلة نتيجة الأمر الذي كلفك بإنجازه .

**- أوتعني زواجه من وعد .**

أجابها بهزة من رأسه فقالت : لكنها وعدت أن تفكر في الموضوع فهي تعرف رعونة أخي وتخاف على نفسها من الضياع معه .

**- ولماذا لم تقولي له ذلك .. حتى يطلب معونتي فأقع أنا في كل المشاكل .. أوتدرين يا رانيا .. لقد عرفت الموضوع .. موضوع انشغالك وتفكيرك منذ ذلك الوقت الذي أتيت لمناقشتي ولكنك أحجمت عن ذلك .. ولولا الصدفة لبقيت مع الغيرة تأكل قلبك في هدوء وعلى مهل كما تتآكل جدران الشاطئ بين المد والجزر .**



# كنافة نابلس

بقلم: علي محاسنة

ظل «حسام» يصعد ذلك الدرج النابلسي المتعالي .. كل صباح في ذهابه إلى **المدرسة**، وينزله عند الظهر في العودة .. امتد ذلك طوال السنوات الأربع التي مضت، وسيمتد إذا ظل كل شيء كما هو لسنتين أخريين، أي حتى يكمل السنة السادسة في **المدرسة الابتدائية**، قبل أن يتحول إلى **المدرسة المتوسطة**، حيث الطريق إليها أقل وعورة .. كان حسام يحس بالتعب من صعود الدرج إذ كان عليه أن يصعده بمفرده .. أمّا مع الأصحاب فكان الجميع لا ينتبهون إلا على الدرجة الأخيرة عند التقاء الدرج بالشارع الأعلى ... فهم منهمكون بالأحاديث والمداعبات وما إليها.

عند رأس الدرج هناك اعتاد حسام وصحبه أن يروا كل يوم على الجانب المقابل من الشارع **«أبو العبد» الكنفاني**(*) بطربوشه النابلسي العتيق، وقد وقف يرتب أوضاع دكانه الصغير، ورائحة الكنافة النابلسية الشهية تنبعث من ذلك الدكان المحبوب الذي يعرفه كل من زار نابلس.

وهناك أيضاً كان الصغار حسام وصحبه يتوقفون للحظات ... في نهاية رحلة الصعود، وينظرون عبر الدرج إلى الأسفل، فكأنهم يقيسون ذلك المدى الذي قطعوه صعوداً ... فيتنفسون ارتياحاً .. ثم ينادون **«أبو العبد .. صباح الخير عمو .. كيف الكنافة اليوم . ؟»** فيرد أبو العبد مبتسماً بلهجة نابلسية أصيلة **«أهلاً .. بالشباب .. صباح الخير فيكن .. الكنافة اليوم على كيفكن ...»** .. ويرفع يده ليعدل من وضع الطربوش على رأسه، ويمسح مسحة بالمنشفة على الطاولة الأقرب إليه .. ويمضي الصغار إلى المدرسة.

عند الظهيرة .. يعود حسام وصحبه .. وعند رأس الدرج قبيل بدء النزول يتوقفون ليلقوا نظرة نزولا مع الدرج يتعرفون مَن المار على الشارع عند أسفل الدرج .. فإذا كان من الأصحاب نادوه ليلقوا إليه الكرة .. ليتلقاها وهي تنزل الدرج حتى لا تنفذ عبر الحي ... فيتوقف ثم يلقون إليه أي شيء آخر يتدحرج .. غير الكرة .. فيهرب من وجه الدعابة المتدحرجة ليختبئ وراء أي حاجز يقيه، ويضحكون من القلب ضحكات عذبة ....

وتتطاير صيحات وأصداء نابلسية صغيرة عبر سماء نابلس ... لكن هذه المرة .. كان .... هنالك غريبان بعيون زرقاء ولون أشقر ... مع نمش .. يمشيان جنباً إلى جنب عبر الشارع عند أسفل الدرج، وكل منهما يقبض على سلاحه الأوتوماتيكي .. حسام وصحبه يقتربون من أعلى الدرج .. كالعادة يلقون نظرة على الدرج والشارع الأسفل.

لم يكن في الشارع غير الغريبين الكريهين، وفلاحة عجوز تمشي متمهلة بثوبها المطرز، وحزامها العريض، وعلى رأسها سبت من القش ربما فيه بعض الفاكهة .. الغريبان يتناوبان النظر إلى الخلف .. نحو الفلاحة العجوز بين الفينة والفينة .. ويتباطآن بصورة مكشوفة .. حتى تجاوزتهما ... واستأنفا السير خلفها.

توقف الأولاد قليلاً .. تردد حسام .. وكان ينتظر أن يجد على الشارع الأسفل من يلقي إليه الكرة كالعادة .. نظر في وجوه الآخرين حوله .. وجدهم جميعاً ينظرون في عينيه ويتبادلون نظرات كأنَّ كلًا منهم يقرأ ما في عيني الآخر .. تراجعوا عن حافة الدرج قليلاً، كأنما أرادوا أن لا ينتبه الغريبان لوجودهم على الشارع العلوي عند رأس الدرج .. بدا لكل منهم أن هنالك ما يجب أن يحدث لكنه غير محدد بالضبط...

فجأة انتفض حسام قائلاً لأصحابه **«هيا .... من خلف دكان «أبو العبد» وعلى طول الزقاق وزيتونات عبد الباقي ...»** .. تساءل بعض مَنْ هم أصغر سناً .. **«ولكن لماذا .. ماذا هنالك .. ؟؟»** .. لكن حساماً ورفيقيه **«ناصر»** الذي



اشتهر مع حسام كأشقى ثنائي في المدرسة ، و « عايد » صاحب العضل المفتول الذي عرف بين الأصحاب باسم « عبده أبو جنزير » .. أخذوا يدفعون الأولاد الأصغر سناً إلى الاختفاء ، والابتعاد عن المكان حالا .. وبوجوه جادة صارمة رغم ملامح الطفولة ... وما هي إلا لحظات حتى لم يبق على الشارع إلا الثلاثة .

الجنديان يقتربان من أسفل الدرج على الشارع السفلي ....

حسام .. عايد .. ينقضان معاً على كومة حجارة من جدار حديقة قديم منهار ، ويحمل كل منهما قطعة حجر ضخمة مستديرة ، بينما عمد عايد إلى إطار سيارة متروك ، وأودع فيه عدة قطع من الحجارة وعلب الصفيح الفارغ ، ودحرجه حتى رأس الدرج ... ثم معاً .. بكل عزم ألقوها لتتدحرج عبر الدرج الشديد الانحدار باتجاه الغريبين عند أسفله .

ثم انطلقوا جميعاً إلى دكان « أبو العبد » وكسهام ثلاثة اقتحموا الدكان .. وعبر الباب الخلفي المفضي إلى حوش قديم ...

قام أبو العبد بهدوء .. أقفل الباب الخلفي وراء من عبروا ، وتناول منديلاً مسح به وجه طاولة قريبة منه ثم تركه فوقها .. واتجه نحو الباب .. وما هي إلا لحظات حتى انطلقت أبواق سيارات الدورية .. تملأ الحي القريب بصفيرها .. وعبر الشارع العلوي تقترب سيارة جيب عسكرية مسرعة لتتوقف على باب « أبو العبد » .. يترجل جنديان بالسلاح يسألان أبا العبد الواقف عند الباب « **من عندك في الدكان .. ؟** » .

★ لا أحد .

– **من كان عندك قبل خمس دقائق ؟** .

★ لا أحد .

– **وقبل نصف ساعة .. ؟**

★ لا أحد .

– .. إذن لماذا تضيع وقتك



# كنافة نابلس

في هذا الدكان إذا كانت تمر الساعات دون أن ترى أحداً ؟

★ .. لكن لا بد أن يأتي البعض .. ولا بد أن يعتدل الحال .

**– تبدو فيلسوفاً .. ؟ لا بد أنك تبيع الفلسفة لا الكنافة .**

وبنبرة نابلسية ساخرة ردّ أبو العبد :

★ لا .. لا .. بل أبيع الكنافة النابلسية .

**– «كان الأفضل أن يُغلق هذا الدكان»** .. قال الجندي مخاطباً زميله ... الذي هز رأسه فقط .. ثم مرّت سيارة عسكرية أخرى مسرعة ، أشار لها أحد الجنديين فتوقفت أمام الدكان ، وتحدثوا بلغتهم الغريبة .. عبارات سريعة .. ثم انطلقت السيارة .. وعاد الجنديان يتمشيان جيئة وذهاباً أمام الدكان .. وبعد قليل اقتربا وطلبا بعض الكنافة .

قدمها أبو العبد .. وأخذ كل منهما الطبق واقفاً عند الباب . قال أحدهما بعد أن تناول بعضاً منها **«إنها لا تبدو لذيذة .. كما هو مشهور عن كنافة نابلس»** . فعلق الآخر **«لا .. ربما كان هذا الرجل لا يحسن صنعها .. في أمريكا وحتى في بولندا كنت أسمع عن كنافة نابلس ..»** سمع أبو العبد كلام الاثنين .. وابتسم نصف ابتسامة معلقاً .. **«طبعاً .. كنافة نابلس لا تطيب ولا تحلو لكل من يأكل ..»** .

وصلت امرأة عجوز ذات وشم على جبينها ، ونادت **«أبو العبد .. هات لي من شغل إيدك كيلو كنافة .. عمك أبو صلاح راجع تعبان .... ويستاهل الحلو بعد ما حرث الكرم .. والزيتونات ..»** .

**«حاضر .. على عيني أم صلاح ..»** .

وشرع بمهارة فائقة يحمل صفائح الكنافة على المكشط ، ويلقيها بخفة ورشاقة في العلبة ، ويلقي نظرة مع ابتسامة زهو في وجه الجنديين الغريبين بعد كل قطعة .

اقتربت **الحاجة أمينة** لتتناول علبة الكنافة .. وقد استدار الجنديان يبتعدان .. وهمست في أذن أبو العبد **«شفت ايش صار مع عسكر الدورية .. على الشارع التحتاني ؟ ..»** ، وراحت تصف له كيف كان الغرباء المدججون بالسلاح يلتصقون بالجدار يحتمون به .. ثم يستلقون على الأرض يزحفون على بطونهم للكشف على دولاب السيارة الذي استقر أمام جدار عتيق .

لكن أطرف ما حدث كان الهلع الذي اجتاحهما عندما اندفع الإطار نحوهما بعنف ، بعد أن ارتطم بجدار بيت عتيق لجواد المصري .. وأخذا يزحفان هرباً من القدر المتدحرج المنقض عليهما .. وبدا أن كل همهما كان الهرب إلى أبعد مدى .

ومن وراء الجدار .. أخذ أحدهما يرمي الإطار بالنار .. بينما انقض عليه الآخر ينهره ويمنعه .. شارحاً له بهلع وبلغته الغريبة .. ومحاولا إبقاءه على الأرض .

ابتسم أبو العبد ونظر في عينيها قائلاً .. **«كل الكنافة الحلوة إلك يا حجة أمينة .. ولعيون الشباب .. والزيتونات .. والكرم ..»** .

وفي لحظة انصرافها كان **«صبري كنعان»** يقترب من دكان أبو العبد متهلل الوجه .. لمحه أبو العبد فبدأت أساريره أيضاً تنفرج .. وما إن وصل باب الدكان حتى بادره أبو العبد .. «ها يا صبري» .. وردّ صبري على الفور وبصوت هامس قال وقد ابتعد الجنديان **«.. تم كل شيء على ما يرام فقد هرع أهل الحارة ، وأبعدوا الأدوات عن مكان الحريق .. وخاصة .... و ...... ونجحت لعبة الأولاد على الدرج .... وإلا ...... و .... و .... لقد جاءت في الوقت المناسب ..»** .

رفع أبو العبد يده ليعدل من وضع طربوشه قليلاً ونادى **«...... مال نابلس ..... ما تحلي للغريب يا كنافة ....»** .



★ الكنفاني هو صانع الكنافة وهي حلوى عربية اشتهر بصنعها أهل مدينة نابلس الفلسطينية .



# القوافي لنشوان بن سعيد الحِميَري


★ د. حسين نصار ★

**قرأت مقالا للأستاذ الدكتور حسين نصار بعنوان «الدراسات العربية عن القافية»[1] قال في نتيجته: «إن المؤلفات العربية التي أفردت للقافية كثيرة، لا أدعي أنني استطعت حصرها حصراً شاملاً، لم يغادر منها شيئاً، وإن كثيراً من هذه المؤلفات مفقود، وإن ما طبع منها قليل»[2]، وكان ضمن المخطوطات الموجودة التي أشار إليها المقال كتاب «القوافي» لأبي سعيد نشوان بن سعيد الحميري المتوفي ٥٧٣ هـ. وقد رأيت الرجوع إلى هذا المصدر لأكتب عنه، فرجعت إلى «بروكلمان»[3]، فأشار إلى وجود نسخة وحيدة من هذا المخطوط في مكتبة «ليدن»، فاتصلت بالمكتبة، واقتنيت المخطوط «بالميكروفيلم» وقمت بتكبيره.**

عرض وتحليل:
د. محمد أبو الفتوح شريف

**وقد عشت فترة مع كتاب «القوافي» وصاحبه أبي سعيد، ورأيت أن أقدم لحياة الرجل، ثم أتناول كتاب «القوافي» بالعرض والتحليل في غير إطالة.**

## أولا: المؤلف[4]:

**(أ) اسمه ونسبه:** هو أبو سعيد نشوان ابن سعيد بن نشوان اليمني الحميري، فكنيته أبو سعيد[5]، ولقبه اليمني الحميري، نسبة إلى «حِمْير» **من اليمن جنوبي جزيرة العرب**.. كان من أمراء اليمن، من أهل بلدة «**حوث**» **من بلاد حاشد شمالي صنعاء**، وهو من نسل **حسان ذي مراثد من ملوك حمير**. وقيل إنه استولى على عدة قلاع وحصون في جبل «**صبر**» المطل على قلعة «**تعز**» حتى صار ملكاً عليها. ونجد «نشوان» يوصل نسبه في كتابه «خلاصة السيرة الجامعة»[6] بأنه: نشوان بن سعيد بن سعد ابن سلامة بن حمير بن عبيد بن أبي القاسم ابن عبد الرحمن بن مفضل بن إبراهيم بن سلامة بن حمير بن حكمي بن أفرع بن قيس بن قايد بن عبد الرحمن بن الحرث بن زيد بن شرحبيل بن ورعة بن شرحبيل بن مراثد بن ذي سحرة.

**(ب) ثقافته وأساتذته وتلاميذه:** نقل صاحب البغية عن **الخزرجي** قوله: كان أوحد أهل عصره، وأعلم أهل دهره، فقيهاً نبيلاً، عالماً متفنناً، عارفاً بالنحو واللغة، والأصول والفروع والأنساب، والتواريخ، وسائر فنون الأدب، كما كان شاعراً فصيحاً، بليغاً مفوهاً. وصفه أكثر مؤرخيه بالفقيه العلامة النحوي اللغوي الأصولي، ويبدو أنه كان معتزلي المذهب، وقال بعضهم عنه: كان زيدياً. وقيل إنه كان يفضل قومه اليمنيين على الحجازيين، ويفاخر عدنان بقحطان، وله في ذلك نقائض مع الأشراف القاسمية أولاد الإمام القاسم بن علي العياني. يقول **القفطي**: ولنشوان شعر كشعر العلماء، لا يخلو







★ كارل بروكلمان ★

من تكلف ، ومن شعره ما كتبه تحت عنوان كتابه « الحور العين » :

**أموت ويبقى كل شيء كتبته**
**فبالله من يقرأ الكتاب دعا ليا**
**لعل إلهي يقرن العفو بالرضا**
**ويغفر زلاتي وسوء فعاليا**

ومن المؤسف أن كتب الطبقات لم تتعرض لأسماء أساتذته ، أو تلاميذه ، فشأنه في هذا شأن كثير من أعلام العربية الذين ظلمهم حظهم التاريخي العاثر ، فلم يؤرّخ لهم التاريخ الشافي الكافي ، لذلك لا أستطيع التعرف إلى من تتلمذ « نشوان » على أيديهم إلا من خلال دراسة نص كتابه الذي بين أيدينا « **القوافي** » وكتابه الآخر « **الحور العين** » . وإن كان تتلمذه فيها ـ من خلال استقرائي لهؤلاء الأعلام ـ هو تتلمذ قراءة ودراسة ، وليس تتلمذ حضور وتلقٍّ ، أي أن السند بينه وبينهم منقطع ـ كما يقولون ـ لأنهم جميعاً سبقوه بفترة لا يحتمل معها حضوره عليهم ؛ للفارق الزمني البعيد بينه وبين أقربهم وفاة مثل **أبي العلاء المعري** الذي توفي قبله بأربعة وعشرين ومائة عام ، وهو الشخص الوحيد الذي كان يلقبه بالشيخ مما يؤكد اعتزازه بتتلمذه على كتبه وتصانيفه . أما تلاميذ « نشوان » فلا أستطيع أن أتكهن بأحدهم إلا ابنه « محمد » وهو مختصر كتاب أبيه المسمى « شمس العلوم » في كتابه « ضياء العلوم » وابنه جعفر الذي قال عنه **بروكلمان** ( ٥ / ٢٩٩ ) : إنه وجه إليه وصيته الموسومة « وصيته لولده جعفر » .

**( جـ ) وفاته :** تكاد كتب التراجم تتفق على أن هذا العالم قد توفي في بلدة « حوث » باليمن عصر يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وإن اختلف بروكلمان في تحديد تاريخ اليوم فقط ، ووافقه محقق الحور العين ؛ فقالا : « إنه توفي في الرابع والعشرين من ذي الحجة » . رحم الله « نشوان » ونفع بعلمه .

**( د ) كتبه وآثاره العلمية :**

كتب التراجم أكثر من أثر ، منها الباقي الموجود ، ومنها المفقود . وهي ثلاثة عشر مصنفاً أهمها :

**( ١ ) شمس العلوم في اللغة :** وهذا الكتاب أكثر من اسم فهو : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، وهو : شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم في اللغة ، وهو : شمس العلوم ودواء ( شفاء ) كلام العرب من الكلوم وصحيح التأليف والأمان من التحريف في اللغة . والكتاب مرتب على حروف المعجم ، يقع في ثمانية أجزاء ، ذكر عنه السيوطي في البغية ، نقلاً عن البلغة : سلك فيه مسلكاً غريباً ؛ يذكر الكلمة من اللغة ، فإن كان لها نفع من جهة الطب ذكره ، فهو معجم لغوي يتضمن شروحاً علمية وطبيعية ، واختصره ولده « محمد بن نشوان » في جزءين ، وسماه : « ضياء الحلوم » . والكتاب لم يطبع منه إلا جزءان بمطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة بإشراف **القاضي عبد الله الجرافي اليمني** ، كما نشر « **تسترستين** » جزءين كذلك في « ليدن » سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ م[٧] . وقال **الزركلي** : وطبعت منتخبات منه تتعلق بأخبار اليمن . ويعتبر هذا الكتاب أجلّ تصانيفه ـ على حد تعبير ياقوت ـ وأورد « بروكلمان » للكتاب كثيراً من النسخ في مختلف مكتبات العالم ، منها أكثر من خمس نسخ بمكتبات عربية بالقاهرة وطنطا والحميدية والمدينة المنورة والرباط . وللكتاب مختصرات ثلاثة أحدها لابنه « علي »[٨] وهو « ضياء العلوم » . وأتصور أن هذا المختصر لا وجود له ؛ فهو نفسه « ضياء الحلوم » الذي أجمع عليه المترجمون له ، وهو الذي اختصره ولده « محمد » ـ فيما أرجح ـ عن كتاب أبيه « شمس العلوم » . والمختصر الثالث لمجهول بعنوان « لوامع العلوم المستضيئة » .

**( ٢ ) كتاب شرح رسالة الحور العين وتنبيه السامعين[٩] :** والكتاب ـ كما عرّف به بروكلمان ـ : نثر مسجوع ، يشير فيه إلى بطلان سعي الشعوب المختلفة ، والطوائف والفلاسفة إلى إدراك الله إدراكاً صحيحاً . وهو ـ كما تبيّن من قراءتي له ـ رسالة على هيئة مقامة ، ثم شرح للرسالة ، وهي تعالج كثيراً من الفنون ، ففي الشرح فسّر غريب الرسالة ، وشرح معانيها ، جائلاً كل مجال للكلام من لغة ونحو وصرف ، وعروض وقافية ، وأنباء عن الجاهلية ، وتأريخ للأديان والمذاهب والنحل ، وفقه ، وحديث ، وأمثال ؛ على طريقة مبتكرة . والكتاب ـ على اعتزال صاحبه ـ جم الفوائد ، غزير العلم ، ممتع للغاية ، يغذي كل طائفة بفوائد ممتعة . والكتاب مطبوع نشره « كمال مصطفى » بالقاهرة سنة ١٩٤٨ م[١٠] .

وهناك الكتاب الذي يعنينا عرضه في هذا البحث ، وقد اتفق على نسبته إليه علماء التراجم جميعاً وهو : « **كتاب القوافي** » ، وهو مخطوط في « ليدن » تحت رقم ٢٦٩ . وسأتناول بحثه تحت النقاط التالية :

## ثانياً : كتاب « القوافي »

**( أ ) صفة النسخة :** هي نسخة وحيدة لم تدلنا فهارس المخطوطات على غيرها ، مكتوب في أعلى لوحتها الأولى عنوان مختصر هو : « كتاب العلامة نشوان بن سعيد الحميري في القوافي » وهي نسخة خطية محفوظة بخزائن المخطوطات في **مكتبة « ليدن » بهولندا** ، تحت رقم ٢٦٩ ، ولا أستطيع القطع بتحديد مسطرتها نظراً لأنني استجلبتها مصورة « بالميكروفيلم » ، ثم قمت بتكبيرها . وقد احتوت كل صفحة على ثلاثة وعشرين سطراً ، وإن قلّت بعض الصحائف أحياناً عن ذلك سطراً أو سطرين ، باستثناء اللوحة الأولى التي حوت ثمانية عشر سطراً . ومتوسط كلمات كل سطر حوالي إحدى عشرة كلمة . وتقع صحائفها في خمس عشرة لوحة . وتوجد بعض الحواشي والتعليقات القليلة على تسع لوحات منها . وتاريخ نسخها : شهر رمضان من سنة أربع وثمانين وألف للهجرة النبوية الشريفة ، واسم الناسخ غير




★ الزركلي ★ ★ امرؤ القيس ★

مكتوب . والمخطوطة مكتوبة بخط نسخي معتاد ، لا ينقصه الوضوح إلى حد كبير ، وكلماتها لا ينقصها الإعجام ، ولكنها غير مضبوطة .

وجاء في أول النسخة : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ـ ينبغي للناظر في علم القوافي أن يعرف المفيد منها والمطلق ، ثم المردف والمؤسس ، والوصل والخروج ، وأن يعرف الحروف والحركات والعلل التي تتعلق بذلك[11] . . . » وجاء في آخرها : « . . . ومثله قول أبي العلاء :

**أما وفؤادي للغرام قريح**
**وقلب بأنواع الهموم سريح**
**لقد غرت الدنيا بنيها بنعمها**
**وما منحوا من ودها بصريح**
**أليلى وكلٌ أصبح ابن ملوّح**
**ولبنى وما فينا سوى ابن ذريح**

تم نسخ الكتاب بمنّه وفضله في رمضان سنة أربع وثمانين وألف هجرية[12] » .

**( ب ) توثيق الكتاب :** لم أجد ما أعتمد عليه في نسبة الكتاب إلى أبي سعيد نشوان الحميري إلا ما قاله أصحاب كتب التراجم ، وما نقله عنهم الدكتور حسين نصار[13] ، وما ذكره صاحب التصنيف نفسه في كتابه « الحور العين »[14] الذي يعتبر بلا شك أحدث من شقيقه « القوافي » في التأليف . ولأن تلاميذ الرجل غير معروفين ، لم أتمكن من العثور على نصوص من الكتاب نقلها غيره عنه ، وأعتقد أن توثيق « الحور العين » لشقيقه « القوافي » يكفي في هذا المجال ، بالإضافة إلى ما قرره الثقات من علماء الطبقات . ويبقى الخلاف حول الاسم حيث قال المترجمون إن اسم الكتاب « القوافي » ، وهكذا وجدت عنوان الكتاب مدوناً في أعلى لوحته الأولى ـ كما أسلفت ـ إلا أن « نشوان » نفسه في كتابه اللاحق « الحور العين »[15] دعاه باسم « كتاب بيان مشكل الروي وصراطه السوي » ، وأظن أن هذا الاسم قد ذكره صاحبه لأن ( بيان مشكل الروي ) كان أهم النقاط التي عالجها في كتابه ، أو يكون ـ وهذا كلام مرجوح ـ قد صنف كتاباً آخر بهذا الاسم ، ثم طوره إلى كتاب « القوافي » ولكنه لم يصل إلينا . المهم أن الكتاب الذي بين أيدينا هو « القوافي » كما ذكره المترجمون له ولصاحبه ، وكما ينبئ الكتاب المخطوط عن نفسه ، ويتفق في معظم نصوصه مع القسم الذي عالج فيه « نشوان » القافية في كتابه الآخر « الحور العين »[16] .

**( جـ ) موضوعات هذا الكتاب :** قسم أبو سعيد نشوان كتابه « القوافي » ، وهو كتيب صغير ـ شأن كثير مما صُنف في هذا الفن ـ قسمه إلى موضوعات عامة ، تفرعت عنها نقاط جزئية . فبدأ بعد تمهيد مبسط وموجز في تناول موضوع ( حروف القافية ) ، وتفرعت عن هذا الموضوع ست نقاط ، فتحدث عن كل من : الروي ، والردف ، والتأسيس ، والدخيل ، والوصل ، والخروج . ثم انتقل إلى موضوع ( حركات القافية ) وتفرعت عنه ست نقاط كذلك ، فتحدث عن كل من : الرسّ ، والحذو ، والتوجيه ، والإشباع ، والمجرى ، والنفاذ . وبعد ذلك انتقل إلى موضوع ( القافية المطلقة والمقيدة ) ونتج عنه ثلاثة أضرب في القافية المقيدة ، وستة في المطلقة ، فتحدث عن كل من : المقيّد المجرد ، والمقيّد المردف ، والمقيّد المؤسس . والمطلق المجرد ، والمطلق الذي يلزمه الخروج ، والمطلق المردف ، والمطلق الذي يلزمه الردف والخروج ، والمطلق المؤسس ، والمطلق الذي يلزمه التأسيس والخروج . ثم تناول موضوع ( أحكام حروف الوصل والروي ) ؛ ويكاد هذا الموضوع يستأثر بأكثر من ربع الكتاب تقريباً[17] ، وقد فصل فيه الحديث عن أحرف الهاء ، والواو ، والياء ، والألف . ثم وصل المصنف إلى آخر موضوعات كتابه ، واختار له عنواناً خاصاً ـ على غير عادته في هذا الكتاب ـ حيث أسماه : « باب اختلاف الحروف والحركات وما يُعاب من ذلك وما لا يُعاب » ، وتحدث فيه عن ست نقاط وهي : اختلاف التوجيه ، ذكر الحذو والردف ومتى يحدث السناد ، ذكر الرس والتأسيس ومتى يحدث السناد ، ذكر الدخيل والإشباع ومتى يحدث السناد ، ذكر الروي والمجرى ومتى يحدث الإقواء ، ذكر الوصل والنفاذ والخروج ومتى يحدث الإقواء . وختم النص بالحديث عن بعض عيوب الشعر في القافية ، فتناول عيبين ؛ هما الإيطاء والتضمين . وانتهى الكتاب بذكر شاهد لأبي العلاء المعري من ثلاثة أبيات استشهد بها على أحسن ما جاء من الشعر « مضمناً » .

**( د ) شواهده :** يعالج الكتاب موضوع القوافي ، لذا لا نتوقع أن نجد فيه غير شواهد الشعر فقط ، وقد تنوعت بين الأبيات وأنصاف الأبيات في مواضع متفرقة منه ، وقد بلغت سبعة عشر ومائة بيت ، فضلاً عن تسعة من أنصاف الأبيات .

فكان يستشهد أحياناً ببيت واحد كقول الشاعر :

إنّ تقوى ربنا خيرُ نفلْ
وبإذن الله ريثي وعجلْ[18]

ويستشهد أحياناً بنصف بيت كقول الشاعر :

فانقضّ مثل النجم في سمائه[19]

وأحياناً يستشهد بأكثر من بيت كقوله :

وماء لا أنيس به
مطحلبة جوانبه
وردت وليله داج
وقد غارت كواكبه[20]

وجاء شاهده أحياناً في ثمانية أبيات ؛ إن تطلبت القاعدة التي يعالج القافية من خلالها ذلك ، ومثاله ما أنشده أبو العلاء من أبيات لمروان ابن الحكم محمولة على الإكفاء :

**وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا**
**نموت كما ماتوا ونحيا كما حيوا**
**وينقص منا كل يوم وليلة**
**ولا بد أن نلق من الأمر ما لقوا**





★ أبو نواس ★





★ أبو تمام ★

**نـؤمل أن نبـق وكيف بقـاؤنا**
**فهلاّ الألى كانوا مضوا قبلنا بقوا**

**...إلى آخر أبيات النموذج الثمانية**(٢١).

وبما لاحظته على هذه الشواهد أنها تقع في عصر الاحتجاج، باستثناء قليل من شواهده التي أخذها عن **أبي نواس وأبي فراس وأبي العلاء**، وأغلب شعراء شواهده من العرب الخلّص، ولم يستشهد بشعر أحد من المولدين إلا أبي نواس في موضع واحد.

وقد جاءت بعض أبياته منسوبة، وبعضها الآخر غير منسوب، والشعراء الذين استشهد بشعرهم تسعة وعشرون شاعراً، معظمهم من الفحول؛ وهم: **لبيد، وحسان، وامرؤ القيس، والأعشى، وطرفة بن العبد، والقطامي، وزهير، والكميت، وجرير، وأبو عبادة، وأبو نواس، ومروان بن الحكم، والحطيئة، والكسعيّ، وعدي، وعبيد بن الأبرص، وعنترة، وعمرو بن معديكرب، وبشر بن أبي خازم، والعجاج، ورؤبة، والنابغة، وأمية بن أبي الصلت، وصخر الغيّ الهذلي، وورقاء بن زهير، وعمران الخارجي، وأبو تمام، وأبو فراس، وأبو العلاء**. فضلاً عن بعض الرجاز.

**(هـ) مراجع الكتاب ومصادره:** وجدير بي – وأنا أعرض هذا الكتاب الهام من تراثنا الخالد – أن أجيب عن التساؤل الذي قد يثور في الأذهان: **عمن أخذ وبمن استفاد؟ وما مراجعه ومصادره التي رجع إليها؟** وللإجابة أقول: إنه أخذ في مجال دراسات علم القافية من مواطن كثيرة من كتابه عن أبي العلاء المعري (ت: ٤٤٩ هـ) في اثني عشر موضعاً، وعن **الفراء** (ت: ٢٠٧ هـ) في أربعة مواضع، وعن كل من **الأخفش سعيد بن مسعدة** (ت: ٢١٥ هـ)، **والخليل بن أحمد** (ت: ١٧٥ هـ)، **والمبرد** (ت: ٢٨٥ هـ) في موضعين، وعن كل من **أبي الحسن العروضي، ويونس النحوي** (ت: ١٨٣ هـ) في موضع واحد. هذا وللمؤلف أبي سعيد نشوان الحميري شخصيته الواضحة في كتابه حتى فيما اقتبس عن غيره من آراء ونُقُول. وأما المصادر(٢٢) التي أفاد منها فهي: مقدمة أبي العلاء على «لزوم ما لا يلزم»(٢٣)، وكتاب الفصول والغايات لأبي العلاء المعري، وبعض رسائل أبي العلاء نفسه(٢٤) الأخرى، وكتاب القوافي للفراء، وكتاب العروض للأخفش(٢٥)، وكتاب العروض أو «الفرش والمثال» للخليل بن أحمد، وكتاب القوافي للمبرد(٢٦)، والكافي للخطيب التبريزي(٢٧).

ولا أظن أن «نشوان الحميري» يكون قد أفاد من كتاب الجرمي» في القوافي لأنه – وإن نقل عنه أحد آرائه – قد أخذ رأيه محكياً عن أبي العلاء(٢٨).

**(و) نصوص ونماذج مقتبسة:** وأختار هنا نصين من أماكن مختلفة بالكتاب لنحصل على فكرة شاملة عن منهجه واتجاهه في التأليف.

قال نشوان: «... والحروف ستة وهي الرويّ، والرِّدف، والتأسيس، والدخيل، والوصل، والخروج. فالروي الحرف الذي تبنى عليه القصيدة من ابتدائها إلى انتهائها، وتجب إعادته وتكريره في كل بيت منها، ولا يمتنع فيه أن يكون أيّ حروف المعجم كان. قال الشيخ أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري رحمه الله: إلا حروفاً تضعف ولا تثبت، كألف الترنم وواوه ويائه، وهاء الوقف، وهاءات التأنيث؛ إذا كان ما قبلها متحركاً، والألف التي تلحق علماً للتثنية في: ضربا وذهبا، والواو التي تدل على الجمع؛ إذا كان ما قبلها مضموناً في مثل: ضربوا وذهبوا، وفي غير ذلك من الحروف...»(٢٩).

وقال في موضع ثان: «... وأما المطلق فينقسم على ستة أضرب: مطلق مجرد، ومطلق يلزمه الخروج، ومطلق مردف، ومطلق يلزمه الردف والخروج، ومطلق مؤسس، ومطلق يلزمه التأسيس والخروج. فالمطلق المجرد يلزمه حرفان، وهما الروي والدخيل، وحركة واحدة، وهي المجرى؛ وهو مثل قول **امرئ القيس**:

وتعطو برخص غير شثن كأنه
أساريع ظبي أو مساويك إسحل

ومثله قول **الأعشى**:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وبتّ كما بات السليم مسهّدا

«فاللام والدال.. في هذه الأبيات؛ كلُّ حرف منهن رويّ للبيت الذي هو فيه، والياء التي بعد اللام، والألف التي بعد الدال.. كل حرف منهن وصل للرويّ الذي قبله. والمطلق المردف تلزمه حركتان...»(٣٠).

**(ز) كتاب «القوافي» في الميزان:** يمتاز هذا الكتاب بقلة عدد صحائفه، وتركيزه في عرض الموضوعات المتعلقة بعلم القافية. إلا أنني آخذ عليه أنه دخل في الموضوع مباشرة، دون مقدمة توصل القارئ إلى الموضوع الأصلي، ولعل له عذراً في ذلك أن كثيراً من تصانيف العصور الأولى لتدوين اللغة افتقدت هذا المنهج إلا قليلاً منها؛ فها نحن نراه – بعد بسم الله، والصلاة على رسول الله – يقول: «**ينبغي للناظر في علم القوافي أن يعرف المقيد منها والمطلق، ثم المردف منها والمؤسس، والوصل والخروج، وأن يعرف الحروف والحركات، والعلل التي تتعلق بذلك، وما يختص به المطلق دون المقيد، وما يشتركان فيه، فإن الذي يختص من الحروف بالوصل والخروج، ومن الحركات بالمجرى والنفاذ، ويشتركان في سائر الحروف والحركات...**».

ويعتبر هذا الكلام الذي سقته من أول سطور اللوحة الأولى بمثابة التمهيد والمدخل إلى الكتاب، حيث بدأ بعده في علاج حروف القافية، وحركاتها.. إلى آخر موضوعاته. وآخذ عليه أيضاً أنه لم يكتب خاتمة لكتابه، ولعل العذر الذي التمسته له في المقدمة يجزئ عنه في الخاتمة.

ويمتاز هذا الكتاب في عرض قضاياه بالتسلسل المنطقي؛ فهو حين يتحدث عن الحروف الستة مثلاً، يذكرها إجمالا، ثم يعرضها بالتفصيل حرفاً حرفاً، مع الاستدلال بالشواهد المناسبة، وإن كنت آخذ عليه أنه عرض موضوعين كاملين في أول الكتاب دون ذكر أي شاهد وهما: حروف القافية، وحركاتها. وكأني به يعرض قضايا مسلّمة عرفها القارئ المثقف الواعي من كتب السابقين، و «نشوان» يتابع مع قارئه ما بدأه السابقون، ويستدرك ما نقص من وجهة نظره. ولعل الدليل على ذلك أنه لم يقدم للقارئ تعريفه علم القافية، ولم يشر إلى جهود سابقيه بل بدأ فوراً يعالج بعض قضايا القافية التي رأى أنها بحاجة إلى علاجه وبحثه، ودليل آخر ــ ولعل هذا من مآخذي عليه كذلك ــ أنه أغفل الحديث عن أسماء القافية من حيث حركاتها، أو ألقابها، فلم يحدثنا مثلاً عن: **القافية المتكاوسة**[31]، أو **المتراكبة**[32]، أو **المتداركة**[33]، أو **المتواترة**[34]، أو **المترادفة**[35].

وفي علاجه لعيوب القافية عالج بعضها، وترك بعضها الآخر؛ فقد عالج السناد بتفصيل، كما عالج كلاً من الإيطاء والتضمين. وأشار إلى الإكفاء بالتعريف فقط[36]، وأغفل من العيوب: **الإصراف**[37]، **والإجازة**[38]، (أو الإجارة)، **والتحريد**[39].

وهنا أستطيع القول إن منهج هذا الكتاب ــ بين ما سبقه من كتب القوافي ــ يعتبر نسيج وحده. فهو وإن كان فيما ذكر؛ لا يختلف كثيراً عن سابقيه، وبخاصة أبو العلاء المعري الذي اقتبس منه، ونقل عنه كثيراً، إلا أنه عالج بعض القضايا، وأدلى فيها بدلوه، وترك ما اعتقد أن تصانيف غيره قد أغنت القارئ عنه، أو ترك ما تصوّره تزيُّداً، واعتبره من فضول الكلام؛ كتعريف علم القافية، وألقابها، وبعض عيوبها. رحم الله «أبا سعيد نشوان الحميري»، ونفع الله بعلمه، وعلم سابقيه ولاحقيه، وله سبحانه الحمد في الأولى والآخرة.

## الهوامش

(١) مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي بمكة المكرمة، العدد الأول ١٣٩٨هـ، ص ١٠٣ ــ ١١٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٢.

(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج ٥ «بترجمة الدكتور رمضان عبد التواب»، ط. دار المعارف ١٩٧٧م، ص ٢٩٩.

(٤) رجعت في ترجمتي له إلى المصادر الآتية: الأعلام للزركلي، ط. ببيروت (الثالثة) ٨/٣٣٥. إرشاد الأريب لياقوت، ط. دار المأمون ١٣٢٣هـ، ٧/٢٠٦. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣/٨٦. بغية الوعاة للسيوطي بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. البابي الحلبي بالقاهرة ٢/٣١٢. تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ط. دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٧م، ٥/٢٩٧. كشف الظنون لحاجي خليفة، طهران ١٣٧٨هـ، ص ١٠٦١. معجم البلدان، ط. دار صادر بيروت ٥/٣٣٦. الحور العين لنشوان الحميري بتحقيق كمال مصطفى، ط. الخانجي بالقاهرة، ١٩٤٨م، ص ١٦ ــ ٢٥.

(٥) قال الزركلي في الأعلام: أو أبو الحسن.

(٦) هامش الأعلام ٨/٢٣٥؛ ولم أجد من نسب كتاب «الخلاصة» إلى «نشوان» غير الزركلي، ويبدو أنها أحد شروح قصيدته النشوانية وصاحب هذا الشرح إما «نشوان» نفسه، أو مجهول، كما ذكر بروكلمان ٥/٢٩٩ تحت اسم مصنفه «القصيدة النشوانية».

(٧) هامش الدكتور رمضان عبد التواب على الخامس من تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (بترجمته) ص ٢٩٨.

(٨) الأغلب أنه «محمد» وليس «علياً»، أو يكون «عليّ» صاحب «ضياء الحلوم»، و «محمد» صاحب «ضياء العلوم».

(٩) الحور العين لنشوان بتحقيق كمال مصطفى ط. الخانجي القاهرة ١٩٤٨م، وجاء بمقدمة الشيخ زاهد الكوثري أن اسم الكتاب: «رسالة الحور العين عن كتب العلم الشرائف دون النساء العفائف» وهي من المقامات.

(١٠) هامش الدكتور رمضان عبد التواب على «بروكلمان» السابق ٥/٢٩٩.

(١١) القوافي لنشوان، لوحة/١.

(١٢) السابق لوحة/١٤، ١٥.

(١٣) مجلة البحث العلمي (السابق) عدد ١٣٩٨هـ، ص ١١١.

(١٤) الحور العين لنشوان، ص ٨٧.

(١٥) المصدر السابق، ص ٨٧.

(١٦) نفس المصدر، ص ٨٧ ــ ١٠٣.

(١٧) هذا ما دفعني إلى القول إنه يحتمل أن يكون «نشوان» قصده؛ وهو يتحدث في كتابه «الحور العين» عن عنوان «بيان مشكل الروي» فهو كما نرى عنوان لأكبر فصوله، وليس عنواناً للكتاب نفسه، فيما أرجح.

(١٨) القوافي لنشوان، لوحة/٣.

(١٩) نفس المصدر، لوحة/٥.

(٢٠) المصدر السابق، لوحة/٦.

(٢١) نفس المصدر، لوحة/٧، ٨.

(٢٢) من تلك المصادر ما لم يصل إلى أيدينا حتى الآن، ولكن المقطوع به أن «نشوان الحميري» قد أفاد منه مثل كتب كل من: الخليل والفراء والجرمي في القوافي.

(٢٣) شرح لزم ما لا يلزم، د. طه حسين وإبراهيم الإبياري، ط. دار المعارف بمصر، ومقدمة اللزوميات ط. الخانجي بمصر ١٣٤٢هـ.

(٢٤) رسائل أبي العلاء المعري، بتحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة، منشورات اللجنة الأردنية/ عمان ١٩٧٨م.

(٢٥) العروض للأخفش، بتحقيق د. عزت حسن، ط. وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٠م.

(٢٦) القوافي للمبرد، بتحقيق د. رمضان عبد التواب، ط. جامعة عين شمس ١٩٧٢م.

(٢٧) الكافي للخطيب التبريزي، بتحقيق الحساني حسن عبد الله، ط. الخانجي بمصر ١٩٧٨م، وإن لم يشر «نشوان» إليه إلا أن التبريزي (ت: ٥٠٢هـ) سابق عليه، ومن أبرز من كتبوا في هذا الفن، ولا أستبعد استفادته به. وكتاب «الكافي» هو نفسه الذي حققه د. فخر الدين قباوة في بيروت ١٩٦٩م، باسم «الوافي»؛ لأن هناك خلافاً بين المحققين على اسم كتاب «التبريزي»، وكل منهما نقل عن نسخة تحمل العنوان الذي ارتضاه.

(٢٨) القوافي لنشوان، لوحة/٢.

(٢٩) القوافي لنشوان، لوحة/١.

(٣٠) المصدر السابق، لوحة/٤.

(٣١) وهي القافية التي توالت فيها أربع حركات بين ساكنيها.

(٣٢) وهي القافية التي توالت فيها ثلاث حركات بين ساكنيها.

(٣٣) وهي القافية التي توالت فيها حركتان بين ساكنيها.

(٣٤) وهي القافية التي بها حركة واحدة بين ساكنيها.

(٣٥) وهي القافية التي التقى ساكناها.

(٣٦) «القوافي» لنشوان، لوحة/٩.

(٣٧) وهو اختلاف المجرى بالفتح والضم، أو بالفتح والكسر.

(٣٨) وهي اختلاف الروي بحروف متباعدة المخارج.

(٣٩) وهو ما نقل الدكتور حسين نصار تعريفه عن الأخفش، بأنه من خلل القافية: وهم يريدون به غير المستقيم مثل الحرد (العوج) في الرجلين، وذكر بيتاً للنابغة الذبياني؛ تناول فيه النابغة ثلاثة من عيوب القافية، وهو قوله:

وَغَث الرواية بادي العيب منتكب
فيه سنادٌ وإقواءٌ وتحريدُ

(راجع مجلة البحث العلمي ــ السابقة ــ عدد ١٣٩٨هـ، ص ١٠٥).



مكتبة تهامة
الجديدة
طريقك
لمزيد من المعرفة
أخي القارئ: .. مكتبة تهامة الجديدة تتيح لك فرصة الحصول على مختلف الكتب والمراجع العربية والأجنبية التي تناسب كافة المستويات، وتحقق جميع الرغبات. منها الكتب العلمية، والثقافية، والتاريخية، ومجموعة القواميس، وتعليم اللغات، بالإضافة الى كتب للأطفال. الى جانب الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية ..
.. بقي أن تعرف أن مساحة المكتبة ٧٥٠ متر مربع ..
نحن هنا
مكتبة تهامة
قم بزيارتنا
مكتبة تهامة
الغرفة التجارية
شارع الضباب
الوزارات
شارع المطار
عنوان المكتبة
الرياض ـ خلف شارع الضباب ـ مجمع الشركة العقارية السعودية ـ ت ٤٠١٢٩٦٩




# جيولوجية



## أوروجينيز Orogenesis :

مشتقة من الكلمة اليونانية Oros التي تعني الجبل ، وتدل حادثة الأوروجينيز عادة على مجموع الظواهر العنيفة المسؤولة عن إشادة السلاسل الجبلية ، وهي تضم أيضاً الظواهر المسؤولة عن البنيات التكتونية ، ويدعى تسلسل الظواهر التي بموجبها تتهيأ وتتطور وتنتهي ثم تختفي سلسلة جبلية **بالدورة الأوروجينية** .



## بتروفيزياء Petrophysics :

علم حديث نسبياً نشأ مع تطور العلوم الجيوفيزيائية ، **وهذا العلم يهتم بدراسة الخواص الفيزيائية للصخور وعلاقتها مع تركيب الصخر** ، وخواص الأطوار المشكلة له وتناسبات هذه الأطوار في واحدة الحجوم .



## تجوية Wethering :

هي مجموعة التغيرات الواقعة على فلزات الصخور المتواجدة على سطح الأرض وذلك بتأثير عوامل فيزيائية وكيميائية وعضوية التي تؤدي إلى تفكك الصخور . . ويزداد التأثير مع كون الصخور معراة وبدون غطاء نباتي ، وتشمل **التجوية الكيميائية** : الأكسدة والإماهة والانحلال والتفكك ، أما **التجوية الفيزيائية** فتتعلق بتأثيرات درجة الحرارة وتغيراتها وعوامل التجلد وذوبان الثلج .



## ثوابت لاميه Lame Constants :

وتدعى أيضاً ثوابت المرونة وهي عوامل رياضية لها أهمية كبيرة في حل مسائل ومشكلات **نظرية المرونة** وتربط بين مختلف معادلات المرونة والتشوه مما يساعد في حل كثير من معطيات التنقيب السيسمي .



## جيرزات Geysers :

هي ينابيع حارة فوارة ومتقطعة يندفع منها الماء إلى ارتفاعات عالية قد تصل إلى ١٥٠٠ قدم ، يوجد أشهر هذه الينابيع **في الولايات المتحدة الأميركية وإسلندا ونيوزيلاندا** .

ويرجع اندفاع المياه الحارة فوق سطح الأرض بشكل نافورات إلى الضغط الكبير للغازات الباطنية وبخار الماء على سطح المياه في الأحواض المائية الجوفية . والذي يسبب هذه الضغوط غالباً هو مرور محاليل مغماتية حارة بالقرب من الخزان الجوفي مما يؤدي إلى تبخر جزء من مياهه وبالتالي يضغط هذا البخار على مياه الخزان ويدفعها ساخنة إلى سطح الأرض على شكل ينبوع حار .



## حقب Era :

هو قطاع زمني يستند إلى أدلة مستحاثية وطبقية مميزة : كالتغيرات الكبرى في العالم الحي ، والتغيرات المرتبطة مع الحركات المولدة للجبال ، **ويقسم الزمن الجيولوجي إلى أربعة أحقاب** :

حقب فجر الحياة أو ما يدعى **حقب ( البريكمبري )** الذي انتهى قبل حوالي ٦٠٠ مليون عام ، وحقب الحياة القديمة **( الباليوزوي )** الذي استمر ما يقارب ٣٥٠ مليون عام ، وحقب الحياة المتوسطة **( الميسوزوي )** الذي استمر مدة ١٧٠ مليون عام ، وأخيراً حقب الحياة الحديثة الذي بدأ منذ ما يربو عن ٧٠ مليون عام ويدعى **بحقب ( السينوزوي )** ، وفي نهايته بدأ ظهور الإنسان ، ويقسم كل حقب إلى وحدات زمنية أصغر كالأدوار التي تقسم إلى عصور وبالتالي تقسم العصور إلى أعمار وطوابق اعتماداً على تغيرات جغرافية ومستحاثية وطبقية مختلفة .





**خريطة جيولوجية** Geological map :

هي تمثيل هندسي لطبيعة الأرض يبين عليه توزيع الصخور وأنواعها فوق سطح الأرض وتحته ، ويختلف نوع الخريطة وفقاً للغرض المطلوب . فمشروعات تخطيط الطرق ومد خطوط السكك الحديدية يحتاج إلى خرائط خاصة بطبيعة صخور القشرة السطحية ، بينما تحتاج المشاريع المائية كالسدود والخزانات أو الإنشاءات الأخرى كالأنفاق وأساسات الأبنية إلى معرفة مفصلة بأنواع صخور ما تحت السطح ، **وللخرائط الجيولوجية أنواع كثيرة أهمها** : الخرائط الطبوغرافية ، الخرائط الستراتيغرافية ، خرائط السحنة ، خرائط الكنتورات التركيبية والجيولوجية تحت السطحية ، خرائط الجيوفيزياء ، خرائط الجيوكيمياء ، خرائط موحدة العمق أو موحدة السمك .. وغيرها .



**دياجينيز** Diagenese :

يعبّر هذا اللفظ عن تبدلات تحدث للمواد الرسوبية أثناء توضعها وتستمر لزمن طويل جداً ، وتبدأ التبدلات اعتباراً من السطح العلوي للرسوبات وتزداد مع العمق وتتعلق بوسط التوضع ونمط الرسوبات المتوضعة ، بعض التبدلات فيزيائي بشكل أساسي مثل حالة الرص التي يتم خلالها طرد الماء من الرسوبات تحت تأثير ثقل شرائح رسوبية فوقها ، في حين تتناقص مسامية تلك الرسوبات وتظهر شقوق تراجع أو تشوهات تتناول بعض الطبقات دون بعض وتصبح الرسوبات متصلبة ، وبعض التبدلات فيزيا ـ كيميائي تشتمل بحسب الحالات على حوادث تزيل بشكل خاص المادة العضوية للحيوانات والنباتات الميتة وعلى حوادث إرجاع تكون مسؤولة عن التشكيلات الفلزية الجديدة التي تغذي الفلزات الموجودة من قبل وتعبئ فجوات الرسوبات وتجعلها صلبة ومتماسكة .



**ذهب** Gold :

فلز ثمين يصنف في زمرة المعادن الطبيعية من مجموعة المواد البسيطة يندر وجوده بشكل حر وغالباً يتواجد مع شوائب إيزومورفية ، ويتبلور وفق نمط الفئة المكعبة ، ويتواجد بشكل بلورات ثمانية الوجوه أو بأشكال أخرى . وتتميز سطوح بلوراته بأنها غير مستوية إذ غالباً ما تكون محززة أو ذات نتوءات هندسية أو عديمة الشكل .. وللذهب لمعان معدني نموذجي وتتراوح قساوته من (٢,٥ ـ ٣) ويقبل اللي والتصفيح بشكل كبير جداً ، كثافة الذهب الصافي تماماً تبلغ ١٩,٣٠ وهو ناقل ممتاز للحرارة والكهرباء وله قدرة انعكاسية عالية جداً ، منشؤه إما هيدروترمالي أو في نطاقات الأكسدة للمكامن السولفيدية .



**رسوم الحمولة** Load-Cast :

بروزات ضخمة ليس لها منحى خاص وتظهر على السطح السفلي لبعض الطبقات ، وعلى عكس الرسوم الأخرى التي تظهر خلال فترة توقف الترسيب الموافقة للانقطاع الذي تدل عليه فإن هذه الرسوم تنجم عن تعمق تفاضلي تحت تأثير حمولة مواد غير قابلة للانضغاط كالرمل مثلاً ... عبر مواد تحتها قابلة للانضغاط كالوحل وهو ما يزال مشرباً بالماء .



**زحزحة القارات** Continental drift :

نظرية وضعها عالم ألماني ، وملخصها أن الاضطراب المستمر في توازن القشرة الأرضية ومن ثم بناء الجبال يرجع إلى أن الكتل القارية ليست مستقرة في أماكنها خلال مختلف العصور الجيولوجية وإنما هي في حالة انزياح مستمر في اتجاهات معينة مما يؤدي إلى احتكاك بين الكتلة القشرية الصلبة وما ترسو عليه من مادة داخلية تغوص فيها . وقد نشأت هذه النظرية اعتماداً على التشابه الكبير بين الساحل الغربي للقارة الإفريقية والساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية .. وكذلك التشابه بين الرواسب البحرية **للعصر الطباشيري** على كل من جانبي المحيط الأطلسي . وتفترض هذه النظرية أن كل القارات كانت متحدة في كتلة كبيرة تدعى تباعدت خلال الزمن وشكلت أجزائها المنزاحة والمتباعدة قاراتنا الحالية .



**ستراتيغرافيا** Stratigraphy :

علم يدرس الصخور الرسوبية المتوضعة ضمن طبقات متتابعة وعلاقات الطبقات مع بعضها ، ويتصدى هذا العلم لفهم تكون التشكيلات الرسوبية ومدلولاتها التاريخية بالاعتماد على معرفة الأوساط البحرية والقارية التي تسود حالياً ، ويشهد كل عنصر من هذه التشكيلات على أحداث عديدة ويحمل مقداراً قيّماً من المعلومات المسجلة ، من بينها معظم الأفعال التي تركت طابعاً على تطور الكرة الأرضية منذ أكثر من مليار عام وبمعرفة مدلولات هذه المعلومات نصل إلى صورة أوضح لتطور القشرة الأرضية .



**شواذ المغناطيسية** Magnetic Anomalies :

هي الفروق المقاسة بين القيم النظامية للحقول المغناطيسية والقيم

المقاسة والمصححة حقلياً وقد تبلغ الشواذ قيماً مرتفعة تتجاوز ٢٠٪ من قيمة الحقل الأرضي الكلي ، وهذه الشواذ يعتقد بأنها ناجمة عن مصادر عميقة جداً ضمن الأرض في المنطقة الواقعة بين المعطف والنواة ولها علاقة ببعض خلايا الاضطرابات الخاصة بحركة السوائل على حدود المعطف ـ النواة ، وهناك شواذ ذات قيم أقل تنجم عن مغناطيسية محلية لبعض الصخور المتواجدة في القشرة الأرضية ولها أهمية كبيرة في التنقيب الجيوفيزيائي المغناطيسي .



## صخور مخزنية Store Rocks :

هي التشكيلات الصخرية التي تستطيع أن تحتفظ داخلها بالسوائل ( نفط ـ ماء جوفي ) وذلك عند كونها كثيرة المسامية وتتمثل هذه الصفات بشكل جيد في الرمال . ولا بد أن تتمتع هذه الصخور بنفوذية جيدة حتى يمكن الاستفادة من محتوياتها اقتصادياً .



## ضغط Pressure :

يؤثر الضغط المطبق على كثير من الخواص الفيزيائية للصخور فالناقلية الكهربائية تزداد عادة مع زيادة الضغط وذلك بسبب انخفاض المسامية ، كما تلاحظ تغيرات شديدة في المقاومية الكهربائية تتراوح من ( ١٧ ـ ٩٢٪ ) عند زيادة الضغط وحيد المحور المطبق كما أن اختلاف الضغوط وطبيعتها ( **ستاتيكية أو دينلميكية** ) يؤدي إلى اختلاف طبيعة المرونة والتشوه والخواص الديناميكية للصخور وتبعاً لذلك تختلف قيم سرع الأمواج الاهتزازية والصوتية وكل ذلك له أثر هام وتطبيقات مفيدة في **الطرق السيسمية للتنقيب** .



## طرق تحت السطح Under Surface methods :

هي الطرق المستخدمة من قبل جيولوجيي النفط والمناجم وقد تم تطوير هذه الطرق من أجل توجيه أفضل للتنقيب عن الخامات المخبأة في باطن الأرض بعد أن أخذت مصادر السطح بالنفاد في كثير من الأماكن ، وتعطي هذه الطرق تسجيلات مستمرة لتغيرات الثوابت الفيزيائية تبعاً للعنل الذي يكون مرتبطاً مع التغيرات البتروغرافية والليتولوجية للطبقات المخترقة ويشكل كل تسجيل ما يدعى حسب اللغة الدولية الجيولوجية للنفط .



## ظاهرة المغناطيسية المتبقية الضغطية
(PRM) Piezo-remanent magnetization :

تنتج هذه الظاهرة عند تعرض الصخر لضغط موجه بوجود حقل مغناطيسي خارجي ، وفي درجة معينة من الحرارة ، تؤدي هذه الظاهرة أحياناً إلى تغيير اتجاه المغنطيسية الأصلية الأولية في الصخر ، مما يعطي تأثيراً ضاراً عند دراسة مغنطيسية الصخر . وتستخدم نتائج هذه الظاهرة حالياً للتنبؤ بالزلازل نظراً لأن الإجهاد المتولد في الصخور قبل حدوث الزلزال يؤدي إلى حدوث شواذ مغناطيسية محلية . يمكن قياسها بأجهزة حساسة والاستفادة منها .



## العمر المطلق للأرض Absolmte age for Earth :

هناك عدة طرق لمعرفته ، أهمها الطرق المستندة إلى **النشاط الإشعاعي الطبيعي لبعض العناصر الكيميائية** الموجودة ضمن بعض فلزات الصخر ، وتستخدم **طريقة لوتيسيوم هافينوم** لأجل الأعمار البالغة عدة ملايين من السنين وتفيد معرفة الزمن المطلق في حل كثير من مشاكل الجيولوجية النظرية . واعتماداً على النشاط الإشعاعي للصخور قدر العمر المطلق لقشرة الكرة الأرضية بين ٣ ـ ٤ مليارات عام .



## غوانو Guano :

صخر رسوبي فوسفاتي يتواجد في بعض جزر البحار المدارية نتيجة تراكم فضلات الطيور ، وتحوي هذه الرسوبات على مواد فوسفاتية وكبريتات وأملاح عضوية أخرى ويستعمل كسماد جيد .



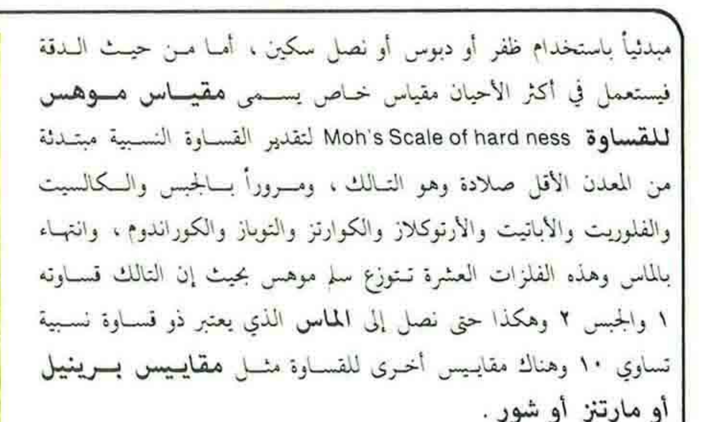
## فوالق وفواصل Faults and joints :

الفوالق عبارة عن انقطاعات وكسور في مجموعة من الصخور يرافقها تحرك نسبي أو إزاحة وانزلاق إحدى الكتل الناجمة عن الكسر أو كلها على سطح يوازي سطح الكسر يسمى **مستوى الفالق** . أما الفواصل فهي كسور في **القشرة الأرضية** لا يرافقها تحرك الكتل الصخرية على جانبي سطح الكسر وتصنف الفوالق والفواصل إما هندسياً أو تبعاً لأصل نشأتها وتكوينها .



## قساوة Hardness :

هي مقاومة المعدن للخدش أو التفتت أو التآكل أو التحطيم وهي من أهم الصفات الطبيعية المميزة للمعادن . ويمكن تعيين قساوة المعدن



مبدئياً باستخدام ظفر أو دبوس أو نصل سكين ، أما من حيث الدقة فيستعمل في أكثر الأحيان مقياس خاص يسمى **مقياس موهس للقساوة** Moh's Scale of hard ness لتقدير القساوة النسبية مبتدئة من المعدن الأقل صلادة وهو التالك ، ومروراً بالجبس والكالسيت والفلوريت والأباتيت والأرتوكلاز والكوارتز والتوباز والكوراندوم ، وانتهاء بالماس وهذه الفلزات العشرة تتوزع سلم موهس بحيث إن التالك قساوته ١ والجبس ٢ وهكذا حتى نصل إلى **الماس** الذي يعتبر ذو قساوة نسبية تساوي ١٠ وهناك مقاييس أخرى للقساوة مثل **مقاييس برينيل أو مارتنز أو شور** .



**كريب** Creep :

هي عملية انهيار بطيء جداً للتربة بشكل زحف للتربة والمفتتات الصخرية على طول سفوح الجبال ومنحدراتها ولا يمكن معرفة هذه الانهيارات إلا نتيجة الدراسة المستمرة عن كثب ولمدة طويلة وليس لها آثار طبوغرافية ملموسة .



**اللوس** Loose :

توضعات ريحية غير متماسكة لونها يميل إلى الرمادي أو الأصفر وتتألف هذه الرواسب من جزيئات حادة الزوايا من المرو والصفاح والكلس والدولوميا والغضار وغيرها ، واللوس شديد المسامية ونفوذ جداً للماء يتواجد أحياناً بسماكات تبلغ عدة مئات من الأمتار ولا يحوي أية آثار للتطبق ، ومما يذكر أن هذه التوضعات قد تنهار أحياناً مسببة كوارث مفجعة كما حدث في **الصين** عندما أدت بعض **الهزات الأرضية** إلى حدوث انهيارات واسعة أودت بحياة آلاف المواطنين .



**مستحاثات** Fossils :

هي الدلائل المباشرة للحياة الغابرة وتضم البقايا العضوية الحيوانية والنباتية التي تحفظ بشكل جيد ضمن الصخور الرسوبية الطينية والغضارية الشيستية المترسبة في أوساط هادئة كالبحار والبحيرات وكذلك في الصخور الرملية والتجمعية وتعطي فكرة واضحة عن الحياة الماضية ولعلم المستحاثات علاقات وثيقة مع علمي الحيوان والنبات كما أن له فروعاً متعددة منها **علم المستحاثات** الوصفي والتطوري والطبقي وعلم البيئة القديمة .



**النطاق العميق** The Deep Zone :

يتوسط هذا النطاق كلاً من النطاقين : النيريتي الذي يكوّن قاعه الهضبة القارية ، ونطاق عرض البحر ، ويزيد عمق هذا النطاق أي النطاق العميق عن ( ٢٠٠ ) متر وهو بعيد عن مجال التيارات التي تنتشر بصورة دائمة في المياه السطحية غير أنه يشكل على العكس المجال المفضل لتيارات العكر وأيضاً لتيارات الكثافة التي تتجلى في **المجالات الأوقيانوسية** الكبرى وفي البحار المفتوحة ، وتؤمن هذه التيارات تقدم المياه الباردة من القطبين باتجاه المناطق المدارية أو كما في **جبل طارق** حيث تتقدم مياه البحر الأبيض المتوسط ذات الملوحة المرتفعة باتجاه المحيط الأطلسي ذي الملوحة الضعيفة نسبياً ، والنطاق العميق مظلم دوماً وبارد وفي أغلب الأحيان هادئ ولا تشمل الحياة فيه إلا بعض العضويات آكلات الوحل التي تقيم بتماس مع القاع .



**هيدرولوجيا وهيدروجيولوجيا**

Hydrology and Hydrogeology :

علمان يتعلقان بعمليات تتم بشكل أساسي بتأثير الغلافين الجوي والمائي على الغلاف الصخري وأثر القدرة الشمسية ، أولهما يدرس الفعل الجيولوجي للمياه السطحية الجارية ، أما ثانيهما فيدرس الفعل الجيولوجي للمياه الجوفية الباطنية .



**وحيد الميل** Monocline :

أحد الأنظمة الرئيسية لتبلور الفلزات والمعادن وهو عبارة عن موشور مائل قاعدتاه معينان متساويان والأوجه الجانبية متوازيات أضلاع متساوية ، يوجد فيه محور تناظر من الدرجة الثانية ومستوى تناظر متعامد عليه ومركز تناظر ، ومن الفلزات المتبلورة وفق هذا النظام الجبس ، الارتوكلاز ، الأوجيت ، الهورنبلاند .



**يونغ (معامل)** Young's Module :

عامل يمثل نسبة الإجهاد إلى الانفعال في حالة وجود تغير طولي وهو أحد العوامل المحددة للخواص المرنة لصخور القشرة الأرضية ويدخل في كثير من معادلاتها .

# مناقشات

# وتعليقات

## نقل الحروف العربية

سلام الله ورحمته وبركاته .

وبعد ، فنحن على العهد الشريف الذي عقدناه في التعاون بين المملكتين لتنمية البحث وازدهاره .

وإننا نعيش مع الرياض عبْر نفحاته الطيبة ، وفي طلائعها نفحات «الفيصل» ، هذا وقد لفت نظري في العدد الأخير من المجلة فبراير (شباط ١٩٨٢م) ، أن بعض المحررين أثبت تساهلاً أن مغربيين اثنين نالا جائزة فرنسية ، والواقع أن الاسمين واحد ، وإنما نقلْ أحدهما عن مصدر عربي يكتب العين كما خلقها الله ، بينما نقل الثاني عن مصدر فرنسي يكتب العين ألفاً ! فالواقع أن العهدة على الذين ما يزالون إلى الآن لم يهتدوا للاتفاق على كتابة حرف العين هكذا (ᶜ) وليس هكذا A .

وأنتم تعرفون أن موضوع نقل الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية والعكس ، موضوع مطروح على المستوى الدولي أمام المؤتمر العالمي للأعلام الجغرافية . . .

وبصفتي خبير المجموعة العربية لدى المؤتمر المذكور ، أبشركم أن البت في هذا الموضوع أصبح وشيكاً ، وهكذا سيمكننا أن ننطق العين عيناً والخاء خاء والظاء ظاء .

أغتنم هذه الفرصة لأجدد تقديري وإكباري .

**د . عبد الهادي التازي**

**مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي**



## «المنجد» معجم في اللغة والأعلام

**(المنجد) معجم شهير يعرفه كثير من الدارسين العرب وغير العرب ، ويحرصون على اقتنائه لأنه يقدم مواده في بساطة ويسر ، ويدعمها بالصور والرسومات التي تقرّب المعنى من الأذهان .**

والمنجد يتكون من معجمين أحدهما في **اللغة** ، وهو ليس مجال بحثنا ، والآخر في **الأعلام** واسمه (**المنجد في الأعلام**) وهو عبارة عن دائرة معارف مصغرة وقد وضع نواته (**الأب فردينان توتل اليسوعي**) عام ١٩٥٦م ، ثم طبع طبعات لاحقة منقحة ، وآخر هذه الطبعات هي تلك التي بين أيدينا والتي هي مجال نقدنا وموضوع مقالنا هذا .

وحكايتي مع هذا المعجم ليست جديدة ، فمنذ إحدى عشرة سنة نشرت في مجلة «منبر الإسلام» (عدد رجب ١٣٩١هـ ـ أغسطس (آب) ١٩٧١م) مقالا عن هذا المعجم وقد قمت بتصويب أحد عشر خطأ في طبعته التاسعة عشرة .

وقد أسعدني كثيراً أن القائمين على المنجد قد استجابوا لهذه التصويبات ، وأخذوا بها في الطبعة اللاحقة .

واليوم أقدم عشرة أخطاء أخرى ومعها تصويباتها التي استقيتها من مصادرها الأصيلة الموثوق بها ، وهذه الأخطاء هي :

● **أولا** : في صفحة (٤١) يقول المنجد :

(إسرائيل لقب أُطلق على يعقوب بن إسحق بعد عراكه مع الملاك . وقد يكون معناه (الله قوي) وقد أطلق الاسم في **التوراة** أحياناً فيما بعد على كل الشعب العبراني) .

هذا ما قاله المنجد ولنقف وقفة أمام هذا القول لنناقشه لأنه من الخطورة بمكان .

إننا كمسلمين لا ننكر أن إسرائيل هو **يعقوب عليه السلام** وقد ذكره الله في **القرآن الكريم** بهذا اللقب في موضعين :

★ **الأول** : في سورة آل عمران ، آية ٩٣ يقول تعالى :

**﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾ .**

★ **والثاني** : في سورة مريم ، آية ٥٨ يقول تعالى :

**﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا﴾ .**

وكتب التفسير التي رجعنا إليها تجمع كلها على أن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام .

بعد ذلك نختلف مع المنجد في قصة تلقيب يعقوب عليه السلام بلقب إسرائيل .

وهذه القصة قد استقاها المنجد مع شيء من التغيير من (**العهد القديم**) ـ التوراة وأسفار أخرى ـ فكان يجب أن ينبه المنجد إلى أن هذا التعليل وفقاً للمعتقدات اليهودية ، لأننا كمسلمين نرفضه ونرفض قصته .

ولنرجع إلى العهد القديم لنقف على حقيقة هذه القصة نجدها تروي لنا أن يعقوب عليه السلام بعد أن عاد من مصر رغب في أن يقابل أخاً له فجلس في خيمة ، ولنقرأ عزيزي القارئ بقية القصة في العهد القديم (**سفر التكوين**) :

(فبقي يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذ يعقوب فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال : أطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال : لا أطلقك إن لم تباركني فقال : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت معَ الله والناس وقدرت ، وسأل يعقوب وقال : أخبرني باسمك فقال : لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك .



## وتعليقات

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً : لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي .

وأشرقت له الشمس إذ عبر فنيئيل وهو يخمع (يعرج) على فخذه . لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم . لأنه ضرب (أي الله سبحانه وتعالى) حق فخذ يعقوب على عرق النسا) سفر التكوين ـ الإصحاح الثاني والثلاثون ، الآيات من ٢٤ إلى ٣٢ .

هذه هي حقيقة القصة التي يشير إليها المنجد ، وبدلا من أن يقول بعد عراكه مع الله سبحانه وتعالى عما يصفون قال : بعد عراكه مع الملاك حتى يخفف من شدة وقع القصة على نفوس القراء المؤمنين .

لا تعليق لي على هذه القصة وسأتركه للسادة القراء الذين يقدرون الله حق قدره ، ويرفضون تلك الأوصاف التي لا تليق بذاته العلية .

بقي لي لوم على المنجد الذي أورد هذه القصة التي تثير البلبلة في أفكار الشباب المسلم الذي يأخذ ما جاء في المنجد من معلومات على أنه قضايا مسلّم بها .

● **ثانياً** : في صفحة (٧٢) يقول المنجد :

(قاسم أمين ولد عام ١٨٦٥ ميلادية) .

والصواب أنه ولد عام ١٨٦٣ ميلادية وقد رجعنا لتحقيق هذا التاريخ إلى مراجع كثيرة نذكر منها :

١ ـ قاسم أمين للأستاذ وداد سكاكيني صفحة (١٥) .

٢ ـ قاسم أمين للأستاذ أحمد خاكي صفحة (٤) .

٣ ـ قاسم أمين للأستاذ ماهر حسن فهمي صفحة (٧) .

● **ثالثاً** : في صفحة (٩٨) يقول المنجد :

(الألعاب الأولمبية هي ألعاب كان يحتفل بها اليونانيون القدماء قرب مدينة أولمبيا منذ ٧٧٦ ق . م . ويستندون إليها لتاريخ الأزمنة . وقد أخذت منها اسمها الألعاب الأولمبية التي تجري في يومنا كل أربع سنوات في مدينة من مدن العالم ، وهي ألعاب رياضية دولية بعثها **كوبرتن** عام ١٨٩٣ م) .

والكلام هنا ينقصه الكثير كما أن تاريخ بعث كوبرتن للألعاب الأولمبية الحديثة غير دقيق . إن أول تسجيل تاريخي اعتمده المؤرخون للألعاب الأولمبية بدأ عام ٧٧٦ ق . م . واستمرت هذه الألعاب إلى أن توقفت عام ٣٩٤ ميلادية حيث أمر الإمبراطور الروماني (**ثيودسيوس الأكبر**) بإلغائها لأنه رأى فيها مصدر إزعاج لروما ، وأنها نوع من الهمجية المبتذلة تصرف الشباب عن النواحي الدينية .

وقد ظل العالم بعد ذلك خمسة عشر قرناً من الزمان بلا مباريات عالمية حتى خطر للبارون الفرنسي (**بيير دي كوبرتن** Pierre de Coubertin) أن يوجه نداء في الخامس عشر من يناير (كانون الثاني) ١٨٩٤ م ، إلى جميع الهيئات الرياضية مشيداً بمنزلة الرياضة البدنية إذا هي سارت على المبادئ الإغريقية القديمة ، وقد وفق إلى عقد مؤتمر في **باريس** عام ١٨٩٤ م ، حيث وافق مندوبو بلدان العالم على مشروع كوبرتن ببعث الألعاب الأولمبية ، وانتهى الأمر على أن تقام أول دورة أولمبية في التاريخ الحديث عام ١٨٩٦ م ، في **أثينا** عاصمة اليونان على أن تقام بعد ذلك مرة كل أربع سنوات .

هذه هي فكرة موجزة عن الألعاب الأولمبية ، ولكن يجب أن تقال للقارئ العادي ، وبذلك أكون قد صححت بعض التواريخ الخاصة بالألعاب الأولمبية وأكملت بعض الأفكار المبتورة عنها .

ولمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى :

(١) الألعاب الأولمبية للأستاذ مصطفى الشهابي من صفحة (٣١) إلى صفحة (٦٥) .

(٢) (دائرة معارف الشعب) المجلد الأول من صفحة (٦٣٤) إلى صفحة (٦٣٩) .

● **رابعاً** : في صفحة (١٨٨) يقول المنجد :

(تشيكوف أديب روسي ولد عام ١٨٦٠ م ، وتوفي عام ١٩٤٠ م) .

والصواب أنه توفي في الخامس عشر من يوليو (تموز) عام ١٩٠٤ م ، كما في كتاب (**تشيكوف**) للأستاذ نجاتي صدقي صفحة (٣٠) .

● **خامساً** : في صفحة (٢٣١) يقول المنجد :

(حذام علم لامرأة في الجاهلية من العرب اليمانية يضرب بها المثل في حدة البصر ، وصدق الخبر ، وتلقب **بزرقاء اليمامة**) .

وهذا الكلام فيه خلط واضطراب فقد خلط المنجد بين امرأتين مشهورتين إحداهما حذام والأخرى زرقاء اليمامة .

أما حذام ، كما جاء في كتاب (**الأعلام**) **للزركلي** الجزء الثاني صفحة (١٨٠) ، **فهي حذام بنت الريان** جاهلية يمانية يضرب بها المثل في الصدق .

وقد جاء في (**الموسوعة العربية الميسرة**) صفحة (٦٦٤) أنها حذرت قومها من خطر العدو لما رأت أسراب القطا وصدق تحذيرها ونجا قومها .

أما **زرقاء اليمامة** فقد جاء في **كتاب (ثمار القلوب في المضاف الأدب) للنيسابوري** ، وكتاب (**خزانة الأدب**) **للبغدادي** صفحة (٢٩٩) : (أنها من بني جديس ، من أهل اليمامة كانت مشهورة بحدة البصر حتى أنها كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام ، فضربوا بها المثل في جودة البصر ، وحدة النظر) .

مما سبق يتضح لنا أن المنجد قد خلط بين هاتين الامرأتين حيث توهم أن حذام هي زرقاء اليمامة ، ولكن شتان ما بين الاثنتين .

● **سادساً** : في صفحة (٢٣٩) يقول المنجد :

(**حفني ناصف** أديب مصري ولد عام ١٨٦٠ م ، وتوفي عام ١٩١٩ م ...) .

والصواب أنه ولد عام ١٨٥٥ م ، لا عام ١٨٦٠ م ، ولنسمع معاً شهادة ابنه **مجد الدين حفني ناصف** حيث يقول في مقدمة ديوان والده (شعر حفني ناصف) صفحة (١٥) :

(ولد المترجم له في بركة الحج في الخامس من المحرم سنة ١٢٧٢ هـ ، الموافق ١٦ سبتمبر ١٨٥٥ م) وهي شهادة ما بعدها شهادة .

● **سابعاً** : في صفحة (٢٦٠) يقول المنجد :

(نص شريعة **حمورابي** يتكون من ٢٨٥ بنداً ، وهي مجموعة اجتهادات لتنظيم

# مناقشات و تعليقات

القضاء خاصة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية ).

وفي الحقيقة أن نص شريعة حمورابي يحتوي على مقدمة ، و ٢٨٢ نصاً تشريعياً ، ثم خاتمة ، ففي المقدمة يمجد حمورابي الآلهة ، ويوضح أن العدل أساس الملك .

ثم تأتي بعد ذلك مواد القانون في ٢٨٢ مادة حيث تتناول مختلف قطاعات الحياة العامة والخاصة .

أما الخاتمة ففيها يوجه حمورابي خطاباً إلى الناس لاحترام ما جاء بالقانون ، ويوضح فيها ثواب الآلهة لهؤلاء الذين يتبعون أوامره ، كما يهدد بالقصاص من الذين لا يهتدون بهديه ولا يحترمون نصوصه .

ولمزيد من المعلومات يراجع :

(١) تاريخ النظم القانونية والاجتماعية للدكتور **محمود السقا** من صفحة (٢٨٩) إلى صفحة (٢٩٠) .

(٢) قانون حمورابي للدكتور **محمد سلام زناتي** .

● **ثامناً** : في صفحة (٤٣٧) يقول المنجد :

(**طلعت حرب** ولد عام ١٨٧٦م ، وتوفي عام ١٩٤١م ، وهو اقتصادي مصري ، مؤسس البنك الأهلي في مصر عام ١٨٩٨م ، وواضع الحجر الأساسي للاستقلال المالي في بلاده ) .

وفي حقيقة الأمر أن طلعت حرب لم يولد عام ١٨٧٦م ، وإنما ولد قبل ذلك في عام ١٨٦٧م .

كما أنه لم يؤسس البنك الأهلي في مصر عام ١٨٩٨م ، وإنما أسس (بنك مصر) الذي افتتح عام ١٩٢٠م ، برأس مال مصري مائة في المائة ويملكه المصريون .

أما البنك الأهلي فقد تأسس وفقاً لمرسوم صدر في ٢٥ يونيو (حزيران) ١٨٩٨م ، بإنشاء هذا البنك في شكل شركة مساهمة برأس مال إنجليزي ، وظل أجنبياً إلى أن صدر قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٦٠م ، بشأن انتقال ملكية هذا البنك إلى الدولة .

ولمزيد من المعلومات تراجع المراجع الآتية :

(١) دائرة معارف الشعب المجلد الأول من صفحة (٤٦) إلى صفحة (٤٩) .

(٢) عصاميون من الشرق والغرب ، (بأقلام نخبة من كبار الكتّاب) من صفحة (٢٧) إلى صفحة (٣٣) .

(٣) النظرية الاقتصادية للدكتور **أحمد جامع** الجزء الثاني من صفحة (١٣٤) إلى صفحة (١٣٥) .

وذلك فيما يختص بالبنك الأهلي .

● **تاسعاً** : في صفحة (٥٠٢) يقول المنجد :

(**بطرس غالي** سياسي مصري ولد عام ١٩٤٦م ، وتوفي عام ١٩١٠م ) .

والصواب أنه ولد عام ١٨٤٦م .

● **عاشراً** : في صفحة (٦٣٧) يقول المنجد :

(**محمد** النبي العربي ولد عام ٥٧٠م ، وتوفي عام ٦٣٢م . دعا إلى الإسلام وهو من بني هاشم ، ولد بمكة بعد وفاة أبيه ) .

إلى هنا والمعلومات سليمة لا غبار عليها . ولكن في صفحة (٤٥٢) نجد المنجد يقول :

(**عبد الله بن عبد المطلب** توفي عام ٥٧١م ، والد النبي ، وقد كان أصغر إخوته العشرة . توفي وكانت زوجه آمنة حاملاً بالنبي ) .

وهذا الكلام يناقض ما ذكره المنجد عن **النبي صلى الله عليه وسلم** صفحة (٦٣٧) ، فكيف يكون عبد الله قد توفي عام ٥٧١م ، وكانت زوجه حاملاً بالنبي ثم يقول بعد ذلك إن النبي ولد عام ٥٧٠م .

والصواب أن النبي ولد عام الفيل سنة ٥٧٠م ، وقد مات أبوه قبل أن يولد بشهور ، وهذا ما ذكره المنجد أولا ثم نقضه بعد ذلك .

وبعد . . . هذه هي الأخطاء التي عثرنا عليها في (**المنجد في الأعلام**) .

**ولنا ملاحظات بعد ذلك على هذا المعجم ككل .**

★ **أولا** : إن المعلومات التي يذكرها معظمها موجز إيجازاً شديداً ، وهذا الإيجاز يخل بالمعنى تارة فيبدو غامضاً ، وبالأسلوب تارة أخرى فيصبح ركيكاً .

★ **ثانياً** : عدم دقة بعض التواريخ والمعلومات ، وهذا يرجع إلى اعتماد المنجد على المراجع دون المصادر ، أو على المراجع الأجنبية لاستقاء المعارف العربية ، وما أكثر المصادر العربية الموثوق منها .

ونظراً لأهمية هذا المعجم وانتشاره بين الدارسين والطلاب لا بد أن تراجع مواده مادة مادة ، وتحقق تحقيقاً سليماً حتى لا تكون مجال شك .

وبعد ذلك يجب أن تصاغ هذه المعلومات في أسلوب سهل واضح بعيداً عن الإيجاز الشديد .

ويستحسن أن يفصل (المنجد في الأعلام) عن (المنجد في اللغة) حتى يتسنى له أن يتسع ويكون أكبر حجماً ، مما هو عليه ، وبذلك يتلافى الإيجاز الشديد ، والكتابة بحروف دقيقة قد تتعب أبصار القراء .

وفي النهاية أقترح على المنجد بعد أن يورد المعلومة للقارئ أن يحيله إلى مراجع هذه المعلومة ، وبذلك يعطيه مجالا أوسع للفهم والاستفادة .

إنني أكتب هذا النقد وأنا على ثقة من أن هذا النقد سيجد صدراً رحباً لتقبله وتلافيه في الطبعات اللاحقة .

ولا هدف لي من هذا إلا حرصي الشديد على تراثنا العربي ، وعلى عقول الناشئين الذين يجب أن نقدم لهم كل ما هو موثوق منه (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) . والله ولي التوفيق .


محمد عبده قناوي
مدرس لغة عربية
بمدرسة أسوان الثانوية المشتركة
بأسوان
جمهورية مصر العربية

# مسابقة مجلة الفيصل

## شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي . . موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) . وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة . . وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

## ● أجوبة مسابقة العدد (٥٧) ●

ج ١ **سعد بن أبي وقاص أحد المبشرين بالجنة** . . وسابع من دخل الإسلام في بدايته . . يجيد الرماية . . شهد عدداً من الغزوات مع الرسول الكريم . دعا له الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته » . اختاره الخليفة عمر بن الخطاب ليكون أحد الستة الذين أوكل إليهم أمر اختيار خليفة للمسلمين من بعده . . قال عنه الرسول : « هذا خالي فليرني امرؤ خاله » . توفي بالمدينة المنورة بعد أن أوصى بأن يكفن في جبة عتيقة كان قد لقي المشركين بها يوم بدر .

ج ٢ **النحت** : أطلقه اللغويون على العملية اللغوية التي يتم فيها تركيب كلمة بانتزاع حروفها من كلمتين فأكثر لتدل على معنى ما انتزعت منه ، وذلك لشبه هذا النزع بنحت الخشب وقطع الحجارة ، وهو ضرب من ضروب الاشتقاق . . مثل :

القوي الصلب : قصلب ـ شديد الأصوات : صعهلق .

ج ٣ **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** في الرياض ، **جامعة عليكرة الإسلامية** في الهند ، **جامعة عين شمس** في القاهرة ، **جامعة بيرزيت** في رام الله بفلسطين ، **جامعة اليرموك** في اربد .

ج ٤ **أول دولة استعملت طوابع البريد** إنكلترا وكان ذلك في شهر مايو (أيار) سنة ١٨٤٠ م .

ج ٥ **روما أول مدينة في العالم** ابتدعت لبس **خاتم الزواج** .




الاســم : ------------------------------

المهنـة : ------------------------------

العنـوان : ------------------------------

**السؤال الأول :**

**اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :**

الموازنة بين الطائيين ـ نقد الشعر ـ العمدة ـ جمهرة أشعار العرب .

**السؤال الثاني :**

يقول الشاعر بطرس كرامة :

أمِنْ خدها الوردي أفتنك (الخال)
فسحَّ من الأجفان مدمعك (الخال)
وأومض برق من محيا جمالها
لعينيك أم من ثغرها أومض (الخال)
رعى الله ذياك القوام وإن يكن
تلاعب في أعطافه التيه و(الخال)

أورد الشاعر في هذه الأبيات كلمة (خال) في أربعة أماكن .. ما المعاني المختلفة التي تشتمل عليها هذه الكلمة حسب موقعها؟

**السؤال الثالث :**

يعتبر المشلح ، أو العباءة من أبرز الملابس العربية .. ويطلق عليه كلمة «البشت» .. فما أصل هذه الكلمة ، وبأية لغة ؟

**السؤال الرابع :**

المعروف أنه عند الاستقبالات الرسمية للشخصيات الكبيرة يفرش بساط لونه أحمر .. لماذا ؟ أي لماذا اللون الأحمر بالذات ؟

**السؤال الخامس :**

مع اختلاف أسباب موت كل من امرئ القيس الشاعر العربي ، وسقراط الفيلسوف اليوناني إلا أنهما ماتا بوسيلة واحدة .. ما هي ؟

## • نتيجة مسابقة العدد (٥٧) •

● فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخ **الإدريسي سيدي محمد** ، وعنوانه المغرب ، بلوك 1 المنزل 18 مجموعة العدير ، مدينة تيفلت (إقليم الخميسات) .

● وفازت **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخت **ألفت حسن علي حسين** ، عمان ـ الأردن .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ **محمد أحمد شاور** ، مكة المكرمة ـ التنعيم ، مدرسة أبي زيد الأنصاري الثانوية والمتوسطة لتحفيظ القرآن الكريم .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من الهند ـ جامعة بهوبال ، الأخ محمد حسان بن عمران .

● من لبنان ـ بيروت ، الحرش ، شارع سليم إدريس ، صالون توفيق ، خلف محطة نديم خير ، الأخ محمد توفيق كبريت .

● من قطر ـ الدوحة ، ص . ب . (١٣٠٠٧٦) ، الأخ متعب ناصر محمد الكبيسي .

● من سورية ـ دمشق ، الأخت سميرة محمد تركماني .

● من تونس ـ صفاقس 3001 ، 19 نهج الدربية ، الأخ فتحي المسدي .

● من سورية ـ درعا ، قرية الطيبة ، الأخ إبراهيم حسين العداد .

● من مصر ـ القاهرة ، شبرا ، عزبة بلال ٨٣ شارع يوسف زلط ، الأخ عاكف حسين محرم ، بواسطة السيد جمال هاشم .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من اليمن ـ صنعاء ، كلية الشرطة السنة الأولى ، الأخ جلال علي علي الرويشان .

● من المغرب ـ الناظور ، ص . ب . (133) ثانوية عبد الكريم الخطابي ، الأخ غنان محمد عبد السلام .

● من المنطقة الجنوبية ، خميس مشيط ، الأخت موضي محمد عبد الله الحواس .

● من الجزائر ، الأخ عمار الأحمر .

● من الأردن ـ اربد ، الأغوار الشمالية ، وقاص ، الأخ موفق محمد عبد اللطيف شكور .

● من السودان ـ الخرطوم ، إدارة المحاكم ، ص . ب . (١٠٧) الأخ عز الدين مبارك مصطفى خطيب ، بواسطة السيد إبراهيم الطيب إبراهيم .

● من مصر ـ المنيا ، أرض سلطان ، ٤٢ شارع عدنان المالكي ، بقالة فؤاد بدوي ، الأخ يوسف محمود خليل محسن ـ الفلسطيني ـ .

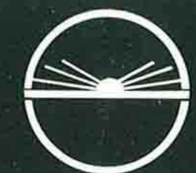
● من الرياض ـ جامعة الملك سعود ، كلية الهندسة (٦١) ، الأخ إسماعيل عبد الرزاق إسماعيل السالم .

● من السودان ـ الخرطوم بحري ، مكتب تعليم منطقة شرق النيل ، الأخ عبد الله المبارك الفادني .

● من الجزائر العاصمة ، 62 دربوز لوني أرزقي ، باب الوادي ، الأخ بريم عبد المجيد .



# كتب وردت إلى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

## الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور

كتاب صدر عن **شركة المطبعة العصرية ومكتباتها ـ الكويت** تأليف الدكتورة **نورية صالح الرومي**، والكتاب عبارة عن دراسة شاملة لحركة الشعر في الخليج العربي من خلال استعراض تيار التقليد، وبحثه من الناحية الموضوعية، والفنية، وخصتْ **القسم الثاني** والأخير من الكتاب بدراسة تيار التطور، والعوامل التي دفعت به، وأثرت فيه، وفي سائر أغراض الشعر المعروفة. يقع الكتاب في (٥١٣) صفحة من القطع المتوسط.

## شعر فهد العسكر

دراسة نقدية وتحليلية للدكتورة **نورية صالح الرومي**، ينقسم الكتاب إلى بابين كبيرين يتناول **الأول** منها **فهد العسكر** الشاعر حياته وبيئته وديوانه، **والباب الثاني** والأخير يتناول شعر العسكر من الناحية الموضوعية والفنية شعر الغزل دلالاته ورموزه، وموضوعاته كظاهرة الخلاص في شعره، وختمته بدراسة آراء الدارسين له ومناقشتها. يقع الكتاب في (٣٣٧) صفحة من القطع المتوسط.

## كشف الصلصلة ـ عن وصف الزلزلة

كتاب تناول فيه مؤلفه **جلال الدين السيوطي** الزلازل وقام بتحقيقه **الدكتور عبد اللطيف السعداني**. يقع في (١١٢) صفحة من القطع المتوسط، صدر عن **مطبعة محمد الخامس بالمغرب**.

## التليفون الاختراع، والحاضر، والمستقبل

كتاب يضم بين دفتيه مجموعة بحوث قدمت في الاحتفال بمرور القرن الأول على اختراع **التليفون** لأساتذة ـ أجانب منهم (**جون د. دي باطس**)، (**آرثر كليرك**)، (**مايكل ل. ويرتوزوس**) وغيرهم، ترجمها (**محمد فكري أنور**). يقع في (١٦٢) صفحة من القطع المتوسط، صدر عن **مكتبة الوعي العربي**.

## الولادة الجديدة والصحو

مجموعة شعرية ضمت في كتيب من شعر (**أحمد دوغان**). يقع في (٦٢) صفحة من القطع الصغير، صدر عن **المطبعة العربية بحلب**.

## لؤلؤة من الأعماق

مجموعة قصصية **طبعت بمطابع الثقافة بمصر**، للقاص **ملاك ميخائيل**، تتكون المجموعة من ست قصص قصيرة تدور حول موضوعات اجتماعية وعاطفية. يقع الكتاب في (٨٠) صفحة من القطع الصغير.

## أماندا ـ وبعدها الموت ومعها ـ دماغ العكروط

**قصتان** وضعتا في كتاب لمؤلفها **أحمد عبد السلام التعالي**، تناول **في الأولى** الحب الكاذب والغيرة والاغتراب وجعل هذه العناصر ركائزاً لقصته، **أما الثانية فهي** نظرة كاريكاتورية ضاحكة إلى أدب اليوم. تقع الأولى في (٤٩) صفحة والثانية في (٦١) صفحة من القطع المتوسط، أصدرت الكتاب دار «**ميثاق المغرب**» **للنشر**.

## وكنت حبيبتي

**مجموعة شعرية**. تقع في (٩٣) صفحة من القطع الصغير **للشاعر محمد سعيد فخرو**، صدرت عن **المطبعة العربية بحلب**.

## أنت في كل الطريق

**مجموعة شعرية**، وضعت في كتاب يقع في (٩٤) صفحة من القطع المتوسط، **للشاعر نور الدين المالح**، صدر عن **مطبعة دار الكتاب ببيروت**.

## النشر في الجزائر منذ الاستقلال ١٩٦٢ ـ ١٩٨٠م

كتاب **بيبليوغرافي يشتمل على ما نشر في الجزائر منذ فجر الاستقلال إلى يومنا هذا**، أعده مجموعة من **الباحثين**. يقع في (٣٥٧) صفحة من القطع المتوسط، صدر عن **الشركة الوطنية للنشر والإشهار**.

## مغامرات لغوية

كتاب يجعل (**البحث اللغوي**) من أبواب الثقافة العامة لجمهور القراء بعد أن كان خاصاً بالدراسات الجامعية ونحوها، بالإضافة إلى معلومات أخرى وضعها فيه مؤلفه (**عبد الحق فاضل**). يقع الكتاب في (٣٧١) صفحة من القطع المتوسط، أصدرته **دار العلم للملايين ببيروت**.

## منشورات وزارة الثقافة والشباب بالأردن

صدر عنها كتاب: **وجوه وملامح**: للأستاذ **سليمان موسى**، يضم الكتاب دراسة عن ٨ شخصيات كان لها دورها البارز في حياة الأردن السياسية والاجتماعية والأدبية. يقع الكتاب في (٢٠٣) صفحات من القطع المتوسط.

«**المجد المنحوت**» رواية للأستاذ **عبد الحميد الأنشاصي** والرواية محاولة لتجسيد الحياة التي كان يعيشها شعب الأنباط القديم في مدينة (البتراء)، استوحى المؤلف أحداث روايته من آثار المدينة المنحوتة. يقع الكتاب في (١٧٧) صفحة من القطع المتوسط.


أرامكو
تقدّم فرصاً جديدة
في صناعة الزيت والغاز
لخريجي المدارس الثانوية السعوديين
◄ برامج ابتعاث للثانويين المتفوقين للدراسة في جامعات المملكة والولايات المتحدة.
◄ برامج ابتعاث أخرى.
◄ برامج تدريب وتطوير في مجالات العمل.
◄ برامج تدريب في مراكز أرامكو الصناعية.
يحصل حاملو الشهادات الثانوية على الميزات التالية:
▸ الرواتب ابتداءً من ٣٩١٥ ريالاً شهرياً.
▸ راتب شهرين كبدل سكن أو سكن للمستحقين
▸ راتب شهر إضافي كل سنة.
▸ برنامج تملك البيوت.
▸ عناية طبية للموظف وعائلته.
▸ برنامج للادخار بالإضافة إلى نظام التأمينات الاجتماعية.
▸ ميزات أخرى.
المناطق الرئيسية التي تتوفر فيها فرص العمل:
◁ بقيق ◁ رأس تنورة ◁ الظهران
◁ العضيلية ◁ شدقم ◁ جبل بري - الجبيل
◁ قرية ◁ العثمانية ◁ السفانية
◁ المبرز ◁ الجعيمة ◁ ينبع
مجالات العمل المتاحة:
• التنقيب عن الزيت وهندسة البترول.
• إنتاج الزيت والغاز وأعمال التكرير.
• إدارة المشاريع والإنشاء والخدمات الهندسية.
• أعمال صيانة معامل الزيت والغاز ومرافق أخرى.
• مجالات فنية وإدارية أخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

# انفروا خفافًا وثقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ...

صدق الله العظيم










بالجيش العربي السعودي

## يدعوك للإلتحاق جُنديًا في صُفوفه

